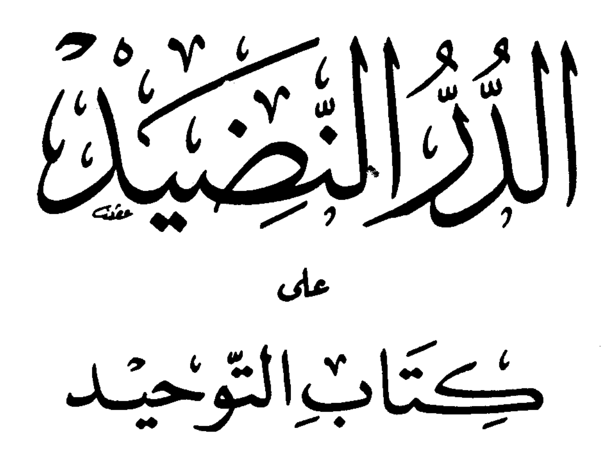


للإمام المجدّد الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب

شرح وتعليق

سَعيد الجندول

الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدُّرُ النَّضِيد

على

كتاب التوحيد

الإهداء

- إلى القائد الراشد
- إلى من وقف صامدًا أمام التحديات العالمية ليرفع صوت الإسلام. مدافعًا عنه، وموضحًا حقيقته وأهدافه.
- وإلى من انتزع الاعتراف من زعماء غير مسلمين بأن الإسلام لا يحول بين الإنسان وبين التطور العلمي، والتقدم الحضاري.
- إلى الذي شق طريقه بين الصفوف ليعلن الدعوة إلى تضامن المسلمين ووحدة كلمتهم
- وإلى الذي وقف وسط الزحام في شجاعة المؤمن ليؤكد أن لا عز للمسلمين إلا بالتمسك بالإسلام، والثبات على العقيدة الخالصة لله وحده.
- إلى الرجل الذي أخذ مكانه بين زعماء العالم عن جدارة واستحقاق.
- وإلى الرجل الذي عمل ويعمل بجد وإخلاص لإسعاد أمته ووطنه.
- إلى داعية التوحيد، فيصل بن عبد العزيز أهدي في تقدير واحترام مجهود فكري..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بين يدي الكتاب

حينما يفكر أخي فضيلة الاستاذ الشيخ سعيد بن عبد العزيز الجندول في وضع شرح مبسط لكتاب التوحيد للعلامة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه ... فانه يضع بتفكيره الاستكمال الطبيعي الواضح للنهج الاسلامي الذي أخذ به نفسه منذ ان كان فتى يافعا ثم رجلا مكتمل الرجولة . ثم هو اذ يدفع بتفكيره الى البروز فيضع الشرح الوافي للكتاب انما يضع قدمه باذن الله في بداية خطوات طوال نحو أهداف كبيرة ، ولن يتساءل القارئ ابدا عن الاهداف لأنها واضحة ومشرقة . عمل كل المصلحين لبلوغها وتحملوا في سبيلها الكثير من النصب والمشقة والأذى . وستظل القافلة منطلقة بمشيئة الله ما بقيت حياة ، وما بقي أحياء .

وأغلى الاهداف وأعلاها منزلة وشأوا (تنقية) العقيدة من كل الشوائب ، وتصحيح الصلة بين العبد وربه على أساس راسخ ونقي من عبادته وحده لا شريك له . وصرف كل أنواع العبادة له دون غيره والالتزام بما أمر به ، وممارسة ذلك واقعا عمليا لتسعد بالاحياء حياتهم ، وليلتقي الراحلون بفضل من ربهم ـ بالنعيم المقيم والسعادة الأبدية التي لا تنتهي .

وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب عليه رحمه الله كان رجلا

يستحق التاريخ أن يقف بجواره ليحكي للدنيا قصة ايمانه العميق بربه ، وعزيمته التي لا حد لها لكي يحول ذلك الايمان الى واقع يمارسه كل الناس ، وتختفي معه كل الانحرافات والأصنام والطواغيت لأنها باطلة باطلة ..

وانتصرت دعوة الشيخ التي كان فيها رحمه الله ـ مجددا لما اندثر من معالم العقيدة الصحيحة مزيلا لما تعلقها من أباطيل وضلالات ، وشاء الله أن يتحقق انتصاره بفضل الله ثم بفضل ايمانه العميق ومؤازرة الأئمة من آل سعود الكرام المجاهدين ليضعوا بذلك مجتمعين اللبنة الأولى للدولة المسلمة التي تنفرد باحتكامها الى كتاب الله وسنة رسوله قولا وعملا ... والكتاب الذي بين أيدينا الآن هو نتيجة دراسة فاحصة واستيعاب واضح قام بهما فضيلة الشيخ سعيد لمؤلف الشيخ الامام رحمه الله انتهت به الى وضع شرح جيد له يكمل فائدته ، ويبسط أهدافه وهو من أقدر رجالنا اليوم على ما فعل وله من إلمامه وقراءاته والتزامه الواضح ما يرشحه لاجادة ما صنع والقدرة على صنع غيره .

نفع الله به واثابه ووفقه ورحم شيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وكل الداعين الى دين الله على بصيرة .

وزير التعليم العالي

الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد وأصلي واسلم على خاتم النبيين والمرسل الى الناس أجمعين .

وبعد : ـ

فمنذ مدة غير قصيرة وأنا تراودني فكرة القيام بعمل يجعل كتاب التوحيد للامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتابا يعيش أحداث هذا العصر بالاسلوب واللغة التي يفهمها العالم والمتعلم ومنذ عام او يزيد بدأت في القاء الاضواء على هذا الكتاب باسلوب جديد وصياغة جديدة ، وطريقة مبتكرة ، واستطعت بعون من الله ان أخضع الكثير من مواضيع الكتاب التي كانت تعالج مشاكل معينة في عصر الشيخ رحمه الله لمعالجة بعض المشاكل المعاصرة

ولاعطاء القارئ ايضاحا أكثر فان الدافع الذي جعلني أفكر في عمل كهذا أمور ثلاثة : ـ

الأول : ان صاحب هذا الكتاب رحمة الله عليه رحمة واسعة ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين أفضل ما يجازى به دعاة الخير ورواد الاصلاح ، له الفضل الكبير في تصحيح عقيدة هذه الامة وتنوير أفكارها من ظلمات الجهل وعبادة غير الله ، حتى تطهرت هذه الارض من

عبادة المخلوقين وأصبح التوحيد شعار الدولة والامة كلها ، يلتفون حوله مؤمنين موحدين ، ورجل أنقذ الله به هذه البلاد من فساد العقيدة ، وكافح وجاهد حتى رجع الناس الى دينهم الصحيح صابرا محتسبا ، يستحق منا وفاءا بحقه واعترافا بفضله ان نجدد ذكره في الاذهان ، ونحيي ما خلفه لنا من علم وفكر ، ولم أجد ما أسهم به في هذا المجال سوى محاولة مخلصة لشرح كتابه هذا بطريقة جديدة تختلف تماما عن الطريقة القديمة المعروفة ، وهذا هو كل ما قدرت عليه بالنسبة لرجل مصلح يعيش دائما في قلوبنا ، لانه اخلص لله فخلد الله ذكره ، وسيبقى حيا في النفوس الى الابد ان شاء الله .

الثاني : اقتناعي التام بان كتابا كهذا كان سببا في هداية الكثير من الناس في هذه البلاد وغيرهـا لا بد وان تكون الفائدة منه في عصرنا هذا أعم وأشمل اذا ما قدم للقارئ بطريقة مبتكرة ، ولقد حاولت ان أسلك هذا السبيل بقدر ما أملك من طاقة فكرية ، ولعلي قد توصلت الى بعض النتائج المرضية .

الثالث : الموجات الالحادية التي تجرف الكثير من أبناء المسلمين لتخرجهم عن اسلامهم عن طريق التشكيك في العقيدة تارة ، والاغراء بالمال وغيره تارة اخرى تحتم على كل غيور على دين الله ان يقدم لاخوانه المسلمين ما عساه ان يكون عاصما لهم عن الانحراف عن عقيدة التوحيد .

وانطلاقا من صلاح نية المؤلف رحمه الله وما أداه هذا الكتاب من دور كبير في الحفاظ على صفاء عقيدة التوحيد في هذه البلاد وغيرها ، وايمانا بان المسلم بدون عقيدة تربطه بالله مباشرة وبلا واسطة مخلوق لا يستحق ان يسمى مسلما بالمعنى الذي أراده الله .

فقد شاء الله أن يتحول الامر من فكرة الى حقيقة .

ولقد كان حرصي شديدا في ان يتجه هذا الشرح اتجاها يختلف عن الشروح القديمة من ناحية الاسلوب والطريقة ، والتعرف لبعض الامور التي رأيت ان الضرورة تدعو الى ذكرها دون ان اخرج عن اطار الكتاب او اتجاوز معاني الآيات والاحاديث الواردة فيه وحسبي من ذلك كله نفعا عاما . والخير قصدت ـ وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

سعيد بن عبد العزيز الجندول

« ترجمة موجزة عن المؤلف »

نسبه :

هو داعية التوحيد أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي ، علم من أعلام الاسلام ومصلح من المصلحين الكبار .

مولده ونشأته :

ولد هذا المجدد رحمه الله في بلدة من بلاد نجد تسمى « بالعيينة » تقع شمالا عن مدينة الرياض . عام ١١١٥ هجرية ونشأ بها ولّما يبلغ العاشرة من عمره الاّ وقد أكمل القرآن الكريم حفظا .

طلبه العلم :

وعلى يد والده الذي كان قاضيا آنذاك بدأ يوسع معلوماته في الفقه وغيره : وجريا على رغبة العلماء في طلب المزيد من العلم ـ سافر رحمه الله من بلاد نجد الى الحجاز ، وهناك بدأ يتلقى العلوم عن علماء مكة والمدينة ، ثم انتقلت به الرغبة الى المزيد من المعرفة فذهب الى البصرة ، وتعلم فيها من علم الحديث والفقه والنحو الشيء الكثير .

عودته الى نجد :

عاد بعد هذه الرحلة الى بلده واستقر به المقام عند والده ببلدة حريملاء يواصل طلب العلم عليه ، ويعكف على قراءة التفاسير للقرآن الكريم ، وشروح السنة وكتب أعلام الاسلام . مثل كتب شيخ الاسلام

ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله .

وهنا صنف كتابه هذا ـ كتاب التوحيد ـ وقيل انه صنفه بالبصرة ، وسواء أكان صنفه بالبصرة أو حريملاء فهو كتاب يحارب ما عليه الناس من بدع وخرافات ، تخالف التوحيد الخالص لله ...

ولقي الشيخ رحمه الله في سبيل دعوته الناس الى التوحيد أنواعا من الأذى مما اضطره الى الانتقال من حريملاء الى العيينة ، وفيها وجد من أميرها ابن معمر مساندة وتشجيعا ، فأخذ رحمه الله يدعو الى الله حتى أزال كل معالم الوثنية هناك ، الا أن هذه المساندة لم تدم ، وذلك أن حاكم الاحساء والقطيف سليمان بن عريعر خاف من انتشار دعوة الشيخ التي قد تكون سببا في الاطاحة بسلطانه ، فكتب لابن معمر يطلب منه اخراج الشيخ من العيينة والا فسوف يقوم بغزو لبلاده . ولما لم يكن ابن معمر قادرا على الدفاع عن بلده طلب من الشيخ مغادرة العيينة فخرج متجها نحو الدرعية ، وفي هذه البلدة تقابل مع أميرها محمد بن سعود بن مقرن فأكرمه ، ووعده بالمعاونة في نشر دعوته ، وهنا أخذ الشيخ رحمه الله يوضح للأمير محمد حقيقة ما يدعو اليه ، وأن هدفه الوحيد هو ارجاع الناس الى العقيدة الصحيحة وترك عبادة الاوثان ، فانشرح صدر الأمير ، وأستقرت هذه الدعوة في قلبه ، وتعاهد معه على النصرة والحماية والجهاد الى أن يظهر الله دينه ، وسار الرجلان جنبا الى جنب يدعوان الناس الى دين الله وترك عبادة الاصنام الى أن تطهرت البلاد من عبادة غير الله .

انتشار دعوة الشيخ في الخارج :

ولم تبق دعوة هذا المصلح الكبير رحمه الله محصورة في نجد

بل انتشرت عن طريق الوافدين الى مكة للحج والعمرة في أقطار كثيرة وتأثر بها رجال الاصلاح الاسلامي في العراق ، والشام ، ومصر ، والهند ، كما انتقلت عن الطريق نفسه الى كل من السودان وسومطرة ، وصار لها أنصار ، ومؤيدون ـ يدعون لها ويدافعون عنها ، ولقد بلغ تأثيرها من القوة حدا لم يبلغه تأثير دعوة أخرى منذ عهد بعيد .

شيوخه :

تتلمذ رحمه الله بالمدينة المنورة على الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف ، وأخذ عنه الكثير من العلم وأجازه بالحديث المشهور المسلسل في الاولية ، « الراحمون يرحمهم الرحمن » من طريقين :

أحدهما : من طريق ابن مفلح عن شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وينتهي الى الأمام أحمد .

والثاني : من طريق عبد الرحمن بن رجب عن ابن القيم عن ابن تيمية وينتهي الى الامام أحمد .

كما أجازه الشيخ بكل ما في ثبت الشيخ عبد الباقي الحنبلي شيخ مشايخ وقته قراءة وعلما وتعليقا . صحيح البخاري بسنده الى مؤلفه ، وصحيح مسلم وشروح الصحيحين وسنن الترمذي ، والنسائي ، وأبي داود ، وابن ماجة ومؤلفات الدارمي بسنده المتصل الى مؤلفه ، ومسند الامام الشافعي ، وموطأ مالك ، ومسند الأمام أحمد الى غير ذلك مما ثبت في ثبت الشيخ عبد الباقي .

ومن مشايخه أيضا الشيخ علي أفندي الداغستاني ، والشيخ اسماعيل العجلوني ، والشيخ عبد اللطيف العفالقي الاحسائي ، والشيخ محمد العفالقي الاحسائي ، والشيخ محمد المجموعي وغيرهم .

مؤلفاته :

ألف رحمه الله مجموعة من الكتب منها تفسير سورة الفاتحة ـ مختصر صحيح البخاري ـ مختصر السيرة النبوية ـ نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم النبيين ـ كتاب التوحيد ـ أصول الأيمان ـ كتاب الكبائر ـ كشف الشبهات ـ ثلاثة الأصول ـ مختصر الانصاف والشرح الكبير ـ آداب المشي الى الصلاة ـ أحاديث الفتن ـ مختصر زاد المعاد ـ المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية ، ورسائل عديدة أخرى أغلبها يدور حول موضوع التوحيد .

منهجه في الدعوة :

لم يكن للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مذهب مختص به كما يزعم ذلك أعداؤه وانما هو سلفي العقيدة ، حنبلي المذهب ، والذين يطلقون على دعوة الشيخ رحمة الله عليه اسم (الوهابية) ويزعمون أنها ابتدعت مذهبا جديدا ـ انما هم أحد رجلين اما جاهل بحقيقة هذه الدعوة أو عدو للأسلام يريد صد الناس عن دعوة الحق ـ ولقد حاول أعداء هذه الدعوة بأكاذيبهم ومفترياتهم أن يعزلوها عن بقية أنحاء العالم الاسلامي ، وأن يحصروها في نطاق الجزيرة العربية لكن الله الذي يؤيد عباده المصلحين ، لم يترك لهذا الحصار أن يدوم طويلا ، فقد هيأ لهذه الدعوة الخالصة لله أن تنتشر في كل مكان رغم الصعوبات التي وضعت في طريقها وشراسة الاعداء الذين يشوهون حقيقتها

ولقد تأثر بهذه الدعوة واقتبس من مبادئها رجال لهم مكانة في الاسلام والدعوة اليه ـ كجمال الدين الافغاني ـ بأفغانستان ، ومحمد عبده بمصر ، وجمال الدين القاسمي بالشام ، وخير الدين التونسي بتونس ، وصدّيق خان في بهوبال وأمير علي في كلكته وغيرهم .

وعلى هذا فدعوة الشيخ رحمه الله لم تزد على أنها دعوة للمسلمين الى الرجوع الى توحيد الله ، والابتعاد عن البدع والخرافات التي طغت على حياتهم فأبعدتهم عن العقيدة الصافية التي كان عليها الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن سار على نهجهم من المسلمين وهذا هو المنهج الذي سار عليه رحمه الله .

دعوة الى التوحيد ، وابتعاد عن الشرك ، ونبذ للبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

المفترون عليه :

لقيت دعوة الاصلاح هذه معارضة شديدة من أصحاب البدع والخرافات فراحوا يختلقون ضدها الاكاذيب ، ويفترون على صاحبها أشياء ما قالها ، ولم يقلها لينفروا بذلك الناس عن هذه الدعوة النقية الطاهرة ، فقالوا عنه : انه يكفر المسلمين . وأن أتباعه لا يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام وأشياء كثيرة ينسبونها الى صاحب هذه الدعوة ، ما كان القصد منها سوى تشويه الحقائق وابعاد الناس عن اتباع هذه الدعوة التي كان هدفها الأساسي انقاذ الناس من الشرك والاتجاه الى عبادة الواحد الذي لا شريك له ، ولقد نجح أولئك المفترون في تشويه حقيقة هذه الدعوة باعتبارها مذهبا جديدا يخالف المذاهب الاربعة وساعد على ذلك بعض علماء الضلال الذين ألفوا كتبا نفرت المسلمين أكثر عن اتباع هذه الدعوة الاصلاحية .

لكن الحقائق لم تلبث أن أظهرت للناس في جلاء ووضوح أن دعوة الشيخ رحمه الله لم تكن سوى دعوة الى العقيدة الصافية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومن هنا بدأ الناس يفهمون هذه الدعوة على حقيقتها واعترف لصاحبها بأنه من كبار المصلحين

والمجددين رحمه الله ورضي عنه .

المنصفون له :

أ : رأي بعض علماء المسلمين في دعوته :

قال عنه الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة ، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين كما ورد في الاحاديث .

ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو الى تجريد التوحيد ، واخلاص العبادة لله وحده ، بما شرعه في كتابه ، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وترك البدع والمعاصي واقامة شعائر الاسلام المتروكة وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة .

فنهدت لمناهضته واضطهاده . القوى الثلاث قوة الدولة والحكام ، وقوة أنصارهم من علماء النفاق ، وقوة العوام الطغام .

وقال علامة العراق الشيخ محمود شكري الالوسي رحمه الله كان الشيخ محمد من بيت علم في نواحي نجد . وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب عالما فقيها على مذهب الأمام أحمد ، وكان قاضيا في بلد العيينة ، ثم في حريملاء ، وذلك في أوائل القرن الثاني عشر وله معرفة تامة بالحديث والفقه وله أسئلة وأجوبة .

وكان والد عبد الوهاب الشيخ سليمان عالما فقيها أعلم علماء نجد في عصره ، له اليد الطولى في العلم وانتهت اليه رياسة العلم في نجد ـ صنف ودرس وأفتى .

الا أن الشيخ محمدا لم يكن على طريقة أبيه وجده ، وكان شديد

التعصب للسنة ، كثير الانكار على من خالف الحق من العلماء .

والحاصل أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجماعات.

وقد جد في تعليم الناس وحثهم على الطاعة وأمرهم بتعلم أصول الاسلام وشرائطه ، وسائر أحكام الدين ، وأمّر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح ، وبين العشائين بمعرفة الله ، ومعرفة دين الاسلام ، ومعرفة أركانه ومعرفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه وهجرته .

وأول ما دعا اليه كلمة التوحيد ، وسائر العبادات التي لا تنبغي الا لله ، كالدعاء والذبح ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والخشية والرغبة ، والتوكل ، والانابة ، وغير ذلك .

فلم يبق أحد من عوام أهل نجد ، جاهلا باحكام دين الاسلام بل كلهم تعلموا ذلك ، بعد أن كانوا جاهلين ، الا الخواص منهم .

وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة أي سيرته المرضية وارشاده النافع .

وقال العلامة الشيخ علي الطنطاوي متحدثاً عنه في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » ذكر فشو البدع قبل ولادة الشيخ « محمد » كما قال ، واعتقد الناس النفع والضرر بالرسول والصالحين ، وبالقبور والأشجار ، والقباب ، والمزارات ، فيطلبون منهم الحاجات ، ويرجعون في الشدائد اليهم ، وينذرون لهم ، ويذبحون لهم ، وأشتد تعظيم الأموات .

وكان حظ نجد في هذه الجاهلية الجديدة أكبر الحظوظ . فقد اجتمع على أهله الجهل والبداوة والفقر والانقسام في كل ناحية من نواحي نجد من الامراء بمقدار ما كان فيها من القرى .

ففي كل قرية أمير وفي كل ناحية جمعية أمم ، وكان في كل إمارة قبر عليه بناء او شجرة لها أسطورة يقوم عليها سادن من شياطين الأنس – يزين للناس الكفر ويدعوهم الى الاعتقاد بالقبر والذبح له والتبرك به والدعاء عنده . ثم ذكر شجرة تسمى شجرة الذئب ، وقبر « زيد بن الخطاب » وذلك على سبيل المثال .

قال : وكان العلماء قلة ، والحكام عتاة ظلمة ، والناس فوضى يغزو بعضهم بعضا ، ويعدو قويهم على ضعيفهم .

في تلك البيئة نشأ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فرأى شمس الاسلام الى أفول ، ورأى ظلمة الكفر الى امتداد وشمول .

وأراد الله له الخير فقدر له أن يكون أحد الذين أخبر الرسول انهم يبعثون ليجددوا لهذه الامة دينها ، بل لقد كان أحق بهذا الوصف من كل من وصف به في تاريخنا .

فقد حقق الله على يديه عودة نجد الى التوحيد الصحيح والدين الحق ، والالفة بعد الاختلاف ، والوحدة بعد الانقسام .

ولا أقول : ان الرجل كامل فالكمال لله .

ولا أقول : انه معصوم فالعصمة للأنبياء .

ولا أقول : انه عار عن العيوب والاخطاء .

ولكن أقول ان هذه اليقظة ، التي عمت نجدا ثم امتدت حتى جاوزته الى أطراف الجزيرة ، ثم الى ما حولها ، ثم امتدت حتى وصلت الى آخر بلاد الاسلام ، ليست الا حسنة من حسناته عند الله ان شاء الله.

وتحدث عنه الدكتور طه حسين .

فقال : ان الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب ، لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر ،

فلفتت اليها العالم الحديث في الشرق والغرب ، واضطرته ان يهتم بأمرها وأحدثت فيها آثارا خطيرة ، هان شأنها بعض الشيء ولكنها عادت فاشتدت في هذه الأيام ، وأخذت تؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقاتها بالامم الاوربية .

هذه الحركة هي حركة الوهابيين ، التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد .

الى أن قال : قلت ان هذا المذهب الجديد قديم معنى . والواقع انه جديد بالنسبة الى المعاصرين ، ولكنه قديم في حقيقة الأمر . لأنه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية .

هو الدعوة الى الاسلام ، كما جاء به النبي « صلى الله عليه وسلم » خالصا لله ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس .

هو احياء للاسلام وتطهير له ، مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب .

فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية في العقيدة والسيرة ، الى أن قال .

ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوة وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها ـ لكان من المرجو جدا أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر ، والثالث عشر الهجري كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الأول .

ولكن الذي يعنينا من هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والادبية عند العرب .

فقد كان هذا الأثر عظيما خطيرا من نواح مختلفة ، فهو قد

أيقظ النفس العربية فوضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت في سبيله ، بالسيف والقلم والسنان ، وهو لفت المسلمين جميعا .

ب : رأي بعض الغربيين في دعوته :

جاء في دائرة المعارف البريطانية وهي تتحدث عن الوهابية قولها :

الوهابية : اسم لحركة التطهير في الاسلام . والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده ، ويهملون كل ما سواها . وأعداء الوهابية هم أعداء الاسلام الصحيح .

وقال ستودارد الامريكي مؤلف « حاضر العالم الاسلامي » : كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدلي والانحطاط أعمق دركه فاربد جوه وطبقت الظلمة على صقع من اصقاعه ورجا من أرجائه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب الى أن قال .

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فالبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس ، سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية وخلت المساجد من ارباب الصلوات . وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين . يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات . ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج الى قبور الاولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .

وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يشرب الخمر والافيون في كل مكان .

وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء .

ونال مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ما نال غيرهما من سائر مدن

الاسلام .

وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيد القرار .

فلو عاد صاحب الرسالة الى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الاسلام ، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يعلن المرتدون ، وعبدة الاوثان .

وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجعته ، ومدلج في ظلمته اذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الاسلام يوقظ المؤمنين ، ويدعوهم الى الاصلاح ، والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم .

فكان الصارخ لهذا الصوت انما هو المصلح المشهور الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية ، فاشتعلت واتقدت ، واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامي .

ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القديم والعز التليد .

تبدت تباشير صبح الاسلام ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في علم الاسلام .

وقال برنادلوس العالم الفرنسي في كتابه العرب في التاريخ .

وباسم الاسلام الخالي من الشوائب الذي ساد في القرن الاول نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدعاً خرافية غريبة عن الاسلام الصحيح .

وقال الدكتور داكبرت المؤرخ الالماني في كتابه عبد العزيز :

كان لآل سعود الى جانب سيفهم الذي يستخدمونه في الفتح سلاح معنوي آخر . يدينون له بأعظم قسط من نجاحهم . ذلك السلاح من صنع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحد رجال الدين المطاردين في سبيل عقيدتهم ، والذي لجأ الى الدرعية عاصمة آل سعود في ذلك الحين ، فلقي لديهم الحماية والأمان . وكانت تملأ قلب محمد بن عبد الوهاب فكرة تجديد القوى العربية على أساس ديني ناسبا الى ابتعادهم عن سيرة السلف الصالح . وانقسامهم الى شيع . والى أبتعادهم عن خلقهم العربي الأصيل . سبب تلاشيهم الذي جعلهم في متناول النفوذ الاجنبي . الى ان قال : ورأى الشيخ ان سبب الانقاذ هو الرجوع الى تعاليم الدين المشروعة ، الى تعاليم الرسول الصحيحة .

فراح يبشر بوحي من ضميره وعقيدته بمحاربة البدع التي أدخلت على الاسلام عبر العصور الغابرة ، والضال المضل من تقارير علماء الدين غير مقيم وزنا الا لما نص عليه القرآن صراحة ، أو لما يمكن نسبته بصورة قاطعة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وراح يحارب بكل قواه المستمدة من عقيدته الصلبة تقديس الاولياء ، وجعلهم واسطة بين الله وبين الناس . وينادي بهدم الاضرحة ، ومزارات الاولياء ، وازالة معالمها اقتداءا بالنبي الكريم . الذي حارب بدعة تقديس الهياكل . وعبادة الأصنام الموروثة من الجاهلية .

وبعد فقد جاهد هذا المصلح الكبير رحمه الله في سبيل ارجاع المسلمين الى الاسلام الصحيح جهاد الدعاة المخلصين معرضا حياته للخطر صابرا محتسبا الى ان توفي عام ١٢٠٦ هجرية فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وجمعنا به في جنات الخلد اللهم استجب يا رب العالمين .

نبذة موجزة عن شارح الكتاب

الاسم : سعيد بن عبد العزيز الجندول

ولد في ليلى عاصمة بلاد الأفلاج عام ١٣٤١ هـ .

حياته العلمية :

عندما بلغ الثامنة من عمره أدخله والده في مدرسة يتعلم فيها القرآن الكريم ، وبعد أن أكمل حفظ القرآن نظراً بدأ يحفظه عن ظهر قلب وما ان بلغ الثالثة عشرة من عمره إلا وقد أكمل حفظ القرآن الكريم كله .

وبتوجيه من والده الذي حرص أن يحذو حذوه في طلب العلم أخذ يحفظ بعص الكتب الصغيرة في الحديث والتوحيد والفقه وخلال هذه الفترة من حياته سافر إلى الرياض حيث كانت ملتقى رواد العلم من جميع أنحاء المملكة وحيث تعقد حلقات العلم في المساجد بدأ ينهل فيها من مناهل المعرفة ، ولم يكن له من عمل سوى طلب العلم .

وفي مسجد من مساجد الرياض ، حيث توجد غرف يسكن بها الوافدون إلى هناك لطلب العلم ، سكن في غرفة متواضعة داخل المسجد مستغلاً كل وقته في طلب العلم ، وبقي متنقلاً بين حلقات العلم ، يختار منها ما يروق له من علوم اللغة والفقه والتوحيد والحديث وغيرها من علوم الشريعة ، وبقي في الرياض يتابع تعليمه على نظام الحلقات حتى

عام ١٣٦٠ هـ . حيث انتقل إلى الحجاز يطلب المزيد من العلم وفي مكة المكرمة أخذ يتابع تعليمه على بعض المشائخ في المسجد الحرام وبقي بها مدة غير طويلة ، انتقل بعدها إلى الطائف وهناك التحق بدار التوحيد وفيها حصل على الشهادة الابتدائية والشهادة الثانوية وبعد اكماله لدراسة المرحلة الثانوية انتقل إلى مكة لمواصلة دراسته العالية بكلية الشريعة .

وفي عام ١٣٧٥ هـ . حصل على شهادة كلية الشريعة (الليسانس) .

وفي عام ١٣٧٦ هـ . حضر دورة قصيرة في الجامعة الأمريكية للاطلاع على أحدث الطرق التربوية للتعليم في المرحلة الابتدائية .

وفي عام ١٣٨٤ هـ . حصل على شهادة تدريب في التخطيط التربوي من المركز الأقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية .

حياته الوظيفية :

بدأت حياته الوظيفية مع بداية عام ١٣٦٣ هـ . حين أن عين عضواً في هيئة الأمر بالمعروف .

وفي عام ١٣٧٥ هـ . وبعد حصوله على شهادة الليسانس من كلية الشريعة بمكة عين إماما وخطيباً في المسجد الحرام .

وفي العام نفسه عين مديراً للمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة .

وفي عام ١٣٨١ هـ . عين مساعداً لمدير التعليم بمكة .

ثم نقل إلى جهاز وزارة المعارف بالرياض في وظيفة مساعد مدير عام التعليم الثانوي .

وفي عام ١٣٨٦ هـ . نقل ليعمل مساعداً لمدير عام التعليم .

وفي عام ١٣٩١ هـ . صدر الأمر الملكي بتعيينه نائباً لرئيس هيئة التأديب .

بعض مشائخه :

بعض المشائخ الذين أخذ عنهم العلم على طريق الحلقات هم :

١ ـ الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ .

٢ ـ الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ .

٣ ـ الشيخ محمد بن مانع .

أما الذين تلقى عنهم العلم على الطريقة الحديثة للتعلم في دار التوحيد وكلية الشريعة فهم كثير وأغلبهم من علماء الأزهر .

النشاطات الأخرى :

شارك في عدة مؤتمرات تعليمية دولية ، وأسندت إليه مهمات أخرى تعليمية في بعض الدول العربية .

عضو في اللجنة الفرعية للتعليم ، وأحد أعضاء اللجنة العليا للتوعية الاسلامية .

مؤلفاته :

له من المؤلفات حتى الآن :

١ ـ كتاب التوحيد والتهذيب ، كتاب مدرسي ـ مقرر على طلبة السنة النهائية للمرحلة الثانوية بقسميها العلمي والأدبي .

٢ ـ كتاب مدرسي في التفسير وعلومه ـ مقرر على طلبة معاهد إعداد المعلمين .

٣ ـ كتاب الدر النضيد ، شرح على كتاب التوحيد للامام المجدد الشيخ ، محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله .

٤ ـ دفاع عن الاسلام ، وهو الآن مشارف على النهاية .

٥ ـ الجنس الناعم في ظل الاسلام ، مهيأ للطبع .

باب
التوحيد

وقول الله تعالى (**وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون**) الآية (٥٦ ـ الذاريات) وقوله (**ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) الآية (٣٦ ـ النحل) وقوله (**وقضى ربك الاّ تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا**) الآية (٢٣ ـ الاسراء) وقوله (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**) الآية (٣٦ ـ النساء) وقوله (**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الاّ تشركوا به شيئا**) الآيات (١٥١ ـ الانعام) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه ، من أراد أن ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى (**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** – الى قوله – **وأن هذا صراطي مستقيما**) الآية (١٥٣ – الانعام) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله » فقلت : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال « لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه في الصحيحين .

فيه مسائل

الاولى : الحكمة في خلق الجن والأنس .

الثانية : ان العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه .

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : **(ولا أنتم عابدون ما أعبد)** .

الرابعة : الحكمة في ارسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الانبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل الا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله **(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله)** الاية .

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الايات المحكمات في سورة الانعام عند السلف وفيها عشر مسائل أولها النهي عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الاسراء وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله **(لا تجعل مع الله الهاً أخر فتقعد مذموما مخذولا)** وختمها بقوله **(ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا)** ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسألة بقوله **(ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة** .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها

الله تعالى بقوله (**واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا**) .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق الله تعالى علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه . اذا أدوا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسئول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الارداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الارداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

الهدف :

قصد داعية التوحيد رحمة الله عليه من هذا الباب ، بيان أن العبادة لا تجوز الا لله الواحد ، خالق هذا الكون ومدبره .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب خمس ايات وحديث واحد .

فالآية الاولى : من هذه الآيات الخمس ، توضح أن الحكمة في

خلق الجن والانس هي أن يعبدوه وحده ، وعبادة الله تتمثل في اتباع أوامره ، واجتناب ما نهى عنه ، مما ورد في كتابه العزيز أو سنة رسوله الثابتة الصحيحة ، وعبادة الله معناها التذلل الكامل ، والخضوع التام ، والاعتراف الجازم ، بأن الله رب كل شيء وخالقه والمتصرف فيه ، وأن العبادة لا تصح الا له دون غيره .

والآية الثانية : فيها أخبار من الله ، أنه بعث في كل جيل من الناس رسولا يدعوهم الى عبادة الله ، واجتناب عبادة الطاغوت[1] ، ومعنى هذا أن رسالات الانبياء كلها من نوح الى موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ـ تلتقي حول نقطة واحدة هي الامر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة غيره ، ومثل هذه الآية قول الله تعالى (**وما أرسلنا من قبلك من رسول الاّ نوحي اليه ـ أنه لا اله الاّ أنا فاعبدون**) .

والآية الثالثة : (**وقضى ربك الا تعبدوا الاّ اياه**) فيها الامر من الله الاّ يعبد غيره ، لأن العبادة نهاية التعظيم ، ولا يليق ذلك الا بالخالق العظيم الواحد الاحد جل جلاله .

وكما أمر بافراده بالعبادة ، أمر كذلك بالاحسان الى الوالدين . فقال « **وبالوالدين احسانا** » يعني وأن تحسنوا الى الوالدين وتبروهما .

وتفصل الاية بعد ذلك ما يجب من الاحسان للوالدين فتقول : (**أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**) .

يعني اذا بلغ والداك أو أحدهما حالة الشيخوخة وصار عاجزا

(١) الطاغوت : كل معبود من دون الله من أنس أو جن أو صنم أو غير ذلك .

فلا تتأفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى منه الناس عادة ، ولكن عليك بالصبر واحتساب الثواب عند الله ، كما صبرا عليك في صغرك . « **ولا تنهرهما** » يعني لا تسمعهما كلاما يسيء الى مشاعرهما (**وقل لهما قولا كريما** » يعني كلاما حسنا مشعرا بالادب والاحترام . والاعتراف لهما بالفضل والاحسان . (**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**) أي تواضع لهما في رحمة وشفقة (**وقل رب ارحمهما**) في كبرهما وبعد وفاتهما (**كما ربياني صغيرا**) .

أما الآية الرابعة : ففيها الامر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وتأتي بعدها الآية الخامسة والاخيرة في هذا الباب والتي تسمى بآية الحقوق العشرة ، وهي قوله تعالى (**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم بعبادة غير الله ، وتحليلهم أو تحريمهم أشياء لم تكن بأمر من الله ، أقبلوا اليّ أقص ما حرم الله عليكم ، يقينا لا ظنا ولا تخرصا ، وانما هو وحي من الله الذي يملك حق التحريم والتحليل ، وقد بدأت الآية الكريمة بأكبر المحرمات وأشدها إفسادا للعقل والعقيدة ، وهو الشرك فقالت :

١ ـ (**أن لا تشركوا به شيئا**) أي ومما اتلوه عليكم وأوصيكم به ، الا تشركوا بالله شيئا من مخلوقاته التي أوجدها بقدرته وارادته وأخضعها لسلطانه ، وعبوديته (**ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا**) .

٢ ـ (**وبالوالدين احسانا**) يعني واحسنوا بالوالدين احسانا ، ولعظم عناية الله ببر الوالدين أن جعله ثاني الوصايا العشر وقرنه بعبادته كما قرن شكرهما بشكره ، في سورة لقمان بقوله : (**أن أشكر لي ولوالديك**) والمراد ببر الوالدين هنا احترامهما ، والابتعاد عن كل ما

يسيء الى مشاعرهما ، أو ينغص عليهما حياتهما وطاعتهما في كل أمر ، الاّ اذا كان ذلك الامر فيه معصية لله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٣ ـ (ولا تقتلوا اولادكم من أملاق نحن نرزقكم واياهم)

أي ومما وصاكم به الله ـ الاّ تقتلوا أولادكم خوفا من فقر يحل بكم فاني رازقكم واياهم ، وكان الناس قبل الاسلام يئدون بناتهم خشية العار ، ويقتلون أبناءهم الصغار خوفا من الفقر فحرم الله ذلك تحريما قاطعا ، واخبر فى آية من كتابه العزيز : أنه ما من دابة في الارض الا على الله رزقها .

٤ ـ (ولا تقربوا الفواحش[٢] ما ظهر[٣] منها وما بطن[٤]) أي ابتعدوا عن فعل كل أمر مستقبح في نظر الاسلام ، سرا أو علنا فالله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء .

٥ ـ (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاّ بالحق) أي لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بالاسلام الا بالحق يعني الا بسبب جرم أمر الشرع بقتلها من أجله ، كما ورد بذلك الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا يحل دم أمرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله ،

---

(١) الاملاق : الفقر .

(٢) الفواحش : هي الامور التي حرمها الاسلام كالزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، والكبر ، والحسد ، والظلم ، بكل أنواعه ، والآثام بكل صورها .

(٣) ما ظهر : ما يفعل علنا .

(٤) ما بطن : ما يفعل سرا .

وأن محمدا رسول الله الاّ بأحدى ثلاث ـ الثيب[1] الزاني ، والنفس بالنفس[2] ، والتارك لدينه المفارق للجماعة[3].

أو التي حرم قتلها بالعهد لما رواه الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد اخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا » (**ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**) أي ان الله تعالى وصاكم بهذه الوصايا ليعدكم لتعقل ما فيه الخير فتفعلوه ، وما فيه الشر فتتركوه .

٦ ـ (**ولا تقربوا مال اليتيم الاّ بالتي هي أحسن**) يعني لا تقربوا مال اليتيم اذا وليتم على أمره أو كانت لكم وصاية عليه الاّ بتنميته بالتجارة وغيرها مما يعود عليه بالربح (**حتى يبلغ أشده**) يعني حتى يبلغ سن الرشد ، فاذا بلغ الرشد وصار أهلا للتصرف فيه بعقل ومعرفة فسلموه اليه .

٧ ـ (**وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**) أي وأتموا الكيل اذا كلتم للناس أو كلتم عليهم لانفسكم ، وكذلك اذا وزنتم للناس أو وزنتم لانفسكم وقوله (**بالقسط**) أي بالعدل سواء لكم أو عليكم . (**لا نكلف نفسا الاّ وسعها**) أي لا نكلف من يبيع أو يشتري أن يكيل أو يزن بحيث لا يزيد أو ينقص الكيل أو الوزن ، حبة أو تمرة ، وانما يتحرى العدل والانصاف ، سواء له أو عليه ، فاذا حصل خطأ غير مقصود فان الله لا يحاسبه على ذلك .

---

(١) الثيب : هو الذي قد تزوج .

(٢) النفس بالنفس : معناه قتل القاتل عمدا بغير حق .

(٣) التارك لدينه : معناه المرتد عن الاسلام .

٨ - (**واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**) يعني كما يجب عليكم العدل في الافعال كالوزن والكيل كذلك يجب عليكم العدل في الاقوال ، اذا حكمتم أو شهدتم على أحد ، ولو كان المحكوم عليه ، أو المشهود له من ذوي القرابة .

٩ - (**وبعهد الله أوفوا**) أي أمركم بالوفاء بعهد الله ، وهذا شامل لكل عهد يلتزم به الانسان أمام الله . وأهم عهد التزم بهالانسان أمام ربه حين آمن به وبرسله ، هو امتثال أمره واجتناب نهيه . لذا كان لزاما عليه الوفاء بهذا العهد أينما كان وحيثما وجد . (**ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**) اي ذلكم الذي تلوته عليكم ، ووصيتكم به ، رجاء أن تتذكروا فتتعظوا ، وتتواصوا بترك ما أنتم عليه من أعمال تخالف شرع الله ودينه .

١٠ - (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) اي وأن هذا القرآن ، هو المنهاج المستقيم ، الذي ادعوكم اليه فاتبعوه . ولا تسلكوا سبل الضلالات فتفرقوا شيعا وأحزابا فتضلوا عن طريق الله ، طريق الاسلام فتصيروا الى الضياع والشقاء والهلاك .

(**ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) اي ذلك الامر باتباع الصراط المستقيم ، وصاكم عسى أن تتقوا الله فلا تقعوا في محذور يعرضكم لسخطه .

وفي نهاية هذا الباب يأتي حديث معاذ رضي الله عنه وفيه أمور :

أولا : تواضع نبي الله عليه الصلاة والسلام في ركوب الحمار الذي يأنف كثير من الناس من الركوب عليه .

ثانيا : الطريقة التربوية في احلال الاستفهام بدلا من طرح

السؤال مباشرة لما في ذلك من استثارة انتباه المسئول ، ورسوخ ما سيقال في ذهنه ، وذلك في قول الرسول عليه السلام لمعاذ (أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟) .

ثالثا : اعتراف المسلم بعجزه عن الشيء الذي لا يعلم حكمه من شريعة الله ، وذلك في جواب معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال (الله ورسوله أعلم) .

الرابع : معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله الا يعذب من لا يشرك به شيئا » وهذا يعني أن لله حقا على العباد ، وأن للعباد حقا على الله ، الا أن هناك فرقا بين حق الله على العباد ، وحق العباد على الله . فإفراد الله بالعبادة حق واجب على كل المخلوقين من الأنس والجن أما حق العباد على الله فهو حق تفضل واحسان أوجبه الله على نفسه ، ووعد الله صدق كما قال تعالى : (**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**) .

الخامس : استحباب إدخال السرور على نفس المسلم ، وذلك في قول معاذ رضي الله عنه « أفلا أبشر الناس » .

السادس : جواز كتمان العلم اذا كان فيه مصلحة وذلك في قول الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ « لا تبشرهم فيتكلوا » يعني لا تخبرهم فيخفف ذلك من عزيمة التنافس في أعمال الخير في نفوسهم ، ويمكن ان يكون المعنى لا تخبرهم فيعتقد من لا علم عنده بأن من مات لا يشرك بالله شيئا لا يعاقبه الله على ما فعل من ذنوب وآثام فيتمادى في المعصية ، ويسير في طريق الضلال .

والخلاصة من هذا الباب :

أ : أن علم التوحيد هو أصل الدين وأهم العلوم الاسلامية لانه هو المدخل الى الاسلام ، ولانه يحدد مكانة الخالق من المخلوق .

ب : ان تعلمه فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

جـ : الاقتناع التام بأن الله اله واحد ـ احد فرد صمد لا شريك له في عبادته .

د : ان التوحيد ينقسم الى ثلاثة أنواع .

الاول : توحيد الربوبية يعني الاعتقاد بأن الله رب كل شيء وخالقه لكن الاعتراف بهذا النوع وحده لا يكفي لدخول الانسان في الاسلام ، بدليل ان المشركين قديما كانوا يقرون بأن الله وحده خالق كل شيء ، ومع هذا اعتبرهم القرآن مشركين ، جاء ذلك في قول الله سبحانه وتعالى (**وما يؤمن أكثرهم بالله الأ وهم مشركون**) .

الثاني : توحيد الالوهية ـ يعني الايمان بأن الله وحده لا شريك له في عبادته ، وهذا هو التوحيد الذي نزلت به الكتب السماوية ، ودعا اليه جميع الرسل من نوح الى محمد عليهم الصلاة والسلام .

الثالث : توحيد الاسماء والصفات ، وهو اثبات جميع أسماء الله وصفاته ـ التي جاء بها القرآن الكريم ، أو وردت في الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تعطيل ، كما قال الله تعالى (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) .

باب

فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى (**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم**) الاية (٨٢ ـ الانعام) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أخرجاه .

ولهما في حديث عتبان « فان الله حرم على النار من قال لا اله الاّ الله يبتغي بذلك وجه الله » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال موسى : يا رب علمني شيئا اذكرك وادعوك به ، قال : قل يا موسى لا اله الاّ الله . قال يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن ـ غيري ـ والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه . وللترمذي وحسنه عن انس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم ، لو أتيتني بقراب الارض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا ، لاتيتك بقرابها مغفرة .

فيه مسائل :

الاولى : سعة فضل الله .

الثانية : ثواب كثرة التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الانعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

السادسة : أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا اله الاّ الله ويتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الانبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله الاّ الله .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع ان كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الارضين سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهن عمارا .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافا للاشعرية .

الثالثة عشرة : انك اذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان « فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله» انه ترك الشرك ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .
السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه .
السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار .
الثامنة عشرة : معرفة قوله « على ما كان من العمل » .
التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .
العشرون : معرفة ذكر الوجه .

الهدف :

قصد الداعية المجدد رحمه الله بيان أن ما اعد الله من جزاء عظيم للذين خلصت نفوسهم من كل عقيدة الاّ عقيدة التوحيد القائمة على العبادة الخالصة لرب العباد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية وأربعة أحاديث .

فالآية الكريمة مرتبطة بآيتين قبلها هما قول الله سبحانه وتعالى : **(وحاجه قومه قال اتحاجونيّ في الله وقد هداني ، ولا أخاف ما تشركون به الاّ أن يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء علما ، أفلا تتذكرون ؟ * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟ فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون ؟ * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** .

والمعنى الاجمالي لهاتين الآيتين أن قوم ابراهيم عليه السلام جادلوه في أمر التوحيد حين أنكر عليهم عبادة الاصنام وقالوا له : انا سائرون على ما وجدنا عليه آباءنا من اتخاذ الآلهة شفعاء عند الله ، وهذا لا ينافي الايمان بالله ، وخوفوا ابراهيم من أن تمسه آلهتهم بمكروه اذا هو استمر في انكار عبادتهم للاصنام والكواكب وغيرها . فرد عليهم ابراهيم

عليه السلام جدالهم ، كما حكى ذلك عنه القرآن بقوله : **(قال اتحاجوني في الله وقد هداني)** يعني اتجادلونني في أمر التوحيد الذي هداني الله اليه ، وتخوفونني من أصنام لا تضر ولا تنفع ، اني لا أخاف من معبوداتكم التي تعبدونها من دون الله ، ولن تستطيع اصابتي بسوء الاّ بمشيئة الله وارادته . واذا فأنا لا أخاف الا من الله وحده ثم عاد ابراهيم عليه السلام في تعجب وبحجة مقنعة ليقول لهؤلاء المشركين كما حكى عنه القرآن الكريم بقوله : **(وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا)** يعني عجبا لكم ايها المجادلون السالكون غير طريق الله ، تطلبون مني أن أخاف من مخلوقات ضعيفة هزيلة ولا تخافون الله في شرككم معه احدا في عبادته ، كان ينبغي لكم أن تخافوا من غضب الله وعقابه . فيما ارتكبتموه من جرم في حق الله بدلا من تخويفكم لي من أشياء ما أنزل الله بها من سلطان. ثم قال: **(فأي الفريقين أحق بالأمن)** يعني أيهما أحق بالأمن ـ فريق الموحدين الذين اخلصوا العبادة لله ، أو فريق المشركين الذين سلكوا سبيل الضلال **(ان كنتم تعلمون)** اي ان كان لديكم علم بذلك . وهنا يفصل الله بين ابراهيم وقومه في الامر فيوضح من يستحق الامن . من هؤلاء الفريقين اذ يقول : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** أي الذين آمنوا بالله ايمانا لا تردد فيه ولا شرك هم الذين يمنحهم أمنه وسعادته ، أما أولئك الذين أشركوا مع الله أحدا في عبادته فانه لا أمان لهم من عذاب الله وسيلقون جزاءهم يوم القيامة .

وحينما نزلت الآية الكريمة شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم ظنا منهم ، أن الظلم المذكور فيها ـ هو ظلم الانسان نفسه ، فبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن الظلم الوارد في الآية معناه الشرك ،

وليس كل ظلم يقع فيه المسلم ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت (**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم**) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه فقال : انه ليس الذي تعنون . ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (**يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم**) ؟ انما هو الشرك .

وبعد هذه الآية الكريمة .

يأتي الحديث الأول في هذا الباب ، وهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وبه أمور خمسة من آمن بها وعمل بما تدل عليه في الظاهر والباطن أدخله الله الجنة .

الاول : قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من شهد أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له » يعني من آمن في صدق ويقين ، بأن لهذا الكون الها أوجده من العدم ، واعترف بالوحدانية المطلقة لله وتجرد من كل عبادة لغيره ، وعمل بما تدل عليه شهادة أن لا اله الا الله من اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه قولا وعملا .

الثاني : قوله « وأن محمدا رسول الله » يعني من اعتقد اعتقادا لا لا يقبل الشك بأن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول من عند الله أرسله الله الى الانس والجن برسالة شاملة كاملة ، وانه خاتم النبيين ، وأن رسالته خاتمة الرسالات ، وآمن بأنه عبد من عباد الله شرفه الله بحمل رسالته الى العالم فصدقه فيما أخبر ، وأطاعه فيما أمر ، وابتعد عما عنه نهى وزجر ، وعرف له قدره وأنزله المنزلة الرفيعة التي منحها له ربه وأحبه أكثر من ولده ووالده ، والناس أجمعين .

الثالث : قوله وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه يعني من اعتقد أن عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من

عباد الله ورسول من رسله ، وأنه ليس ابن سفاح كما يزعم ذلك اليهود ، وليس هو الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة كما يزعم ذلك النصارى - بل هو عبد من عباد الله شرفه بحمل رسالته الى قومه يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وقد جاء اعتراف عيسى عليه السلام بعبوديته لله ، وهو ما يزال صبيا في مهده ، اذ يقول القرآن الكريم في ذلك من سورة مريم (٢٩ - ٣٦) (**فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ؟ * قال : اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ***) وانه وجد من كلمة كن الدالة على التكوين ، وآية الله في خلق عيسى بكلمته من غير وساطة أب وجعله بشرا سويا بما نفخ فيه من روحه ، كآيته في خلق آدم بكلمته ، وما نفخ فيه من روحه ، فخلقهما جاء على غير الطريقة المألوفة لدى الناس « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وأن كلمة (**وروح منه**) لا تدل على أن عيسى عليه السلام جزء من الله كما يزعم ذلك بعض النصارى ، بمعنى انه ابنه تعالى الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وانما المقصود بكلمة (**روح منه**) انه روح من تلك الارواح التي استخرجها الله من صلب آدم وأخذ عليها العهد والميثاق بقوله : (**ألست بربكم قالوا بلى شهدنا**) - الآية ، ومن هنا فان كلمة (**روح منه**)

تعم كل المخلوقات كما قال الله تعالى : (**وسخر لكم ما في السموات ومافي الارض جميعا منه**) يعني خلقا وايجادا ، وعيسى كذلك أوجده الله كسائر المخلوقات .

الرابع : قوله « والجنة حق » أي واعتقد ان الجنة التي أعدها الله للطائعين من عباده حقيقة لا شك فيها ، وانها المقر الاخير للمؤمنين به السالكين سبيل رسوله كما قال تعالى : (**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون**) .

الخامس : « والنار حق » اي واعتقد ان النار التي توعد الله بها الكافرين والمنافقين **حقيقة** لا ريب فيها كما قال الله تعالى : (**فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**) الاية (٢٤ سورة البقرة) .

هذه الامور الخمسة من آمن بها في صدق وايمان فان الله « يدخله الجنة على ما كان من العمل » وفي هذا ضمان بدخول الجنة لمن مات على التوحيد ، حتى لو مات وهو يمارس المعاصي ، فان الله اما أن يتجاوز عنه وهو أهل للعفو والغفران ، واما أن يعذبه على قدر معصيته ، ثم يدخله الجنة ، وهذه مزية كبيرة لمن مات موحدا لله في عبادته .

الحديث الثاني ــ حديث عتبان وفيه « أن الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله » .

وفيه دلالة صريحة على أن من اعترف لله بالوحدانية ، ولم يشرك مع الله أحدا في عبادته ، وأدى ما تستلزمه لا اله الا الله قولا وعملا فان الله يمنحه الضمان من دخول النار ، والامان من دخول النار هو مطلب العباد ، والزهاد ، والصالحين .

ويأتي الحديث الثالث حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو يحكي قصة موسى عليه السلام مع ربه ، فقد طلب موسى من ربه أن يعلمه دعاء يسأله به ، ويثني به عليه . فقال له ربه : يا موسى : قل لا اله الا الله فقال موسى لربه «كل عبادك يقولون هذا وأنا أطلب منك دعاء تخصني به». فقال له القادر العظيم : يا موسى لو أن السموات السبع وما فيهن من المخلوقات والارضين السبع في كفة ميزان ولا اله الا الله في الكفة الاخرى ، مالت بهن لا اله الا الله ، وهذا فيه دلالة على أن لا اله الا الله هي أفضل شيء يمكن ان يذكر الله به ، ومما ورد في فضلها وعظيم شأنها ، ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدّ البصر ثم يقال : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب فيقال : أفلك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول : لا ـ فيقال بلى ، ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها : أشهد ان لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : انك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة** » .

أما الحديث الرابع والاخير في هذا الباب فهو الحديث القدسي وفيه وعد من الله لمن مات لا يشرك بالله شيئا أن يجزيه على ذلك بمغفرة ذنوبه مهما كانت كثرتها ، وهذا يدل على فضل التوحيد وكثرة تكفيره للذنوب .

باب
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى (**ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين**) الاية (١٢٠ - **النحل**) .

وقال (**والذين هم بربهم لا يشركون**) الاية (٥٩ - **المؤمنين**)

عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة فقلت : أنا ثم قلت : أما اني لم اكن في صلاة ولكني لدغت قال : فما صنعت ؟ قلت ارتقيت قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت حديث حدثناه الشعبي قال : وما حدثكم ؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية الآ من عين أو حمة . قال : قد أحسن من انتهى الى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « عرضت علي الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، اذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت انهم أمتي ، فقيل لي هذا موسى وقومه فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في اولئك فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا ، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم : قال انت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن

يجعلني منهم ، فقال « سبقك بها عكاشه » .

· فيه مسائل :

الاولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الاولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم انهم لم ينالوا ذلك الا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ـ عليه السلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للانبياء .

الرابعة عشرة : ان من لم يجبه أحد يأتي وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة .

السادسه عشره : الرخصة في الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى الى ما سمع ولكن كذا وكذا . فعلم أن الحديث

الاول لا يخالف الثاني .

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه .

التاسعة عشرة : قوله « أنت منهم » علم من أعلام النبوة .

العشرون : فضيلة عكاشة .

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

الهدف :

قصد داعية التوحيد من هذا الباب بيان ما أعده الله للذين أخلصوا لله في ايمانهم واتجهوا اليه وحده في عبادتهم ، من نعيم خالد هو دخول الجنة .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديثان .

الآية الاولى من هاتين الآيتين قول الله تعالى : (**ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين**) والمعنى ان الله تعالى جلت عظمته . مدح عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد الانبياء بجملة صفات هي الغاية في تحقيق التوحيد .

فوصفه **أولا** : بأنه وحده كان أمة ، يعني قدوة للمؤمنين ورئيسا للموحدين .

ثانيا : انه كان قانتا يعني مداوما على طاعة الله ، قائما بأمره في صدق ويقين .

ثالثا : انه كان حنيفا ، والحنيف معناه المائل عن الدين الباطل ، الى الدين الحق .

رابعا : انه ما كان من المشركين ـ يعني لم يكن سائرا على ما سار

عليه المشركون من عبادة الاصنام والكواكب ، وانما كان موحدا لله مؤمنا به مخلصا له في عبادته ، وهذا هو تحقيق التوحيد .

والآية الثانية هنا هي قوله تعالى : (**والذين هم بربهم لا يشركون**) اي الذين لا يعبدون معه غيره ، ويعتقدون في ايمان صادق ، بان الله وحده أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

بعد هاتين الآيتين يأتي حديث حصين رضي الله عنه وفيه يحكي قصة حصلت له في مجلس سعيد بن جبير هو وجماعة معه اذ سأل سعيد من عنده قائلا « أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ، يعني من منكم شاهد النجم الذي سقط البارحة قال حصين : قلت أنا ، ولحرص السلف الصالح ومنهم حصين رضي الله عنه على البعد عن مدح الانسان بما ليس فيه ، وخوفا من أن يكون في كلامه ، ايهام للسامعين بأنه حينما شاهد النجم أنه كان في عبادة فيكون ذلك رياءا ، أستدرك قائلا « أما اني لم اكن في صلاة ولكني لدغت » يعني أن عقربا لدغته ، قال له سعيد رضي الله عنه : فما صنعت . يعني ما فعلت ، قلت « ارتقيت » يعني طلبت من يعالجني ، بالرقية والرقية تكون اما بقراءة بعض آيات من القرآن الكريم ، أو ادعيه مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سعيد « فما حملك على ذلك ، يعني ما دليلك على جواز هذا العمل الذي عملته ، قال حصين : قلت حديث حدثناه الشعبي ، قال سعيد وما حدثكم ، قال حصين ، حدثنا عن بريده بن الحصيب أنه قال : لا رقية الا من عين أو حمة . يعني لا رقية أقرب الى الشفاء ـ من الاصابة بالعين والحمة ـ بضم الحاء وتخفيف الميم ـ سم العقرب وغيرها من الحشرات السامة .

قال سعيد في ادب العالم : قد أحسن من انتهى الى ما سمع يعني

قد أحسن عملا من عمل شيئا عن علم .

قال سعيد رضي الله عنه ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « عرضت علي الامم » الحديث هنا لم يتعرض لمكان وزمان العرض ولذا سوف لا نتعرض له الآن الاّ اذا ورد ما يدل على ذلك . قوله : « فرأيت النبي ومعه الرهط » يعني أنه عليه السلام رأى في هذا العرض بعض الانبياء ، وليس معه من أتباعه الا أشخاص قليلون يبلغ عددهم العشرة .

قوله : « والنبي معه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد » ورأى كذلك بعض الانبياء ، وليس معه سوى رجل أو رجلين ، ومنهم من ليس معه أحد وهذا يدل على أن الاكثرية الساحقة من الناس لا يسيرون على هدى انبيائهم وأن الصادقين لله في توحيدهم أقل بكثير من ذوي النفوس المنحرفة عن طريق الهدى ـ كما تشير الى ذلك الآية الكريمة (**وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله**) .

قوله : « اذ رفع لي سواد عظيم » يعني رأيت في الافق البعيد أشياء لا أستطيع تمييزها لبعدها .

قوله : « فظننت أنهم أمتي » وذلك لأن بعد الاشياء عن النظر يجعل الانسان لا يدرك غير الصورة فقط

قوله : « فقيل لي هذا موسى وقومه » وفي هذا دليل على كثرة أتباع موسى عليه السلام ، من بني إسرائيل . وقد ورد في صحيح مسلم « ولكن انظر الى الافق » ولم يذكره المصنف فلعله سقط من الاصل الذي نقل الحديث منه ، قوله « فنظرت فاذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ،

قوله (**ثم نهض**) يعني قام من بين أصحابه ودخل بيته « فخاض الناس في أولئك » أي فبدأ الصحابة يتساءلون فيما بينهم ، ويتباحثون فيمن يكون أولئك الذين يحصلون على هذا الفضل العظيم ، ليعملوا مثلهم . الى أن خرج عليهم الرسول عليه السلام فقال : « هم الذين لا يسترقون » أي لا يطلبون من احد أن يرقيهم ، توكلا على الله واعتمادا على أن المرض حصل بأمر الله ، والشفاء انما يكون بأمر من الله ، ومن تمام التوكل على الله تفويض الامر اليه ، وقوله : (**ولا يكتوون**) يعني لا يسألون غيرهم أن يكويهم ، استسلاما لقضاء الله وقدره ، وقوله : (ولا يتطيرون) أي لا يتشاءمون بالطيور وللتطير باب سيأتي ان شاء الله .

قوله : « وعلى ربهم يتوكلون » يعني أنهم لعمق ايمانهم ، يفوضون أمرهم الى الله ، رضاء بقضاءه وقدره ، وليس معنى هذا أنهم يحرّمون تعاطي أسباب الشفاء من المرض ، ولكنهم يتركون الأمور المكروهة مع احتياجهم اليها توكلا على الله والتجاءا اليه .

لكن تعاطي أسباب العلاج في الحقيقة لا ينافي التوكل على الله ، فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : الشفاء في ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنا أنهى أمتي عن الكي ، وفي لفظ آخر « وما أحب أن اكتوي » وكلام النبي عليه السلام في تحديد الشفاء في ثلاثة أشياء جاء في وقت لم تكن الوسائل العلاجية فيه متوفرة ، كما هو الحال في عصرنا هذا لكنه عليه الصلاة والسلام أخبر انه ما من مرض الآ ويوجد له علاج وما هو حاصل الان من تطور في عالم الطب فيه دليل على أن نبي الله عليه السلام لا ينطق عن الهوى ، ولا يقول الآ ما هو حق فقد

تطور الطب تطورا كبيرا استطاع من خلاله القضاء على كثير من الأمراض ورغم هذا التطور فما تزال هناك بعض الأمراض يقف أمامها الطب عاجزا عن ايجاد علاج لها ـ حتى عصرنا هذا ، جاء هذا الخبر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الوارد في الصحيحين ـ حيث يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أنزل الله من داء الآّ أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » .

قوله : « فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم قال : أنت منهم » وفي هذا بشارة عظيمة يبشر بها الرسول عليه الصلاة والسلام واحداً من أصحابه . وعكاشة هذا من بني أسد بن خزيمة ، كان من السابقين الى الاسلام ، شهد بدرا وقاتل فيها ، واستشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه : ولعل الرسول عليه السلام قد بشره بالجنة لما يعلمه عنه من صدق مع الله ، ولأنه ممن شهد بدرا وقد جاء في الحديث « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، والراجح أن عكاشة رضي الله عنه حينما طلب من الرسول عليه الصلاة والسلام الدعاء له قال : (اللهم اجعله منهم كما وردت بذلك رواية البخاري فاستجاب الله دعاءه فقال لعكاشة أنت منهم .

قوله : « ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم » ولأن الرجل لم يكن له من الفضل والسبق في الاسلام مثل ما لعكاشة ، وخوفا من أن يقوم ثالث ورابع ويطلب كل من كان حاضرا الدعاء له بدخول الجنة سدّ الباب بقوله عليه السلام : « سبقك بها عكاشة » . ولما يتمتع به نبي الله من أدب رفيع وحسن خلق لم يقل لذلك الرجل : لست منهم . فيجرح بذلك إحساسه ، ولكنه قال سبقك بها عكاشة .

باب
الخوف من الشرك

وقول الله تعالى (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) الآية (٤٨ ـ **النساء**) وقال الخليل عليه السلام (**واجنبني وبني أن نعبد الاصنام**) الآية (٣٥ ـ **ابراهيم**) .

وفي الحديث « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » فسئل عنه فقال « الرياء » وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار » رواه البخاري ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » .

فيه مسائل :

الاولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : انه من الشرك الاصغر .

الرابعة : انه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .

السابعة : انه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه

يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الاصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الاكثر لقوله (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) .

العاشرة : فيه تفسير « لا اله الا الله » كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

الهدف :

قصد أمام الدعوة قدس الله روحه من هذا الباب بيان العقاب الرهيب لمن مات مشركا بالله في عبادته . وتوضيح خطأ ما يعتقده كثير من الناس من ان خطر الشرك قد زال بزوال الجاهليات الأولى .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وثلاثة أحاديث .

فالآية الاولى قيل في سبب نزولها انه لما نزل قول الله تعالى (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم**) .

قام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فتلاها على الناس فقام اليه رجل فقال : والشرك بالله فسكت مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) والآية الكريمة هذه فيها تحذير من العاقبة المؤلمة لمن لقي الله مشركا ، وفيها إخبار بأن كل ذنب يمكن أن يتجاوز الله عنه الاّ الشرك بالله في عبادته ، وهذا يدل على أنه أعظم ذنب يمكن أن يلقى الانسان به ربه . ولذا جاء في الاية ((**ان الله لا يغفر أن يشرك به**) .

لأن الشرك معناه انزال المخلوق منزلة الخالق ، ورفع العبد الى مقام الاله والعبادة كلها بجميع صورها حق من حقوق الله فاذا سلب هذا الحق وأعطي لمخلوق كان معنى ذلك تسوية المخلوق بالخالق ، وجعل الفقير العاجز مكان القادر القاهر ، وفي هذا اعتداء على حق الله وتقليل من شأن رب العالمين ، من هنا كان الشرك أعظم الذنوب جرما ، وأشدها عقابا من أي ذنب آخر ، جاء ذلك في قول الله تعالى : (**انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين مَن أنصار**) والآية هنا تشمل كل مشرك على وجه الأرض ، لا فرق في ذلك بين عبدة البقر والنار ولا بين أهل الكتاب من يهود أو نصارى ، ولا بين من اتخذ الهه هواه من دهريين وغيرهم ، كل هؤلاء وأمثالهم من عبدة الاصنام والاوثان اذا ماتوا على الشرك استحقوا الخلود في النار وبعد أن أوضح الله سبحانه انه لا يغفر لمن مات وهو مشرك بيّن أن ما دون الشرك من الذنوب يغفره لمن يشاء من عباده ، فقال : (**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) يعني أن من مات وعليه ذنوب وهو غير مشرك فانه يكون تحت مشيئة الله ، ان شاء عفا عنه ، وان شاء عذبه على قدر ذنبه .

أما الآية الثانية في هذا الباب فهي قوله تعالى (**واجنبني وبني أن نعبد الاصنام**) .

والآية الكريمة تشير الى طلب ابراهيم عليه السلام من ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الاصنام . ويثبته هو وبنيه على التوحيد ، وقد استجاب الله دعاءه فجعل بنيه أنبياء ، وجنبهم عبادة الاصنام .

بعد هاتين الآيتين يأتي الحديث الاول في هذا الباب وفيه ان النبي عليه الصلاة والسلام ، أخبر أن أشد ما يخافه على أمته الشرك الاصغر ،

ولما سئل عليه السلام عن الشرك الاصغر قال : الرياء والرياء هو أن يعمل الانسان أعمالا في ظاهرها أنها لله ، ولكنه يريد من هذا العمل شيئا آخر هو ثناء الناس عليه ، ووصفه بالصلاح والتقوى ، لكن هذا النوع من الشرك لا يخرج المسلم عن دينه .

أما الحديث الثاني ، وهو حديث ابن مسعود ففيه أن من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار ، والند معناه الشريك ، فمن جعل لله شريكا في عبادته من نبي أو ولي أو أي مخلوق آخر يعظمه كما يعظم الله ، أو يخافه كما يخاف من الله ، أو يرجوه كما يرجو الله ، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله . فقد جعله مساويا لله وشبيها له،لذ فقد أشرك مع الله شركا أكبر ، ويخرج بسببه من الاسلام ، ويستحق به دخول النار .

والحديث الأخير في الباب هو حديث جابر رضي الله عنه وفيه أن من فارق الحياة متجردا من كل عبودية الا لله دخل الجنة . الا ان كانت عليه ذنوب كبيرة ، فهو تحت مشيئة الله ان شاء غفر له وادخله الجنة ، وان شاء عذبه على قدر ذنبه وأدخله الجنة .

وان من مات مشركا مع الله في عبادته دخل النار . ولذا فان على المسلم أن يكون حذرا من الوقوع في الشرك الذي لا يغفره الله .

باب
الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله

وقول الله تعالى (**قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة**) الاية (١٠٨ - يوسف) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال له « انك تأتي قوما من أهل الكتاب » فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله وفي رواية الى أن يوحدوا الله ، فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » اخرجاه . ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر « لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم ، أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال : « أين علي بن أبي طالب » فقيل هو يشتكي عينيه ، فارسلوا اليه فأتى به فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا

خير لك من حمر النعم . يدوكون : أي يخوضون .

فيه مسائل :

الاولى : أن الدعوة الى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم .

الثانية : التنبيه على الاخلاص لأن كثيرا من الناس لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه .

الثالثة : ان البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة .

الخامسة : ان من قبح الشرك كونه مسبة لله .

السادسة : وهي من أهمها ابعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى « أن يوحدوا الله » معنى شهادة ان لا اله الا الله .

العاشرة : ان الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها ، أو يعرفها وهو لا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالاهم فالاهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبه عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الاموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .
السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب .
الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الاولياء من المشقة والجوع والوباء .
التاسعة عشرة : قوله « لاعطين الراية » الخ علم من أعلام النبوة .
العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضا .
الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه .
الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح .
الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى .
الرابعة والعشرون : الادب في قوله « على رسلك » .
الخامسة والعشرون : الدعوة الى الاسلام قبل القتال .
السادسة والعشرون : انه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .
السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله « أخبرهم بما يجب عليهم » .
الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام .
التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .
الثلاثون : الحلف على الفتيا .

الهدف :

قصد الامام المصلح رحمه الله من هذا الباب بيان وجوب دعوة الناس إلى توحيد الله واخلاص العبادة له ، والبعد عن كل ما يلوث عقيدة المسلم من شرك أو بدع أو خرافات .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وحديثان .

الآية الكريمة بعد أن بين الله سبحانه وتعالى في آيات سابقة لهذه الآية الدليل القاطع على وجود الله المتمثل في هذا الكون المحير للعقل في احكامه ودقة نظامه ، وخفاء أسراره ، وما عليه البشر من غفلة عن التفكير في آيات الله الدالة على وحدانيته .

أمر رسوله عليه الصلاة والسلام ، أن يخبر الناس بأن طريقه هي الدعوة الى توحيد الله واخلاص العبادة له وحده . فقال : « **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** » اي قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو اليها ، والطريقة التي أنا سائر عليها ، من الدعوة الى توحيد الله واخلاص العبادة له ومحاربة الاصنام والاوثان ، هي سنتي ومنهاجي (**ادعو الى الله**) الى توحيد الله الواحد الاحد (**على بصيرة**) أي على علم قاطع بما ادعو اليه ، (**أنا**) وكذلك يدعو اليه (**من اتبعني**) يعني من آمن بي واتبع طريقتي . (**وسبحان الله**) يعني أنزه الله وأعظمه ، عن الشركاء والانداد ، (**وما أنا من المشركين**) أي ما أنا ممن أنكر نعمة الله عليه فأشرك معه في عبادته .

بعد الآية الكريمة هذه يأتي حديث بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن ، داعيا لتوحيد الله وحاكما ينفذ شريعة الله ، على ضوء توجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام . التي جاء فيها قوله : (**انك تأتي قوما من أهل الكتاب**) يشير بذلك الى اليهود والنصارى الذين يمثلون الاكثرية من سكان اليمن في ذلك الزمن ، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام بهذا يقول لمعاذ كن مستعدا لمواجهة مجادلة قد تحصل

بينك ، وبين أولئك اليهود والنصارى ومع هذا فقد حدد عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه الاشياء التي يدعوهم اليها بأمور خمسة رتبها واحدا بعد الآخر فقال : (فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله) وفي رواية الى أن يوحدوا الله وبهذا وضح الرسول عليه السلام بداية الطريق الى الدخول في الاسلام وبين أن أول نقطة يبدأ بها الانسان ليكون مسلما هي الشهادة القاطعة بأن الله واحد لا شريك له في عبادته وأنه لا معبود بحق في هذا الوجود غيره وما من نبي جاء قبل محمد عليه السلام الاّ وهو يفتتح رسالته بالدعوة الى الاعتراف بالعبودية المطلقة لله رب العالمين ـ كما أشار الى ذلك قول الله جلت قدرته **(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الاّ أنا فاعبدون)** ومن هنا يتضح ان رسالات الانبياء كلها تلتقي حول نقطة واحدة هي توجيه البشرية الى الاعتراف بوحدانية الله ، واخلاص العبادة له وحده قوله : « وفي رواية الى أن يوحدوا الله » يعني ادعهم الى أن يوحدوا الله .

ولأن كل عمل لا يقوم على توحيد الله فهو باطل ، وغير مقبول عند الله ، قال عليه الصلاة والسلام « فان هم أطاعوك لذلك ـ اي فان استجابوا الى ما دعوتهم اليه من توحيد الله والكفر بكل معبود غيره .

فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة وهذا دليل على أهمية الصلاة اذ تأتي في المرتبة الثانية بعد كلمه التوحيد ، فاذا هم امتثلوا بذلك وأقاموا الصلاة » فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم،ولأن الزكاة قرينة الصَلاة فقد جاءت في المرتبة الثالثة ، ولذا ورد في حديث لابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله « أمرت بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلا صلاة له كما جاء ذكرها أيضا مقترنا

بالصلاة في قول الله تعالى (**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**) هذه الزكاة المفروضة تؤخذ من أهل الثراء وتوزع على الفقراء وهذه ميزة لا توجد في غير الاسلام وفي توجيه الرسول عليه السلام بتوزيع الزكاة على الفقراء دون أن يتعرض لأهل الزكاة الثمانية الوارد ذكرهم في القرآن الكريم دليل على أنهم أولى بها من غيرهم،وادراكا من الرسول عليه السلام لحب الانسان لماله ، ولو أنه في الحقيقة مال الله ، وخوفا من أن لا يأخذ معاذ رضي الله عنه للزكاة الاّ أفضل المال وأحسنه ، فتتأثر نفوس أهل الاموال فيخرجونها وهم كارهون ، قال النبي عليه السلام لمعاذ : « فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم » أي احذر أن تأخذ أجود ما لديهم من الابل أو الغنم أو غيرها وانما عليك بالوسط فهو أقرب الى اخراج الزكاة عن طيب نفس ، وحتى لا تكون هناك تفرقة في معاملة الناس ، ولتحقيق العدالة بين جميع أفراد المسلمين حذر الرسول عليه السلام معاذا من عاقبة الظلم فقال : «واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » أي احذر أن تفرق بين الناس في معاملتك ، أو تحابي في أمر من أمورك أو تأخذ أحدا بغير حق ، فان هذا ظلم ، ودعوة المظلوم لا شيء يحجبها عن الله فكن على حذر منها ، وفي الحديث اشارة الى ان الحاكم اذا ولىّ احدا على أمور المسلمين ، ينبغي له أن يوجهه بالتوجيهات التي يرضى عنها الله ، محذرا له من كل ظلم أو حيف أو انحراف وفي نهاية هذا الباب يأتي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزوة خيبر ، « لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه » وفي هذا الجزء من الحديث أمران :

الاول : وصف ذلك الرجل الذي سوف يتسلم الراية بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وهذا دليل على شدة ارتباط ذلك الرجل بالله ، وعمق ايمانه برسالة محمد نبي الله .

الثاني : اخباره عليه السلام بأن فتح خيبر يكون على يديه وهذا دليل من أدلة نبوته عليه السلام ، فقد فتح الله خيبر بقيادة ذلك الرجل المؤمن الصالح .

قوله : فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها « أي ان الناس في تلك الليلة أخذوا يخمنون من يكون ذلك الرجل السعيد الذي سيحوز فضل حمل راية الحق ، ولأن الوصف الذي وصف به الرسول عليه السلام ذلك الرجل ، وهو حب الله ورسوله ينطبق على أصحاب رسول الله ، لأنهم جميعا يحبون الله ورسوله فقد ظن كل واحد منهم أنه صاحب الراية ،وحينما اجتمعوا عند رسول الله عليه السلام في خشوع المؤمنين ، قال « أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل هو يشتكي عينيه فأرسلوا اليه ، فأتي به . فبصق في عينيه ، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام ، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ، يعني ان الرسول عليه السلام وهو يبحث بين الحاضرين عن علي رضي الله عنه شعر الصحابة رضي الله عنهم انه هو صاحب الراية ، وجاء علي رضي الله عنه الى رسول الله أرمد يقوده أحد الصحابة وجلس الى رسول الله في أدب المؤمن أمام نبي الله وبقليل من ريق رسول الله في عيني علي ودعاء له بالشفاء برأ في الحال ، فأعطاه الراية (**وكانت راية رسول الله**

صلى الله عليه وسلم مكتوب عليها لا اله الاّ الله محمد رسول الله)

وقال له : (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، أي اذهب برفق ومن غير عجلة ـ حتى تنزل قريبا منهم في أرضهم وهذه سياسة حربية حكيمة يعلمها القائد الاعلى لقائد من قواد جيوشه اذ يأمره أن يكون قريبا من الاعداء ليستطلع أخبارهم وليدخل الرعب في قلوبهم ، ليس عن طريق الاندفاع وراء العواطف الملتهبة بدون تعقل ، ولا عن طريق اظهار القوة بالصراخ والضجيج دون تحسب للعواقب ، وانما عن طريق التخطيط المحكم وأخذ الامور بالتعقل والحكمة وبعد النظر .

قوله « ثم ادعهم الى الاسلام » أي بعد أن تنزل بساحتهم في ثبات المؤمن الواثق من نصر الله ، أطلب منهم الدخول في الاسلام ، فاذا شهدوا أن لا اله الاّ الله وأن محمدا رسول الله ـ فأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه « يعني اذا أسلموا فأخبرهم في رفق ولين بما أوجب الله عليهم في الاسلام ـ من صلاة ، وزكاة ، وحج وغير ذلك مما أمر الله به وما نهى عنه من كفر وانحراف ، أو فسوق وعصيان .

قوله : فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » . يعني لو خرج رجل من الكفر الى الاسلام بسبب دعوتك . كان ذلك أفضل مما لو تصدقت بما في الوجود من ناقة حمراء ، أو خير لك من امتلاك ما على الأرض من ناقة حمراء ، والحديث يحتمل المعنيين ، وهذا دليل أكيد على أن اجر هداية الناس الى الخير لا يعدله اجر ، وأن الاسلام لا يأمر بقتال الاعداء الا بعد رفضهم لدين الله ، وتهديدهم لدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

باب
تفسير التوحيد ، وشهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى (**أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**) الآية (٥٧ ـ **الاسراء**) وقوله (**واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين**) الاية (٢٦ ، ٢٧ - **الزخرف**) وقوله (**اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله**) الآية (٣١ – **التوبة**) وقوله (**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله**) الآية (١٥٦ – **البقرة**) .

في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل » .

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب . فيه أكبر المسائل وأهمها وهو تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة ، وبيّنها بأمور واضحة (**منها**) آية الاسراء ، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا الشرك هو الشرك الأكبر و (**منها**) آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وبين انهم لم يؤمروا الا بأن يعبدوا الها واحدا ، مع أن تفسيرها الذي لا اشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في غير المعصية ، لادعائهم اياهم .
و (**منها**) قول الخليل عليه السلام للكفار (**انني براء مما تعبدون** ،

الا الذي فطرني) فاستثنى من المعبودين ربه . وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا اله الا الله فقال (**وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)** .

و (**منها**) آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم (**وما هم بخارجين من النار**) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم في الاسلام . فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله ، فكيف بمن لم يحب الا الند وحده ولم يحب الله . و (**منها**) قوله صلى الله عليه وسلم « من قال لا اله الاّ الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين معنى لا اله الاّ الله ، فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع .

الهدف :

قصد داعية التوحيد رحمه الله من هذا الباب زيادة الايضاح لمعنى كلمة التوحيد الذي تقدم الكلام عليه في الابواب السابقة ، لما في الآيات المذكورة في هذا الباب من زيادة ايضاح ، ولحرص الشيخ رحمه الله على صفاء عقيدة المسلم أورد هذا الباب لما فيه من معانٍ جديدة ينبغي للمسلم معرفتها .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وحديث واحد .

فالآية الاولى : مرتبطة بآية قبلها وهي قوله تعالى : (**قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**) اي يقول الله لنبيه ورسوله : قل لهؤلاء الذين يعبدون المخلوقين ـ اطلبوا من هؤلاء الذين تزعمون أنهم آلهة اذا نزل بكم مكروه ، أن يزيلوا عنكم الضر ، وانظروا هل يقدرون على ذلك أنهم لا يقدرون على دفع الضر أو جلب النفع ، وانما الذي يقدر على ذلك هو الله خالقكم وخالقهم .

وبعد أن بين الله لأولئك المشركين عدم قدرة من يزعمون أنهم آلهة ، على رفع الضر أو جلب النفع ، بين أن أولئك المعبودين كانوا يتقربون الى الله بطاعته ، ولم يجعلوا بينهم وبين الله واسطة من المخلوقين فقال : (**أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة**) أي ان هؤلاء الذين تدعونهم أيها المشركون من دون الله ، كانت وسيلتهم الى ربهم انما هي العمل الصالح الذي يقربهم من الله ، وأعظم ما يقربهم الى ربهم هو اخلاصهم العبادة له ، وعدم اشراكهم معه احدا في عبادته ، أيا كان من المخلوقين ، لا كما تفعلون أنتم من دعائكم غير الله في جلب الخير أو دفع الشر (**أيهم أقرب**) أي أن أولئك الذين تعبدونهم بدعائكم لهم في كشف الضر عنكم ، انما هم من عباد الله الموحدين الذين يتقربون الى الله باتباع ما أمر به ، ومخالفة ما نهى عنه أملا في رضائه ومغفرته ، فهم كغيرهم من عباد الله ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فكيف تعبدونهم بدعائكم لهم ؟

(**ويرجون رحمته ويخافون عذابه**) أي أنهم يتقربون الى الله بالعمل الصالح يرجون رحمته ، وبابتعادهم عن مخالفة أمر الله يخافون عذابه ، ثم ذكر السبب في خوفهم من العذاب ، فقال : (**ان عذاب**

ربك كان محذورا) اي أن عذاب الله جدير بأن يخافه كل احد ـ الملائكة والانبياء الصالحون،والاولياء ، الزعماء والرؤساء ، الاغنياء والفقراء .

والآية الثانية : في هذا الباب هي قوله تعالى (**واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون ، الا الذي فطرني فانه سيهدين**) وتوضيح المعنى في هذه الآية أن الله جلت قدرته ذكر في آية سابقة لهذه الاية أن الذي جعل الكفار ينحرفون عن توحيد الله ، واخلاص العبادة له هو تقليدهم لمن سبقهم من الآباء والاجداد وكما فعل المشركون السابقون ، فعلت قريش حين رفضت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها تعارض ما عليه أباؤهم وأجدادهم من عبادة الأصنام والاوثان ، ولأن ابراهيم عليه السلام ترك دين آبائهم وأجدادهم وعدل عنه الى توحيد الله ، فان الله أمر نبيه أن يذكر لقومه كيف أن ابراهيم تبرأ من أبيه وقومه حين رآهم عاكفين على عبادة الاصنام وقال لهم : انني براء مما تعبدون . الا من عبادة الله الذي خلقني ، والذي سيهديني الى طريق الهدى والخير . والنبي عليه السلام وهو يحكي لقومه قصة ابراهيم عليه السلام يقول لهم بطريق غير مباشر : وأنا كذلك براء مما تعبدون من دون الله ، وقوله تعالى (**وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)** اي وجعل كلمة التوحيد باقية في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله منهم ، لعلهم يرجعون الى دين الوحدانية الذي كان عليه ابراهيم عليه السلام .

والاية الثالثة : في هذا الباب ، مرتبطة بآية قبلها . هي قوله تعالى **(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى**

يؤفكون) الاية (**التوبة ـ ٣٠**) (**اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون**) (٣١) .

وقوله تعالى : (**وقالت اليهود عزير ابن الله**) اي أن اليهود زعموا ان عزير ابن الله وهذا كذب يرده قول الله تعالى : (**بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد**) .

فالله تعالى قدره لم يكن له ولد ولا والد ، وزعم اليهود أن لله ولداً اسمه عزير زعم لا مستند له ، ولا دليل عليه .

(**وقالت النصارى المسيح ابن الله**) أي كما أن اليهود قالوا عزير ابن الله كذلك قالت النصارى : المسيح ابن الله . أفكار وآراء تخالف العقل ، ولا تقوم على برهان قطعي أو ظني ، ورأى النصارى هذا يرده قول الله تعالى (**ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**) ولفساد هذه الاراء وبعدها عن العقل والواقع ، جاء قول الله تعالى : (**ذلك قولهم بأفواههم**) يعني أن ذلك الذي تقوله اليهود في عزير ، وما تقوله النصارى في المسيح ، انما هو كلام تتفوه به ألسنتهم دون أن يكون له نصيب من الحقيقة ، وبهذا المعنى جاءت الآية الكريمة تقول : (**وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان يقولون الاّ كذبا**) .

قوله : (**يضاهئون قول الذين كفروا من قبل**) اي أن قولهم هذا شبيه بقول من سبقهم من مشركي العرب حينما قالوا : ان الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن قولهم وتقدس . ولهذا قال : (**قاتلهم الله**)

اي أبعدهم الله (**أني يؤفكون**) ثم فصل قوله : (**يضاهئون قول الذين كفروا من قبل بقوله تعالى** : (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم**) الاحبار المقصود بهم العلماء والرهبان العباد ، يعني أن كلا من اليهود والنصارى اتخذوا رؤساء الدين لديهم اربابا ، فاليهود اعطوا أحبارهم حق التشريع لهم وأطاعوهم في ذلك ، والنصارى أعطواحق التشريع لرهبانهم وأطاعوهم في ذلك ، والمعنى أن الله تعالى سمى الذين يشرعون للبشر تشريعات ، تحل ما حرم الله ، أو تحرم ما أحله الله سماهم أربابا ، لأن التشريع للعباد من حق رب العالمين ، فاذا جاء انسان بتشريع مخالف لتشريع الله ، واطاعه الناس عن علم بذلك كان ذلك عبادة له من دون الله ، يؤيد هذا ما ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي ، فقال يا رسول الله لسنا نعبدهم ، قال : أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، قال : بلى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فتلك عبادتهم ، ومعنى هذا ان النبي عليه السلام اعتبر طاعة المشرعين للناس تشريعا يخالف تشريع الله عبادة لهؤلاء المشرعين ، لأنه شرك أكبر مخالف لمدلول شهادة أن لا اله الا الله ، قوله تعالى : (**وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا**) أي وما أمر اليهود والنصارى على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ، الا أن يعبدوا الها واحدا هو الله جل جلاله (**لا اله الا هو**) أي لا معبود بحق سواه (**سبحانه عما يشركون**) أي تعالى وتنزه عن كل شريك في ألوهيته أو ربوبيته .

الآية الرابعة : في هذا الباب هي قوله تعالى (**ومن الناس من يتخذ**

من دون الله أندادا[1] يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله) .
أي ومن الناس من يجعل لله أمثالا ونظراء يسوون بينهم وبين الله في المحبة والطاعة والتعظيم ، وهذا شرك في المحبة ، والشرك هو أعظم الذنوب على الاطلاق ، ولذا جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ، قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » وفي الآية دليل على أن أولئك المشركين كانوا يحبون الله ، ولكنهم حينما جعلوا لله أندادا يرجونهم كما يرجون الله ، ويخافون منهم كما يخافون من الله ، ويلتجئون اليهم كما يلتجئون الى الله ، صاروا مشركين بالله شركا أكبر .

قوله : (**والذين آمنوا أشد حبا لله**) اي أن المؤمنين الصادقين لا يعدل حبهم لله حب ، وان حبهم لله أشد من حب أهل الانداد لأندادهم ، ولتمكن هذا الحب الالهي في قلوبهم ، لم يستطع الشرك أن ينفذ الى عقيدتهم القائمة على العبودية الخالصة لله وحده ، ومن مستلزمات هذه المحبة الربانية أن تكون تصرفات المسلم متفقة مع أوامر الله .

وبعد هذه الآيات يختم المؤلف رحمه الله هذا الباب بالحديث الذي جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال : لا اله الا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ، ودمه ، وحسابه على الله عز وجل » .

هذا الحديث أورده المؤلف رحمة الله عليه لما فيه من دلالة على أن تلفظ الانسان بكلمة التوحيد ، لا تنفع في عصمة ماله ودمه ما لم يقترن بها كفره بكل ما يعبد من دون الله ، معنى هذا أن الانسان اذا قال لا

---

(١) الند : هو المثيل .

اله الا الله ، ولم يعمل بما تدل عليه من الكفر بكل معبود سوى الله وما تستلزمه من اداء فرائض الله كان حلال الدم والمال كما جاء بذلك حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله .

قوله : (**وحسابهم على الله**) يعني أن الانسان اذا قال : لا اله الا الله ، ولم يعمل ما يناقضها ظاهرا : والتزم فرائض الاسلام ، حرم ماله ودمه ، لأن الحكم على الشيء الظاهر ، أما أن يقول الانسان لا اله الا

الله وهو في داخل نفسه لا يؤمن بمعناها ، فهذا شيء الى الله لأنه هو المطلع على خفايا النفوس ، وهو الذي سوف يحاسبه يوم القيامة على ذلك .

باب
من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى :

(قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) الآية (٣٨ ـ **الزمر**) .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال « ما هذه » ؟ قال : من الواهنة فقال « انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ، فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا » رواه أحمد بسند لا بأس به ، وله عن عقبة بن عامر

رضي الله عنه مرفوعا « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية « من تعلق تميمة فقد أشرك » ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى (**وما يؤمن أكثرهم بالله الاّ وهم مشركون**) .

فيه مسائل :

الاولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح ، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الاصغر أكبر الكبائر .

الثالثة : انه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر لقوله « لا تزيدك الا وهنا » .

الخامسة : الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من علق شيئا وكل اليه .

السابعة : التصريح بأن من علق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الأكبر على الاصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

العاشرة : ان تعليق الودع عن العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ، أي لا ترك الله له .

الهدف :

قصد شيخ الاسلام رحمه الله من هذا الباب بيان أن تعلق القلب بغير الله في جلب النفع أو دفع الضر شرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب ـ آية وحديثان ـ

الآية الكريمة هذه تبدأ بقوله تعالى : (**ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله ؟ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل : حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون**) .

في آية سابقة لهذه الآية ذكر أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يقدر على دفع المصائب والنكبات عن العباد ، وأن كل نفع أو ضر لا يكون الآ بارادته وأمره وفي هذه الآية يقيم الدليل على جهل عبدة المخلوقين باشراكهم مع الله في العبادة التي هي حق من حقوق الله فقال : (**ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله**) أي أن هؤلاء المشركين لو سئلوا عن خالق هذه السموات والارض لما ترددوا في الاعتراف بأنه الله سبحانه وتعالى ، فاذا كان الأمر كذلك فكيف استباحوا لأنفسهم عبادة غير الخالق أو أشركوا معه مخلوقا في عبادته .

لا شك أن الجهل هو الذي حملهم على ذلك ، والا فكيف يعترفون بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والارض ثم يعبدون معه غيره ، وقد وبخهم الله على ذلك بقوله : (**قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو ارادني برحمته**

هل هن ممسكات رحمته ؟) أي قولوا لهذه الآلهة التي تدعونها من دون الله لكشف المصائب والمحن عنكم ، أو لجلب السعادة أو الخير لكم ، هل هي قادرة على شيء من ذلك ؟ الحقيقة التي لا ريب فيها أنها عاجزة تمام العجز عن الوقوف أمام شيء يريده الله للإنسان من سعادة أو شقاء ، ولأجل هذا فلا ينبغي الاعتماد على مخلوق ضعيف في جلب السراء أو دفع الضراء ، وانما يجب الاعتماد على الواحد القادر على كل شيء (**قل حسبي الله**) أي الله كافيني من كل شيء فلا أخاف غيره (**عليه يتوكل المتوكلون**) أي عليه وحده يعتمد المؤمنون في كل أمورهم وفي الحديث « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل » .

يأتي بعد هذه الآية الكريمة حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وفيه دلالة على أن التفاتة القلب الى غير الله في طلب الخير أو دفع المكروه شرك ، ولذا حينما رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم حلقة من صفر في يد ذلك الرجل المذكور في الحديث ، سأله في استنكار بقوله : (ما هذه) قال الرجل من الواهنة[1] يعني انه لبسها لتمنع عنه ألم الواهنة ، فقال النبي عليه السلام : « أنزعها فأنها لا تزيدك الاّ وهنا » أي اخلعها من يدك فانها لا تزيدك الاّ ألما فوق ألم

ثم قال : « فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا » وفي هذا تحذير من الوقوع في أي نوع من أنواع الشرك ، ولو كان أصغر ـ لأن الشرك أعظم جرما من الذنوب الكبيرة .

والحديث الثاني في هذا الباب حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه

(١) الواهنة : عرق يصيب المنكب واليد كلها ، وهو مرض يصيب الرجال دون النساء .

الذي ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » .

هذا الحديث الشريف فيه دعاء من الرسول عليه السلام على كل من علق قلبه بغير الله في طلب خير أو دفع شر ـ ودعاء الرسول عليه السلام مستجاب من الله فقال : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له » والمعنى أن العرب قبل بعثة الرسول عليه السلام ، كانوا يعلقون على أولادهم خرزات يسمونها التمائم ، اعتقادا منهم بأن هذه الخرزات تمنع عنهم الاصابة بالعين ، وتبعد عنهم الآفات فلما جاء الاسلام أبطل هذا الاعتقاد . ومثل هذا الاعتقاد الجاهلي ، ما يفعله اليوم كثير من الناس من تعليق الحجب التي يقوم بعملها جهلة ودجالون في رقاب أولادهم ، ظنا منهم بأن هذه الحجب تمنع عن أولادهم العين ، نفس ما كان يعتقده الناس في الجاهلية ولأن هذا الاعتقاد يؤدي بالانسان الى نوع من أنواع الشرك ، دعا الرسول عليه السلام على كل من فعل هذا بقوله : « فلا أتم الله له » اي لا أتم الله له الشفاء ، ولا رفع عنه البلاء ومثل هذا قوله عليه السلام : « ومن تعلق ودعة[1] فلا ودع الله له » أي لا تركه الله في راحة وهدوء ، وفي نهاية هذا الباب يذكر المصنف رحمه الله رواية ابن أبي حاتم أن حذيفة رضي الله عنه ـ رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى : (**وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون**) وفي رواية اخرى أن حذيفة دخل على مريض فرأى في عضده سيرا فقطعه ثم تلا الآية الكريمة السابقة وفي فعل حذيفة هذا ، وانكاره وتلاوته للآية الكريمة دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بما أنزل الله في الشرك الاكبر على الشرك الاصغر لدخوله في مسمى الشرك .

---

(١) الودع : شيء يخرج من البحر يشبه الصدف .

باب
ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الانصاري رضي الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة الا قطعت وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه احمد وأبو داود وعن عبد الله ابن عكيم مرفوعا « من تعلق شيئا وكل اليه » رواه أحمد والترمذي .

التمائم : شيء يعلق على الاولاد عن العين ، لكن اذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه ، والرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة الى زوجها والرجل الى امرأته .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه سلم « يا رويفع ، لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلدّ وترا ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فان محمداً بريء منه وعن سعيد بن جبير قال « من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبه »

رواه وكيع وله عن ابراهيم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : ان هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : ان الرقية بالكلام الحق من العين والحُمَة ليس من ذلك .

الخامسة : ان التميمة اذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا ؟ .

السادسة : ان تعليق الاوتار على الدواب عن العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من علق وترا .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من انسان .

التاسعة : ان كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لان مراده اصحاب عبد الله بن مسعود .

الهدف :

قصد الداعية الى التوحيد رحمه الله من هذا الباب ، بيان ما له صلة بالشرك من الرقي وما ليس كذلك وحكم التمائم .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أربعة أحاديث .

الاول : حديث أبي بشير الانصاري ، وبيانه أن النبي عليه السلام أرسل زيد بن حارثة رضي الله عنه ، ليزيل كل القلائد التي يجدها على الابل وغيرها من الدواب ، وقصة القلائد هذه

أن الناس في عصر الجاهلية ، ولعدم وجود عقيدة تجعلهم يؤمنون بأن الامر كله لله والنفع والضر جميعه بيد الله ، كانوا اذا بدأ تقادم العهد على وتر القوس ، ولم يعد صالحا للعمل قطعوه ، وقلدوا به أعناق الأبل والخيل وغيرهما من الدواب اعتقادا منهم بأن هذا العمل يدفع العين عن دوابهم ، ولما كان تعليق الاوتار والتمائم والقلائد لا يرد قضاء قضاه الله ولأن هذا العمل يجعل القلب يميل الى غير الله ، أمر النبي عليه السلام زيدا ، أن لا يترك قلادة الا قطعها ، وشبيه بهذا ما يفعله بعض الجهال اليوم من وضع حذاء قديم على واجهة عمارة أو متجر أو غير ذلك خوفا من الاصابه بالعين . كل هذه ونظائرها نهى عنها الاسلام وحذر منها ، لما لها من تأثير على عقيدة المسلم القائمة على الايمان بأن النفع والضر بيد الله وحده .

الثاني : حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه أمور ثلاثة :

(١) الرقى وتنقسم الى قسمين رقى مباحة ، ورقى محرمة . فالرقى المباحة هي التي تكون بكلام الله ، وأسمائه ، وصفاته ، والمأثور من الادعية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت عن الرسول عليه السلام أنه رقى ورقي ، وقال في حديث « لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا » ومن الادعية المأثورة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قوله « اذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء الا شفاؤك ،

---

(١) الرقى : هي التي تسمى العزائم .

شفاء لا يغادر سقما » وبقدر ما يكون قرب المؤمن من الله ، بقدر ما تكون استجابة دعائه منـــه عاجلة وسريعة في شفاء المريض .

أما الرقى غير المباحة فهي التي يستعان فيها بغير الله ، كما يفعل ذلك أصحاب الدجل الذين يكتبون لبعض المرضى الجهلة ـ طلاسم وحروفا مقطعة ، وأدعية شركية ، وأسماء جن أو شياطين وما الى ذلك من الوسائل المخالفة لشرع الله ودينه .

(٢) التمائم[٢] ـ وتنقسم الى نوعين نوع محرم وهو الذي يعلق على الاولاد والدواب وغيرها من خرز وغيره ، اعتقادا بأن هـذا يدفع الاصابة بالعين وهو اعتقاد يؤدي بالانسان الى نوع من أنواع الشرك ، حينما يعتقد أن هناك من يستطيع جلب الخير أو دفع الشر دون ارادة الله .

ونوع مختلف في جوازه ، وهو تعليق التمائم اذا كانت من القرآن الكريم وأسماء الله وصفاته ، فمن علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رخص في تعليق التمائم ، اذا كانت من القرآن أو أسماء الله وصفاته ، حاملين حديث ابن مسعود هذا على التمائم التي فيها شرك .

ومنهم من لم يرخص في ذلك ، استدلالا بعموم النهي الوارد في الحديث ، ولهذا قال ابراهيم النخعي ، كان أصحاب عبد الله بن مسعود يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن ، وفي فضل

(٢) التمائم : شيء يعلق على الاولاد خوفا من الاصابة بالعين ، وتعمل التمائم عادة من خرز وغيره .

قطع التمائم جاء قول سعيد بن جبير : من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة .

(٣) التوله ـ هي نوع من أنواع السحر يعمله كثير من الجهال لتوثيق عرى المحبة بين كل من الزوجين ، ولما فيه من التفات القلب الى غير الله في دفع المضار أو جلب المنافع صار شركا .

الثالث : حديث ابن عكيم ، وفيه أخبار من الرسول عليه الصلاة والسلام ، بأن من ارتبط قلبه بالله صادقا ، والتجأ اليه مخلصا، سهل الله له أمره وحفظه مما يكره ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن علق قلبه بغير الله أو طلب من مخلوق شيئا دون الله خذله الله جزاء لعمله ، وبهذا المعنى يقول عطاء الخراساني « لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت حدثني حديثا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز قال : نعم أوحى الله تبارك وتعالى الى داود : يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي ، أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، الا جعلت له من بينهن مخرجا ، وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني ، أعرف ذلك من نيته الاّ قطعت أسباب السماء من يده ، وأسخت الارض من تحت قدميه ، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك » .

الرابع : من أحاديث الباب حديث رويفع وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر رويفعا أن يخبر الناس بتبرؤ الرسول عليه السلام ، ممن فعل أحد أمور ثلاثة : ـ

(١) تبرؤه ممن عقد لحيته على طريقة الاعاجم الذين يفتلونها

ويعقدونها تكبرا وتعاظما ، أو على طريقة المتشبهين بالنساء الذين يعالجون لحاهم لتتعقد كما تفعل النساء في لف شعورهن .

(٢) ممن تقلد وترا أي تميمة لما في ذلك من الاتجاه الى غير الله .

(٣) من استنجى برجيع دابة أو عظم ، وقد ورد في سبب المنع من الاستنجاء بالروث أو العظم ، حديث لابن مسعود رضي الله عنه أورده مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فانه زاد اخوانكم من الجن » .

باب
من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى (**أفرأيتم اللات و العزى**) الايات (١٩ ، ٢٠ – **النجم**) .

عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكبر ، انها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (**اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون**) لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي وصححه .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الامر الذي طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك لظنهم انه يحبه .

الخامسة : انهم اذا جهلوا هذا فغيرهم اولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله الله أكبر أنها السنن ، لتتبعن سنن من كان قبلكم فغلظ الامر بهذه الثلاث .

الثامنة : الامر الكبير وهو المقصود : أنه اخبر أن طلبتهم كطلبة بني اسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا الها .

التاسعة : ان نفي هذا من معنى لا اله الا الله مع دقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : انه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف الا لمصلحة .

الحادية عشرة : ان الشرك فيه أكبر وأصغر لانهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قوله ونحن حدثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافا لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .
الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهليه .
السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .
السابعة عشرة : القاعدة الكلية لقوله (**انها السنن**) .
الثامنة عشرة : انْ هذا من أعلام النبوة لكونه وتع كما أخبر .
التاسعة عشرة : ان كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن انه لنا .

العشرون : انه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الامر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر : أما « من ربك » فواضح ، وأما من نبيك فمن أخباره بأنبياء الغيب ، وأما « ما دينك » فمن قولهم (**اجعل لنا الها**) الى آخره .

الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .
الثانية والعشرون : ان المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم « ونحن حدثاء عهد بكفر » .

الهدف :

قصد الداعية الكبير رحمه الله من هذا الباب أن طلب البركة من الجمادات من أشجار أو أحجار ودعائها ، والاعتماد عليها ، والاستعانة بها شرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية وحديث واحد .

فالآية الكريمة تأتي بعد آيات قبلها تثبت أن محمدا عليه الصلاة والسلام نبي من عند الله سائر على طريق الهدى ، لا ينطق عن الهوى ، ولا يقول للبشر الا ما أمره الله بتبليغه لهم ، وأنه عرج به الى السماء ، ورأى فيها من عجائب الله وآياته ما يجعل الانسان يركع أمام هذه العظمة الجبارة ، التي ترمز الى عظمة الخالق جل جلاله . وبعد أن بين الرسول عليه السلام ما شاهده في ليلة المعراج من أشياء تجعل العقل البشري يسلم بأن هذا الخالق العظيم هو الذي يستحق العبادة دون غيره ، جاءت هذه الآية ، فيها تقريع وتوبيخ لأولئك الذين يدعون غير الله تقول : (**أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الاخرى**) اي ، أفبعد ما سمعتم أيها المشركون ما أخبركم به محمد من آيات الله الكبرى ، تجعلون هذه الاصنام الحقيرة الضعيفة ، اللات والعزى ومناة . شركاء مع الله ، وهذه الاصنام كان العرب قبل بعثة الرسول عليه السلام يعبدونها ـ فاللات عبارة عن صخرة بيضاء بالطائف ، كانت ثقيف ومن تبعها من القبائل يعظمونها ويفتخرون بها ، وقال ابن عباس رضي الله عنه « كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره » وكان هذا الرجل كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه يبيع السويق والسمن عند صخرة ، ويسلئون عليها فلما مات عبدت ثقيف تلك الصخرة تعظيما لصاحب السويق ، والظاهر أنه لا تناقض بين القولين في معنى اللات ،

فثقيف عبدت القبر والصخرة معا ، وكانت قريش فقد أقامت بناء على هذه الصخرة الى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمه ، والعزى عبارة عن شجرة بنخلة بين مكة والطائف ، كانت قريش تعظمها ، وما زالت حتى بعث الرسول عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها .

أما مناة فهي عبارة عن صخرة بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت هذيل وخزاعة يعظمونها ، وما زالت حتى بعث رسول الله عليا بن أبي طالب رضي الله عنه فهدمها عام الفتح .

بعد هذه الآية الكريمة يأتي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه وفيه يخبر أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح وكانوا قريبي عهد بالكفر ، وبين حنين والطائف ، وبتأثير من بقية من تلك العادات التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وتأثرا بما رأوه من عكوف المشركين حول سدرة يعظمونها ، ويعلقون عليها أسلحتهم طلبا للبركة ، قالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط) أي خصص لنا شجرة نقيم عندها ونعظمها ونعلق عليها أسلحتنا للبركة ، مثل ما يفعل اولئك الناس بتلك السدرة ، ظنا منهم لقرب دخولهم في الاسلام ـ أن هذا الامر محبوب عند الله مقرب منه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، في تعجب واستغراب : « الله أكبر » أي أنزه الله وأجله عن جعل شريك له في أي أمر لا يصلح الا له ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام اذا سمع من أحد ما لا يليق بالله يستعمل التكبير والتسبيح ثم قال : (انها السنن) اي الطرق ثم حلف الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الصادق المصدوق أن مطلبهم هذا شبيه بمطلب بني اسرائيل لموسى عليه السلام ، حين قالوا

له (**اجعل لنا الها كما لهم آلهة**) بجامع أن كلا من المطلبين ، مناف لتوحيد الله . فبنوا اسرائيل طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه من دون الله ، وهؤلاء طلبوا من الرسول عليه السلام أن يجعل لهم شجرة يعظمونها ، ويعكفون عندها ، ويتبركون بها وكل هذا شرك بالله يدفع اليه الجهل بما يجب لله من حقوق على عباده ، ولذا قال (**انكم قوم تجهلون**) ثم أنهى الحديث عليه السلام بقوله : « لتركبن سنن من كان قبلكم » اي لتسيرن على منهج من كان قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم ، ولقد وقع ما أخبر به عليه السلام اذ سار كثير من المسلمين على طريقة اليهود والنصارى في اشراكهم المخلوقين مع الله واستهتارهم بأوامر شريعته ، واستحلالهم ما حرمه عليهم ، وغير ذلك مما تأثر به كثير من المسلمين ، من عادات وأخلاق اليهود والنصارى ، التي لا تتفق مع تعاليم شريعة الاسلام وبهذا المعنى جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى قال : فمن ؟ » يعني من يكون غيرهم .

والخلاصة من هذا الباب أن من تبرك بانسان أو جماد أو حيوان طالبا منه معظما له معتقدا فيه جلب النفع أو دفع المكروه كان عمله هذا شركا يستحق عليه عقاب المشركين بالله ، ومثل هذا ما يفعله كثير من المسلمين من التبرك بقبور الاولياء والصالحين وغير ذلك مما يتنافى مع عقيدة التوحيد .

باب
ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى (**قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له**) الاية (١٦٢ ، ١٦٣ ـ **الانعام**) وقوله (**فصل لربك وانحر**) الاية (٢ ـ **الكوثر**) عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله . لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الارض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال « مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا فقالوا لاحدهما قرب . قال : ليس عندي شيء أقرب قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله ، فدخل النار ...

وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت لأقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه ، فدخل الجنة » رواه أحمد .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير (**ان صلاتي ونسكي**)

الثانية	: تفسير (**فصل لربك وانحر**)
الثالثة	: البداءة بلعن من ذبح لغير الله .
الرابعة	: لعن من لعن والديه . ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .
الخامسة	: لعن من آوى محدثا وهو الرجل يحدث شيئا يجب فيه حق الله فيلتجي الى من يجيره من ذلك .
السادسة	: لعن من غير منار الارض وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الارض وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير .
السابعة	: الفرق بين لعن المعين ، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم .
الثامنة	: هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب .
التاسعة	: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم .
العاشرة	: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا الا العمل الظاهر .
الحادية عشرة	: ان الذي دخل النار مسلم ، لأنه لوكان كافرا لم يقل دخل النار في ذباب .
الثانية عشرة	: فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » .
الثالثة عشرة	: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الاعظم حتى عند عبدة الاوثان .

الهدف :

قصد مؤلف الكتاب رحمه الله بيان أن من تقرب الى غير الله بأي نوع من أنواع العبادة مالية كانت أو بدنية ظاهرة أو باطنة فقد أشرك مع الله في عبادته .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديثان .

فالآية الاولى من هاتين الآيتين قوله تعالى : (**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**) فيها أمر من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ، أن يخبر أولئك المنحرفين عن توحيد الله ، الى عبادة الاصنام ، يدعونها ويذبحون لها ، بأن صلاته ، وذبحه وكل أعماله التي يعملها « لله رب العالمين » (بهذه العقيدة يحيى وعلى هذا المنهج يموت (**لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**) .

أي لا شريك له في عبادته (**وبذلك أمرت**) يعني وبتوحيد الله واخلاص العبادة له أمرني ربي (**وأنا أول المسلمين**) اي وانا أول الطائعين المنقادين الى امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه .

أما الآية الثانية فهي قوله تعالى : (**فصل لربك وانحر**) وفي الآية الامر من الله لنبيه بأن تكون صلاته ونحره لله وحده ، ولأن الصلاة هي أعظم العبادات البدنية ، فقد رمز بها الى أن تكون جميع العبادات البدنية خالصة لله ، كما أن النحر هو أعظم العبادات المالية فقد رمز به الى أن تكون جميع العبادات المالية خالصة لله دون غيره .

ويأتي بعدهاتين الآيتين : حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه دعاء من الرسول عليه السلام بالطرد والابعاد عن رحمة الله لمن أقدم على أمر من أمور أربعة فقال :

(١) (**لعن الله من ذبح لغير الله**) اي أبعد الله من رحمته من تقرب بذبح اي شيء لغير الله ـ يشمل ذلك ما يذبحه عبدة الاصنام لآلهتهم تقربا اليها وما يذكر عند ذبحه اسم نبي أو ولي أو صالح ، ومثله ما يذبح للجن من أجل شفاء مريض أو على عتبات بعض البيوت خوفا من دخول العفاريت ، أو ما يذبح باسم الزار أو غيره مما يفعله الجهال بشريعة الله من أمور تخرج الانسان من عبادة الله الى عبودية المخلوقين ، وهذا شرك يؤرث صاحبه أسوأ العواقب ، ولا بد هنا من التنبيه الى أن كل ما أهل به لغير الله يحرم أكله .

(٢) (**لعن الله من لعن والديه**) أي من كان سببا في سب والديه وقد سئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن كيفية سب الرجل والديه ، فأجاب (يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) ورد ذلك عنه في حديث صحيح جاء فيه (**من الكبائر شتم الرجل والديه**) .

(٣) (**لعن الله من آوى محدثا**[1]) أي منع أخذ الحق الذي يجب عليه للآخرين ، وبقدر ما يكون حجم الحق العام أو الخاص كبيرا ، بقدر ما يكون اثم المجير أعظم .

(٤) (**لعن الله من غير منار الارض**) أي أحدث تغييرا بتقديم أو تأخير في العلامات التي توضح الحدود بين الناس في أملاكهم ، وذلك لما يترتب على هذا التغيير من أمور أهمها سفك الدماء التي حرم الله أن تسفك بغير حق تحدده شريعة الله .

وفي نهاية الباب يرد حديث طارق بن شهاب وفيه ان الرسول

---

(١) محدثا : المحدث هو الشخص الذي يقوم بعمل يلزمه بسببه حق الله فيلتجئ الى من يجيره من ذلك .

صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابة رضوان الله عليهم أن رجلا دخل الجنة بسبب ذباب ، وأن رجلا آخر دخل النار بسبب ذباب ، لكن الصحابة وهم الذين لا يراودهم شك في صدق الرسول عليه الصلاة والسلام في كل ما يقول تعجبوا - كيف أن حشرة حقيرة مستقذرة تكون سببا في دخول الجنة أو النار ، لكن الرسول عليه السلام سرعان ما أزال عن أذهانهم ذلك التعجب ، إذ أجابهم على سؤلهم بقوله « مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا » اي لا يمر بهذا الصنم أحد ولا يتعداه جتى يقرب اليه شيئا مهما كان تافها ، وعند مرور هذين الرجلين على هذا الصنم : قال أصحابه لأحد الرجلين ، قدم قربانا للصنم فقال : « ليس عندي شيء أقرب أي ليس لديّ ما اقربه : « قالوا له قرب ولو ذبابا » ولأن الذباب شيء حقير في نظره ، ولاعتقاده أن شيئا كهذا لا يوقعه في الشرك (**فقرب ذبابا فخلوا سبيله ، فدخل النار**) وفي هذا دلالة على أن التفات القلب لغير الله ، هو الذي يوقع في متاهات الشرك بالله ، وأن عبدة الاوثان يدركون ان أهم شيء للانحراف بالانسان عن توحيد الله ، هو اتجاه القلب الى غير الله والا لما طلبوا من ذلك الرجل أن يقرب لصنمهم ولو ذبابا ، مع ادراكهم لتفاهته وحقارته .

وقالو للآخر قرب ، فقال : ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة « أي ليس من الحق ولا من العدل أن التفت بقلبي عن الله الذي لا يستحق العبادة غيره الى مخلوق ضعيف مثلي ، فضربوا عنقه فدخل الجنة ، وفي هذا دلالة على ما يلقاه أهل التوحيد سن نعيم خالد عند الله ، وأي نعيم أفضل من نعيم الجنة .

باب
لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى (**لا تقم فيه أبدا**) الاية (١٠٨ ـ **التوبة**) .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر ابلا ببوانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد » ؟ قالوا لا . قال « فهل كان فيها عيد من أعيادهم » ؟ قالوا : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم » أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه ابو داود ، واسناده على شرطهما .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير قوله (**لا تقم فيه أبدا**)

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الارض وكذلك الطاعة

الثالثة : رد المسألة المشكلة الى المسألة البينة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتى اذا احتاج الى ذلك .

الخامسة : ان تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه اذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ، ولو بعد زواله

السابعة : المنع منه اذا كان فيه عيد من اعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : انه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لانه نذر معصية

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في اعيادهم ولو لم يقصده .
العاشرة : لا نذر في معصية .
الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

الهدف :

قصد مؤلف الكتاب رحمة الله عليه من هذا الباب ، بيان عدم عدم جواز الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه لغير الله منعا لأي وسيلة قد تكون سببا في النهاية الى الوقوع في الشرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية وحديث .

فالآية الكريمة مرتبطة بآية قبلها هي قوله تعالى : (**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون * لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**) * **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنواريبة في قلوبهم الآ ان تقطع قلوبهم ، والله عليم حكيم**) الآيات (١٠٧ ــ ١١٠ ــ **التوبة**)

هذه الآيات من كتاب الله ، قيل في سبب نزولها ، أن رجلا من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب كان قد تنصر ، وكان يقيم بالمدينة الى أن قدم الرسول عليه الصلاة والسلام اليها مهاجراً ، فخرج هاربا الى مكة وألبّ المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاول

استمالة الانصار الى الوقوف معه ضد الرسول عليه السلام ، ولما لم يجد تجاوباً منهم وبعد وقعة أحد ، فرّ الى هرقل ملك الروم يطلب مساعدته في حرب الرسول عليه السلام فوعده هرقل بذلك ، فكتب ابو عامر بذلك الى جماعة من المنافقين يخبرهم أنه سيقدم بجيش لقتال محمد وأمرهم أن يبنوا مكانا يقيم فيه اذا قدم عليهم ، فبنوا مسجدا بجانب مسجد قباء وبعد الفراغ من بنائه ، وقبل خروج النبي عليه السلام الى غزوة تبوك ، سألوه أن يصلي في المسجد ، وذكروا انهم انما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليالي الباردة والمطيرة ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام ـ أنا على سفر ولكن اذا رجعنا ان شاء الله ، ولما قفل عليه السلام الى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها الا مسافة قصيرة ، نزل جبريل عليه السلام يخبر بأن الغرض من هذا المسجد انما هو محاولة التفريق بين جماعة المؤمنين ، فبعث الرسول عليه السلام من يهدمه قبل وصوله الى المدينة فهدم . هذا هو سبب نزول هذه الآيات من كتاب الله والمعنى للآيات .

قوله تعالى : (**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل**) يعنى ان هذا المسجد لم يبن من أجل العبادة ، وانما كان الهدف منه مضارة المؤمنين الذين يصلون في مسجد قباءالذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه مهاجرا من مكة الى المدينة واتخاذه مكانا للطعن فيما جاء به من دين الله ، والتفريق بين جماعة المؤمنين الذين يجتمعون للصلاة في مسجد واحد ، وجعله ملجأ لمحاربة الله ورسوله .

قوله : (**وليحلفن ان اردنا الأ الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون**)

أي والله يعلم كذبهم في انهم ما بنوه من أجل الرحمة بالضعفاء ، وانما بنوه من اجل الافساد في الارض .

ولذا قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام : (**لا تقم فيه ابدا**) اي لا تصل فيه ابدا (**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه**) أي ان مسجدا اسس من أول يوم على التقوى ، أولى من غيره بالقيام فيه مصليا ، والمراد بالمسجد مسجد قباء ، وقيل مسجد الرسول عليه السلام بالمدينة ، ولا تعارض بين القولين فقد أسس كل من المسجدين على التقوى من أول يوم شرع في بنائه .

(**فيه رجال يحبون أن يتطهروا**) اي يحبون أن يتطهروا الطهارة الحسية ، طهارة الثوب والبدن ، والطهارة بالوضوء ، والطهارة المعنوية صفاء القلب ونقاء النفس والطهارة من الذنوب (**والله يحب المطهرين**) اي والله يحب المتطهرين من كل ما يخالف ما أمر به عباده من اتباع أوامره واجتناب نواهيه .

والمناسبة التي جعلت المؤلف رحمه الله يذكر هذه الآية في هذا الباب هي أن الامكنة التي تعد لعمل أشياء فيها معصية الله ، لا يصح عمل عبادة فيها لله ، فكما أن مسجد الضرار أقيم لمحاربة الله ورسوله ، ونهى الله نبيه عن الصلاة فيه ، وهدم ثم ترك مكانا لرمى النفايات . كذلك الامكنة التي يذبح فيها لغير الله ، لا يصح أن يعمل فيها شيئا لله ، وفي الآية الكريمة اثبات المحبة لله ، وانه يحب من عباده المؤمنين به الطائعين له ، يأتي بعد هذه الآيات من كتاب الله حديث ثابت بن الضحاك ، وفيه يحكي قصة ذلك الرجل الذي نذر ان ولد له ولد ذكر أن ينحر

على رأس بوانة[1] عدة من الغنم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن جواز ذلك ، وقبل أن يجيبه عليه السلام على سؤاله ، سأل قائلا : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد » قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيد من أعيادهم » قالوا : لا . فقال عليه السلام : « أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك بن آدم » وفي هذا دلالة على أن الامكنة والازمنة التي يعتاد المشركون الذبح فيها لغير الله ، لا يجوز الذبح فيها لله ، ولو بعد ازالة الوثن من مكانه ، فلو نذر انسان ان يذبح لله في مكان أو زمان اعتاد المشركون أن يذبحوا فيه لغير الله فان هذا النذر لا يجوز الوفاء به لانه نذر معصية ـ سدا لذريعة الشرك ، وبعدا عن مشابهة المشركين .

كما ان في الحديث دلالة على أن من نذر شيئا لا يملكه لا يلزمه الوفاء به لعدم قدرته على الوفاء بما التزم به ، مثال ذلك لو قال انسان لله عليّ أن أتصدق بمال فلان ـ فإن هذا النذر لا يلزم الوفاء به

باب
من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى (**يوفون بالنذر**) الآية (٧ ـ **الانسان**) قوله (**وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه**) الآية (**٢٧٠ البقرة**)

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .

(١) بوانة : قيل انه مكان في أسفل مكة دون يلملم ، وقيل هضبة من وراء ينبع .

فيه مسائل :

الاولى : وجوب الوفاء بالنذر .
الثانية : اذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه الى غيره شرك .
الثالثة : ان نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

الهدف :

قصد الشيخ قدس الله روحه من هذا الباب بيان أن النذر لله عبادة يجب الوفاء به وأن صرف هذه العبادة لغير الله شرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديث .

فالآية الاولى : بعد ان بين الله في آية سابقة لها ما اعده الله لعباده الطائعين من نعيم خالد في غرف الجنات ، ذكر ما لأجله استحقوا هذا النعيم العظيم فقال (**يوفون بالنذر**) أي يؤدون ما أوجبوه على أنفسهم من نذر لله تقربا إليه .

(**ويخافون يوما كان شره مستطيرا**) أي ويخافون يوم الحساب فيتبعوا أوامر الله ، ويجتنبوا ما نهى عنه .

والآية الثانية : فيها الاخبار بأن كل بذل أو عطاء يعلمه الله سيجازى عليه أن خيرا أو غيره ، فقال سبحانه وتعالى (**وما انفقتم من نفقة**) في خير كان أو في شر ، سرا كانت أو علانية (**أو نذرتم من نذر**) يعني نذر طاعة أو معصية (**فان الله يعلمه**) أي فان الله يعلم ذلك ،

وسيجازي المخلصين على اعمالهم بالثواب العظيم ، ويحاسب العصاة والمرائين على أفعالهم ..

بعد هاتين الآيتين يأتي حديث عائشة[1] رضي الله عنها وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » أي فينفذ ما نذره من طاعة الله ، مثال ذلك لو قال انسان ان شفى الله أبي من المرض لا تصدقن بكذا من المال ، وجب عليه ذلك اذا حصل الشفاء لوالده ، قوله : « ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » أي فلا يفعل ، ولذا أخرج النسائي عن عمران بن الحصين قال : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النذر نذران فما كان من نذر طاعة لله فذاك لله تعالى ، وفيه الوفاء ، وما كان من نذر في معصية لله فذاك للشيطان ، ولا وفاء فيه ، ويكفره ما يكفر اليمين » .

والخلاصة من هذا الباب أن كل نذر لغير الله ، كالنذر للاصنام والاوثان وقبور الاولياء والصالحين شرك حذر الله منه ونهى عنه ، لما فيه من التفات القلب الى غير الله ، والتفات القلب الى غير الله تعظيما واجلالا يتنافى مع عقيدة التوحيد .

---

(١) عائشة رضي الله عنها هي أم المؤمنين ، ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أصغر زوجات الرسول عليه السلام ، وأفقه النساء مطلقا ، وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الا خديجة ففي ذلك خلاف .

باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى (**وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**) الاية (٦ ـ **الجن**) وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » رواه مسلم .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء استدلوا به على ان كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء تحصل به مصلحه دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب ، التنبيه على أن الاستعاذة بالله عبادة ، وصرفها لغيره شرك .

الشرح :

وردت تحت هذا الباب آية وحديث .

فالآية الشريفة . جاء فيها قول الله تعالى : (**وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**) (**الجن ـ ٦**) وقصة الانس مع الجن هذه تتلخص في انه كان من عادة العرب في الجاهلية اذا نزلوا واديا مخيفا ، أو مكانا موحشا ، يعوذون بزعيم ذلك المكان من أذى الجان . اذ كان يقول أحدهم اذا خاف على نفسه بواد قفر : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، فلما رأت الجن من الانس هذا الخوف (**زادوهم رهقا**) اي خوفا واثما ، وايراد هذه الآية في هذا الباب للاستدلال بها على أن الاستعاذة بالله عبادة من العبادات كما قال الله سبحانه وتعالى : (**وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم**) وما كان عبادة لله كان صرفه لغير الله شركاً . ومن هنا صار الالتجاء الى غير الله والاستعاذة به من المصائب والنكبات ، سواء كان المستعاذ به من الجن أو الانس شركا مع الله في عبادته .

وبعد هذه الآية الكريمة يأتي حديث خولة[1] بنت حكيم رضي الله عنها وفيه توجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم الى دعاء يقوله المسلم اذا نزل منزلا يحفظه الله به من كل سوء حتى يرحل من ذلك المنزل ، فيقول عليه السلام : « من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامة» أي أستعيذ بالله وبأسمائه وصفاته والتجيء اليه وعتصم به «من شر ما خلق» ـ اي من شر أي مخلوق من الانس أو الجن أو الحيوان ، أو الهوام أو غير ذلك مما به شر فاذا قال هذا الدعاء لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » .

---

(١) خوله.. :هي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام .

باب

من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى (**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو**) الاية (١٠٦ ، ١٠٧ ـ يونس)

وقوله (**ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون**) الاية (١٧ـ العنكبوت) وقوله (**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة**) الايتين(٥،٦ ـ الاحقاف) وقوله (**أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء**) الاية (٦٢ ـ النمل) .

وروى الطبراني باسناده انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله » .

فيه مسائل :

الاولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله (**ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك**)

الثالثة : ان هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : ان أصلح الناس لو يفعله ارضاء لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي الا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب الاّ منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : انه لا أضل ممن دعا غير الله .

الحادية عشرة : انه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : ان هذه الامور سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الامر العجيب وهو اقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر الا الله ، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله .

الهدف :

قصد المؤلف رحمة الله عليه من هذا الباب بيان أن دعاء الله والاستغاثة[1] به من أعظم العبادات ، والتوجه بهذه العبادة الى غيره شرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وحديث واحد .

والمعنى للآية الاولى قوله تعالى : (**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك**) (**يونس ـ ١٠٦**) أي لا تدع دعاء عبادة ، ما لا يستطيع النفع أو الضر في الدنيا ولا في الآخرة ، والخطاب هنا موجه للرسول عليه السلام ولكنه عام لكل الناس . (**فان فعلت فانك اذا من الظالمين**) اي فان فعلت هذا بأن دعوت غيره كنت من الظالمين ، والمراد بالظلم هنا الشرك كما حكى الله ذلك عن قول لقمان لابنه (**يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم**) ثم أكد الله سبحانه وتعالى عجز تلك المعبودات ، وتكذيب ما يقال من أنها تقدر على شفاء الامراض، أو تكشف الاسقام فقال تعالى (**وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاّ هو**) اي وان يرد الله بك ضرا ـ مرضا في نفسك أو مصيبة في ولدك ، أو كارثة في مالك ، أو غير ذلك من المصائب التي تنال الانسان في هذه الحياة ، فلا كاشف له الا هو ، لانه وحده صاحب الملك والقهر والعطاء والمنع ، والضر والنفع (**وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب**

(١) الاستغاثة : طلب الغوث ، والفرق بين الاستغاثة والدعاء ، أن الاستغاثة لا تكون الا عند حدوث مكروه ، اما الدعاء فليس له وقت محدد ، وعلى هذا فكل استغاثة دعاء ، وليس كل دعاء استغاثة .

به يشاء من عباده) اي وان يردك بنعمة وسعادة ، وخير وتوفيق ، فلا أحد يقدر على منعه ، وليس في استطاعة مخلوق أن يحول بينك وبين ما اراده ، وبأمره وتدبيره يصيب بالخير من يشاء من عباده ـ لحكمة يعلمها هو (**وهو الغفور الرحيم**) اي غفور لمن تاب اليه بعد شركه ، ورحيم يفرح بتوبة عبده اذا أقبل عليه مؤمنا تائبا .

والآية الثانية في هذا الباب مرتبطة بآية قبلها هي قوله تعالى(**وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون**) (**العنكبوت ـ ١٦ ، ١٧**) .

والمعنى لقوله تعالى : (**واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اعبدوا الله واتقوه**) اي اعبدوا الله ولا تشركوا معه أحدا في عبادته ، واتقوا غضبه في اتباع ما أمركم به وبعدكم عما نهى عنه (**ذالكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) اي ذلك الذي امرتكم به من عبادة الله وحده ، خير لكم مما أنتم عليه ، ان كان لديكم علم تميزون به بين ما ينفعكم وما يضركم .

ثم بين فساد ما هم عليه من شرك وغيره فقال : (**انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا**) اي انما تلك المخلوقات التي تعبدونها من دون الله ، انما هي تماثيل تصنعونها بأيديكم ، ثم تسمونها آلهة كذبا وبهتانا ، وهي في الحقيقة جمادات لا تشفع ولا تنفع ، وحتى يتأكد هذا المعنى ـ جاءت هذه الآية تقول : (**ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا**) يعني ان هذه الأوثان التي تعبدونها على اختلاف أشكالها ، وأنواعها لا تستطيع أن تأتي لكم بشيء يدفع عنكم الفقر أو المرض ، أو يجلب لكم الرخاء والصحة ، ، فاذا كان هذا هو واقعها

فكيف تعبدونها ؟ وانطلاقا من هذه الحقيقة حقيقة عجز تلك الاصنام عن أن تنفع بشيء لانها لا تملك شيئا ، وانما الذي يملك الرزق وغيره هو الله القادر على كل شيء ـ جاء قول الله تعالى : (**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون**) اي فاطلبوا الرزق من الله لا من غيره ، وابتغاء الرزق من عند الله عبادة أمر الله بها . واعبدوه ، اخلصوا له العبادة واشكروا له نعمه التي انعم بها عليكم ـ وراقبوه في جميع اعمالكم ، فانكم راجعون اليه يوم القيامة ـ وسيجازى كل عامل بعمله ان خيرا فخيرا ، وان شرا فشر .

أما الآية الثالثة فهي مرتبطة بآية قبلها هي قوله تعالى (**قل أرأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات ، ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين * ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟ * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين *** .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى ـ يأمر نبيه عليه السلام أن يقول لأولئك المشركين : أخبروني عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ـ هل خلقت شيئا من هذه الارض التي تعيش عليها هذه الكائنات الهائلة من البشر وغيرهم ، وهل لهم أي مشاركة في خلق السموات وما فيهن مما يعلم وما لا يعلم ، ان كان كذلك (**ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين**) اذا كنتم تعتقدون أن لهم دخلا في خلق السموات والارض ، فأتوا بأي برهان عقلي أو نقلي على ذلك ، ان كنتم صادقين في قولكم ، والاّ فعودوا الى عقولكم ، ولا تعبدوا الاّ من يستحق العبادة وليس أحد غير الله الواحد الاحد الذي لا شريك له في ملكه .

وفي توبيخ لهؤلاء المشركين لعبادة من لا يعقل ولا يقدر جاء قول الله تعالى (**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**) - أي لا أحد أكثر ضلالا ممن يدعو غير الله من أحجار صماء لا تسمع ولا تستجيب للدعاء ، وبعد أن أوضحت الآية عجز تلك الآلهة عن أي نفع لاتباعها في الدنيا ، جاءت الآية بعدها لتوضيح حالتهم معها في الآخرة (**واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**) اي واذا جمع الناس في موقف الحساب يوم القيامة ، تبرأت تلك الآلهة من أتباعها قائلة : ما أمرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم أيانا تبرأنا اليك ربنا من عبادتهم .

وتأتي الآية الرابعة والاخيرة في هذا الباب في ارتباط وثيق بآيتين قبلها وآيتين بعدها لذا كان لا بد من ذكر هذه الآيات - ليظهر وجه الاستدلال واضحا من الآية الكريمة ، وتبدأ الآيات من كتاب الله بقوله تعالى :

(**أمن خلق السموات والارض . وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أاله مع الله . تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين**) الآيات (**٦٠ - ٦٤ النمل**) .

المعنى في قوله تعالى : (**أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**) اي ايما أحق بالعبادة المخلوقات الهزيلة العاجزة عن النفع والضر ، أم الله الذي خلق السموات والارض بما فيها من كواكب وأفلاك ، وجبال وانهار ، وأنزل من السماء مطرا أنبت به الحدائق والبساتين التي تدخل البهجة على كل نفس بمنظرها الرائع ، وأزهارها ذات الاشكال المختلفة والانواع المتعددة التي تعطى الدليل القاطع على قدرة الخالق العظيم جل جلاله ، والبرهان الذي لا يقبل الشك على عجز البشر عن خلق أي شيء حتى ورقة من شجرة . ولذا قال الله تعالى : (**ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**) اي لولا ارادة الله وانزاله المطر ليكون سببا في انبات الارض بالاشجار والزرع ما قدرتم على شيء من هذا ومع هذا العجز الواضح ، يجعلون المخلوق شريكا للخالق في عبادته ، ولذا جاء قوله تعالى : (**أاله مع الله ؟**) أي ابعد ما أعترفتم به وقام الدليل عليه من أن الله خالق السموات والارض ومن فيهن ، وما بينهما تجعلون معه آلهة تعبدونها وهي لا تملك شيئا ، ولا تنفع بشيء ، وحتى يظهر أن هؤلاء المشركين يسيرون في طريق غير طريق الله المستقيم ـ جاء قول الله تعالى مبينا هذا الانحراف قائلا (**بل هم قوم يعدلون**[1]) أي بل هم قوم ينحرفون عن الطريق المستقيم طريق التوحيد ، الى الطريق الملتوية طرق الشرك والضلالات وحتى يؤكد جل جلاله أحقيته بالعبادة ، ويوبخ أولئك الذين يعبدون معه غيره قال تعالى : (**أمن جعل الارض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين**

---

(١) يعدلون : بمعنى يميلون عن الطريق المستقيم الى الطرق الملتوية .

حاجزا) أي أيها المشركون من أولى بالعبادة ؟ هذه المخلوقات الضعيفة العاجزة عن نفع أو ضر أم الله الذي جعل الارض مستقرا للانسان والحيوان ، وأجرى فيها الانهار للزروع والاشجار ولحياة الانسان والدواب ، وأوجد فيها الجبال الثابتة لتستطيع المخلوقات الحياة عليها بأمان واطمئنان ، وجعل بقدرته العظيمة حاجزا بين المياه المالحة والعذبة ، لينتفع كل مخلوق بما يناسبه . (**أاله مع الله**) أي أبعد هذا البيان تجعلون المخلوقين في منزلة الخالق،انه ولا شك عمل يدل على الجهل بالله ولذا قال تعالى (**بل أكثرهم لا يعلمون**) أي أن اكثر أولئك الذين وقعوا في الشرك لا يدركون عظمة الله ، ولا ما يترتب على شركهم من عواقب مؤلمة ، والا لما اشركوا معه أحدا في عبادته ، وهنا تأتي آية الباب ، فيها توبيخ من الله لأولئك الذين انحرفوا بعقيدتهم الى غير الله ، فقال (**أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض**) ؟ اي من الذي يجيب دعوة المكروب اذا اتجه اليه طالبا كشف ضره ، ومن يجعلكم خلفاء الارض بعمارتها واستخراج خيراتها ، الله الذي يفعل ذلك ، أم معبوداتكم ؟ الله ولا شك هو الذي يقدر على ذلك ، فاذا كان الامر كذلك فلماذا تشركون معه في عبادته ، ولأن الانسان كثيرا ما ينسى نعم الله عليه ، فيشكره عليها باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، جاء قول الله تعالى : (**قليلا ما تذكرون**) اي تذكركم لنعم الله قليل ، والا لو اعترفتم بنعم الله ما أشركتم معه احدا في عبادته ، ثم يزيد الله المنحرفين عن عقيدة التوحيد ، تأنيبا مذكرا لهم أيضا بنعم الله عليهم ، فيقول : (**أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته**) اي من يدلكم اذا ضللتم الطريق في ظلمات البر والبحر بما خلق الله من نجوم ثابتة ومتحركة ، الله أم

الذين تعبدونهم ، ومن يرسل الرياح أمام المطر لاحياء الارض بعد موتها الله أم الآلهة الصماء التي لا تسمع ولا تفقه ؟ لا أحد في الحقيقة يستطيع القول بأن مخلوقا ما هو الذي أوجد النجوم لتكون علامات يهتدي بها الناس في أسفارهم في البر والبحر ، أو ارسل الرياح لتحمل السحاب من مكان الى آخر حسب ارادة الله ، واذا كان الامر كذلك فما وجه صرف أي نوع من العبادة لغير الله ، ولذا قال تعالى (**أاله مع الله**) وقوله (**تعالى الله عما يشركون**) اي تقدس وتنزه عن كل شريك على أي شكل وبأي صورة كان .

وزيادة في توبيخ المشركين وحتى لا يبقى عذر لمعتذر جاء قول الله تعالى (**أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض**) اي من الذي أوجد الكون كله من لا شيء ومن الذي يفنيه ثم يعيده حيا بعد موته ومن الذي ينزل الغيث من أجل رزق العباد ، الله أم الآلهة التي يصنعها البشر بأيديهم ثم يعبدونها سفها وجهلا ؟ الله ولا شيء غير الله ، ولذا جاء قول الله تعالى : : (**أاله مع الله**) اي أبعد هذه البراهين التي لا تقبل الجدل تعبدون مع الله غيره ، وفي لهجة صارمة وتكذيبا لما يزعمه بعض عبدة الأوثان ان في مقدورها جلب النفع أو دفع الضر عن الآخرين ، وبصيغة توحي بالتحدي لأبراز برهان على زعم عبدة الاوثان ، جاء أمر الله لنبيه عليه السلام أن يطلب منهم الدليل على صدق ما يزعمون اذ قال جل جلاله : (**قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين**) أي أعطوا الدليل القاطع على ما تزعمون لكنهم لن يجدوا دليلا على ذلك الا ما حكى الله في القرآن عن المشركين الأولين بقولهم (**انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**) بعد هذه الآيات من كتاب الله المقدس يأتي الحديث الذي رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت

رضي الله عنه ، وفيه «أن منافقا بالمدينة كان يؤذي المؤمنين ، فقال بعض منهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي عليه السلام انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل » لفظ الحديث واضح في النهي عن الاستغاثة بغير الله بأي صورة وعلى أي شكل سواء كان المستغاث به قادرا على الاغاثة أو غير قادر ، والنبي عليه السلام حينما قال : (**لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله**) وهو في ذلك الوقت قادر على كف أذى ذلك المنافق . انما كان ذلك سدا لكل ذريعة قد تؤدي الى الشرك ، والاّ فان الاستغاثة به عليه السلام والحالة هذه جائزة ، لأنها استغاثة بحي حاضر قادر .

والخلاصة :

ان الاستغاثة تنقسم الى نوعين :

النوع الاول : الاستغاثة المحرمة ، وهي الاستغاثة بالميت أو الغائب الذي لا يقدر على الاغاثة مثال ذلك ما يفعله الجهال عند قبور الانبياء والصالحين من دعاء لا يليق الاّ بالله ، كقولهم :

يا سيدي الولي الفلاني . أو الصالح الفلاني ، استغيث بك في حل مشكلتي ، أو أنا في جوارك فانقذنيْ من فقري أو مرضي أو غير ذلك من الامور التي توقع في الشرك بالله في عبادته ، وعلى هذا فكل من جعل بينه وبين الله وسائط من المخلوقين من أموات أو غائبين يدعوهم ويتوكل عليهم ، فقد أشرك بالله شركا اكبر ، وقد حرم الله الجنة على من أشرك بالله شركا أكبر ، كما جاء بذلك كتاب الله بقوله (**انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار**) .

النوع الثاني : الاستغاثة الجائزة ، وهي الاستغاثة بحي حاضر قادر ، مثال ذلك لو أن انسانا هجم عليه عدو ليقتله أو سبع ليفترسه أو لص ليسرق منزله ، فاستغاث بأقرب انسان عنده لينقذه من الخطر كان ذلك جائزا ، وعلى هذا فان الاستغاثة اذا كانت بانسان حي حاضر قادر ، تكون جائزة ، وهنا يمكن أن نقول باختصار ان الاستغاثة اذا كانت بميت أو جماد أو غائب تكون شركا ، واذا كانت بأنسان حي حاضر قادر لم تكن شركا .

باب

قول الله تعالى (**أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا**) الاية (١٦١ ، ١٦٢ ـ الاعراف) وقوله : (**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**) الاية (١٣ ، ١٤ ـ فاطر) .

وفي الصحيح عن انس قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته فقال (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) فنزلت (**ليس لك من الامر شيء**) وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » بعدما يقول « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » فأنزل الله : (**ليس لك من الامر شيء**) الآية وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث ابن هشام ، فنزلت (**ليس لك من الامر شيء**) وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (**وأنذر عشيرتك الأقربين**) فقال : « يا معشر قريش ـ أو كلمه نحوها ـ

اشتروا انفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد . . .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الاولياء يؤمنون في الصلاة .

الرابعة : ان المدعو عليهم كفار

الخامسة : انهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار . منها شجهم لنبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع انهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك (**ليس لك من الامر شيء**) .

السابعة : أو يتوب عليهم أو يعذبهم ـ فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لعنه المعين في القنوت .

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه (**وأنذر عشيرتك الاقربين**)

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم في هذا الامر بحيث فعل

ما نسب بسببه الى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والاقرب « لا أغنى عنك من الله شيئا » فاذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغنى من الله شيئا عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الانسان انه لا يقول الا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد ، وغربة الدين .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان سفه عقول الذين يجعلون المخلوقين شركاء للخالق في عبادته ويرفعون العبد المخلوق العاجز الى منزلة الخالق المعبود القاهر فوق عباده .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان ، وقصة ، وحديثان .

فالآية الاولى : جاء فيها قوله تعالى : (**أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون**) أي أيشركون مع الله في عبادته مخلوقين لا يقدرون على خلق شيء - كما قال الله في آية أخرى في كتابه العزيز : (**ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب * ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون**) أي وزيادة على عجزهم عن خلق أي شيء ، فهم عاجزون ايضا عن رفع المحن والكوارث عن العابدين لهم ، وهم ايضا كذلك عاجزون عن نصر انفسهم حينما يلم بهم خطب ، ووصف الانسان بالعجز عن الخلق وعن الحصول على النصر الا بأمر

الله ، وصف ينطبق على كل مخلوق لا فرق في ذلك بين نبي وملك ولا بين ولي أو صالح أو غيرهم ، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو المرسل من عند الله للبشر يهديهم الى الخير ، يطلب النصر على المشركين من عند الله ، فيقول في الدعاء الوارد عنه « اللهم أنت عضدي ونصيري ، بك أحول ، وبك أصول ، وبك أقاتل) فاذا كان نبي الله عليه الصلاة والسلام يدعو ربه بالنصر على الاعداء ، لعلمه أن النصر لا يكون الا من عند الله ، فكيف يقال بأن تلك الاصنام تجلب النصر لاتباعها وهي حجارة صماء ، أو مخلوقون غابوا تحت التراب .

والآية الثانية : قوله تعالى : (**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**) اي أيها المشركون مع الله في عبادته ان هؤلاء الذين تدعونهم من المخلوقين ملائكة كانوا أو أنبياء ، صالحين أو أولياء أو غيرهم ـ عاجزون عن تحقيق أي شيء تطلبونه منهم . حتى القطمير[١] وهو شيء لا قيمة له لا يستطيعون تحقيقه فيما لو طلبتموه منهم . فاذا كان هذا هو الحال بالنسبة لتلك المعبودات فكيف تدعونها من دون الله ، ثم اكد القرآن الكريم هذا العجز بأن نفى عنهم سماع الدعاء ، فقال : (**ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم**) اي لا يدرون ماذا تقول لانهم ما بين ميت ذاب جسمه في التراب أو فارق الحياة الى حياة برزخية ـ الله أعلم بكيفيتها ، ، أو آخر غائب ، وهؤلاء كلهم لا يستطيعون سماع الدعاء ، واذا كانوا لا يسمعون الدعاء فما الفائدة من دعائهم ، وعلى فرض أنهم سمعوا الدعاء فانهم لا يستجيبون له ، وزيادة على ذلك يتبرأون يوم القيامة من معبوديهم ، ويكفرون بعبادتهم لهم . كما جاءت بذلك الآية الكريمة (**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**) قوله : (**ولا ينبئك مثل**

---

(١) القطمير : هو الغلاف الرقيق الذي يكون على نواة التمر .

خبير) أي لا يخبرك بأن هذه المعبودات من دون الله ـ عاجزة عن النفع أو الضر ، وأنها لا تسمع ولا تستجيب للدعاء ، وأنها تتبرأ من عبادة اولئك المشركين يوم القيامة .

مثل خبير وهو الله سبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافيةبعد هاتين الآيتين ، تأتي قصة شج النبي صلى الله عليه وسلم ، وتتلخص هذه القصة في أن النبي عليه الصلاة والسلام شج[1] رأسه في موقعة أحد[2] وكسرت رباعيته[3] ، ويقول ابن هشام : ان أبا سعيد الخدري قال : ان عتبة بن ابي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه ، وأن عبد الله ابن قمئة هو الذي جرحه في وجنته ، وأن حلقتين من حلق المغفر دخلتا في وجنته ، وأن مالك بن سنان هو الذي مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابتلعه ، فقال له عليه السلام : « لن تمسك النار » وذكر ابن اسحاق في المغازي عن أنس قال : (كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم الى ربهم ؟ فأنزل الله الآية الكريمة (**ليس لك من الامر شيء**) اي ليس لك من أمر العباد الاّ تنفيذ ما آمرك به ، أما غير ذلك فلي وحدي ، أتصرف فيه كيف

---

(١) الشجّ في الاصل : الضرب على الرأس بشيئ يحدث تمزقا في جلدة الرأس ، ثم استعمل في بقية الاعضاء .

(٢) أحد : جبل يبعد نحو ميل من المدينة الى الشمال قال عنه الرسول عليه السلام : أحد جبل يحبنا ونحبه .

(٣) الرباعية : هي كل سن بعد ثنية وللانسان أربع رباعيات .

أشاء وبهذا المعنى جاء قول الله تعالى : (**قل ان الامر كله لله**) وقوله لنبيه عليه السلام : (**انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**) وفي هذه القصة أمران :

الامر الاول : ان الانبياء كغيرهم من البشر تصيبهم المحن والمصائب ويطرأ عليهم كما يطرأ على غيرهم من هموم وأحزان بل ويلاقون من متاعب الحياة من اجل هداية الناس أكثر مما يلاقى غيرهم من البشر وما حصل للرسول عليه الصلاة والسلام في موقعة أحد ، وما حصل له من قبل من أذى المشركين في كل من مكة والطائف هو من من هذا القبيل ، ومن قبل محمد عليه الصلاة والسلام في تحمل متاعب الحياة من أجل هداية الخلق ، ما حصل للانبياء قبله ابراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام من أذى قومهم .

الامر الثاني : اذا كان الرسول عليه السلام وهو نبي الله وخاتم رسله لا يملك من الامر الاّ ما أمره الله به فغيره أولى الاّ يملك شيئا ، وفي هذا حجة على أولئك الذين يطلبون من غير الله جلب نفع أو دفع ضر .

وفي الحديث الاول في هذا الباب ، حديث ابن عمر رضي الله عنه أن الرسول عليه السلام بعدما شج وكسرت رباعيته أخذ بعد أن يرفع رأسه من الركعة الاخيرة من الفجر يدعو على أفراد المشركين ، صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، فما استجيب له هذا الدعاء ، وأنزل الله قوله تعالى : (**ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم**) اي أن الله سبحانه وتعالى صاحب الامر يتصرف فيه كيف يشاء ، ولقد أسلم هؤلاء فتاب الله عليهم وتجاوز عن سيئاتهم ، لأن الاسلام يمحو ما سبقه من ذنوب وآثام .

وفي نهاية الباب يأتي حديث ابي هريرة[1] رضي الله عنه وفيه أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعدما أنزلت عليه هذه الآية من كتاب الله (**وأنذر عشيرتك الأقربين**) صعد عليه السلام الصفا ، ثم نادى واصباحاه فلما اجتمع اليه الناس : « فقال يا معشر قريش أشتروا أنفسكم » اي اعملوا ما ينجيكم من عذاب الله ، باخلاص العبادة له وحده لا شريك له « فاني لا أغنى عنكم من الله شيئا » أي فان قرابتكم مني لا تحول بينكم وبين عقاب الله ، وانما الذي يقيكم من ذلك هو البعد عن الشرك وما تقدمونه من عمل صالح يرضى عنه الله ، وبعد هذا الانذار والتخويف للاقربين من عشيرته ، وجه الانذار الى عمه قائلا : « يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا » فاتجه الى الله مخلصا له العبادة فما أنا بقادر على نفعك ان أنت خالفت أمر الله ، ثم اتجه بالنداء الى عمته قائلا (يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا أي احذري من أن يتجه قلبك الى غير الله عابدا متذللا ، فينالك عقاب من الله لا أقدر على دفعه) وفي نهاية الحديث يتجه بالانذار والتخويف الى ابنته فاطمة ويعلن لها على مشهد من الناس بأنه لا يقدر على دفع العقاب عنها يوم القيامة ان هي خالفت أمر الله ، اذ قال عليه السلام : « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا لا أغنى عنك من الله شيئا » واخبار النبي عليه الصلاة والسلام لا قاربه الاقربين بأنه لا يغنى عنهم من الله شيئا ، دليل على أن غير الرسول عليه السلام في عدم نفع أحد أو ضره من باب أولى وأن المخلوق أي مخلوق كان لا يجوز سؤاله الا فيما يقدرعليه في الدنيا ، أما غير ذلك فلا يطلب الا من الله المالك القهار .

---

(١) أبو هريرة رضي الله عنه : اسمه عبد الرحمن بن صخر .

باب

قول الله تعالى (**حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير**) الاية (٢٣ ـ سبأ) في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك (**حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير**) فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته ـ حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما القاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أراد الله تعالى أن يوحي بالامر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة . خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل

على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على ابطال الشرك خصوصا من تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله (**قالوا الحق ، وهو العلي الكبير**) .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله : قال كذا وكذا .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : انه يقول لأهل السموات كلهم . لانهم يسألونه .

الثامنة : ان الغشي يعمّ أهل السموات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي الى حيث امره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا .

الثالثة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الاحيان .

الرابعة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

الخامسة عشرة : أنه لم يصدق كذبه الاّ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

السادسة عشرة : قبول النفوس للباطل ـ كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .
السابعة عشرة : كونهم يلقى بعضهم الى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .
الثامنة عشرة : اثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة .
التاسعة عشرة : التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفا من الله عز وجل .
العشرون : أنهم يخرون لله سجدا .

الهدف :

قصد داعية التوحيد رحمة الله عليه من هذا الباب بيان جهل من يتجه الى غير الله بأي نوع من أنواع العبادة .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية وحديثان .

فالآية الكريمة جزء من آية مرتبطة بآية قبلها هي قوله تعالى : (**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟قالوا الحق وهو العلي الكبير**) الآية (٢٢ ، ٢٣ - **سبأ**) وقوله : (**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله**) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين اذا الت بكم المصائب والمحن ، فالجؤوا الى معبوداتكم التي تزعمون أنها تنفع وتضر ، طالبين منها ازالة الضرر عنكم ثم انظروا

هل تستطيع شيئا من ذلك ، اذا فعلتم ذلك ، وعلمتم أن لا قدرة لها على نفع أو ضر فما هو المبرر لتعلق قلوبكم بها ، ودعائكم لها ، ناسين أو متناسين خالق هذه المعبودات القادر على النفع والضر .

وفي أسلوب يكشف عجز أولئك المعبودين جاء قول الله تعالى (**لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**) اي ان الذين تدعونهم أيها المشركون من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فكيف تدعونهم وتطلبون منهم نفعا أو ضرا ، وهم في منتهى الافلاس من كل شيء ، وبهذا المعنى جاءت الآية الكريمة من كتاب الله تقول : (**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**) وقوله تعالى (**وما لهم فيهما من شرك**) اي وما لهؤلاء المعبودين من مشاركة في خلق السموات والارض ، فيكون لهم شيء من الملك وانما الملك للمتفرد بخلق هذا الكون كله . لذا فهو وحده الذي يستحق العبادة دون غيره .

وزيادة في نفي أي معاونة من أي من تلك الآلهة التي يعبدها أولئك المشركون في خلق أي شيء في السموات أو الارض جاء قول الله تعالى : (**وما له منهم من ظهير**) اي وما لله من معين في خلق هذا الكون من تلك الآلهة ولا غيرها من المخلوقات .

وتأكيدا لعجز تلك الآلهة حتى عن الشفاعة لاحد الاّ اذا اذن الله في ذلك جاء قول الله تعالى (**ولا تنفع الشفاعة عنده الاّ لمن اذن له - وهو لا يأذن بالشفاعة الاّ لأهل التوحيد أما الكافرون بالله المشركون معه في عبادته فهو لا يأذن في الشفاعة لهم** .

قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم) اي زال عنهم الرعب والخوف : قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال ربنا القول الحق (**وهو**

العلي) أي صاحب العلو المطلق ـ علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات ـ فهو تعالى عال على عرشه ، بائن من خلقه ، مهيمن عليهم ، مطلع على جميع أمورهم ، كما قال الله تعالى : (**ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش**) (**الكبير**) أي الذي لا أكبر ولا أجل ولا أعظم منه تعالى وتقدس .

بعد هذه الآيات من كتاب الله العزيز يأتي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفيه يوضح الرسول عليه الصلاة والسلام مدى خوف الملائكة من الله فيقول : « اذا قضى الله الأمر في السماء » اي اذا تكلم الله بالوحي لجبريل بما يريده « ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله » أي ارتجفت الملائكة في خوف وذهول مما عساه أن يأمر به الله جل جلاله .

قوله : « كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك » أي كأن الصوت الذي تسمعه الملائكة صوت سلسلة على حجر أملس ـ هذا الصوت ينساب متغلغلا في أجسام الملائكة في فزع شديد الى أن يأتيهم جبريل عليه السلام فيخبرهم بالأمر فيزول عنهم الخوف ـ حتى اذا عادوا الى هدوئهم (**قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق**) أي قال بعضهم لبعض : قال الله الحق لانهم يعلمون تمام العلم أن الله لا يقول الا الحق ، قوله فيسمعها مسترق السمع أي فتسمع الشياطين ما قضاه الله ووصف سفيان بن عيينة كيفية استراقهم للسمع بصعود بعضهم على بعض ، حتى اذا سمع الاعلى منهم الكلمة اعطاها لمن تحته . وهكذا حتى تصل الى الساحر أو الكاهن في الارض .

قوله « فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها » أي أن الشهاب أحيانا يحول بين الشيطان وبين استراق السمع وأحيانا يستمع الكلمة قبل أن

يصل اليه الشهاب فيكذب معها الكــاهن أو الساحر مائة كذبة ، بمعنى أن الكاهن أو الساحر اذا أخبر الناس أن شيئا سيقع كما أخبره بذلك الشيطان الذي استرق السمع من السماء فوقع ، صدقه الناس في كل ما يقول ـ وهكذا كلما سمعت الشياطين عن طريق استراق السمع من السماء أمراً قضاه الله أخبروا السحرة والكهان فزادوا عليه كذبا كثيرا فيصدقهم الناس وفي الحديث أمور منها :

أولا : ان الله يتكلم اذا شاء بكلام يسمعه الملائكة .

ثانيا : ان الله تعالى وتقدس عال على خلقه علوا يليق بجلاله وعظمته .

ثالثا : ان الملائكة يخافون من الله خوفا شديدا شأنهم في ذلك شأن كل مخلوق اعترف لله بالعبودية المطلقة يرجو رحمته ويخشى عذابه .

رابعا : أن للسماء حراسة من الشهب وغيرها تمنع من استراق السمع وغيره ، هذه الحراسة لم تكن مشددة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ولذا كانت الشياطين من الجن تسترق السمع من السماء ، الاّ اذا حالت الشهب بينهم وبين التمكن من ذلك الى أن بعث الرسول عليه الصلاة والسلام فشددت الحراسة حتى لم تعد الشياطين بقادرة على استراق السمع بحال من الاحوال .

وفي نهاية الباب يأتي حديث النواس بن سمعان ، وفيه الاخبار من الرسول عليه الصلاة والسلام بما يحصل للسموات عند سماعها

لكلام الله من ارتجاف ورعب فيقول عليه الصلاة والسلام اذا اراد الله أن يوحي بالأمر ، أخذت السموات منه رجفة أوقال رعده خوفا من الله عز وجـل اي اذا أراد الله أن يتكلم بالوحي ارتجفت السموات خوفا من الله جلت قدرته ، وحينما تسمع السموات كلام الله وتخاف منه ، فان ذلك يعني أنها لا اكثر من أنها جزء من هذا الكون الهائل الذي يخاف من الله ويخضع لعظمته ، جاء ذلك صريحا في كتاب الله اذ يقول : (**تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليماً غفورا**) واذا كان كل شيء يسبح بحمد الله ، وأن اعضاء الانسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من أعمال في الدنيا ـ حيث تقول الآية الكريمة : (**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**) فليس هذا من الغرابة في قليل أو كثير بالنسبة لقدرة الله الذي أوجد هذا الكون من لا شيء ـ أقول هذا لربما يقول قائل كيف يمكن للسماء أن تسمع ولاعضاء الانسان أن تتكلم ، لكننا اذا نظرنا الى ما وصل اليه الانسان بما منحه الله من عقل وتفكير من قدرة على اختراع أشياء كثيرة ـ سهلت له الكثير من وسائل حياته ، ادركنا أن قدرة الله التي جعلت السماء تسمع والاعضاء تتكلم أمرا في غاية السهولة ، ألم تر الى الانسان وهو يتصارع مع جاذبية كوكبنا الارض بوسائله العلمية لينفذ منها الى كوكب آخر ، واليه وقد اخترع آلة تلتقط الاصوات من جميع أنحاء الدنيا ليسمعها الانسان في أي مكان من العالم ، ثم اليه وقد اخترع الاجهزة الحاسبة والآلات الحافظة للصوت والصورة ، وما الى ذلك من مخترعات عجيبة وغزيبة

اذا كانت هذه هي قدرة الانسان المخلوق الضعيف فكيف بقدرة الخالق الذي لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء .

قوله : « فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا »
أي فاذا سمع أهل السموات كلام الله خروا سجدا لله في اغماء وذهول .
قوله « فيكون أول من يرفع رأسه جبريل » وهذا فيه دلالة على منزلة جبريل عليه السلام عند الله « فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء ، سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل » وفي هذا دلالة صريحة على أن لكل سماء حدودا تفصلها عن الاخرى ـ لكن كيفية هذه الحدود لا نعرفها ، لله وحده يعلم ، أما نحن البشر فلا نعلم من أمور الغيب الا ما أخذناه عن كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

والخلاصة : انه اذا كانت ملائكة الرحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يرتجفون خوفا من الله ، فغيرهم من البشر أولى بالخضوع أمام الله ، والاعتراف له بالعبودية الخالصة ومن هنا يكون التوجه الى غير الله بالعبادة لأي مخلوق مهما كانت منزلته شركاً لا يغفره الله ـ الاّ بالتوبة الصادقة والاقبال المخلص على الله .

باب

الشفاعة

وقول الله تعالى (**وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون**) الآية (٥١ ـ الانعام) وقوله (**قل لله الشفاعة جميعا**) الآية (٤٤ ـ الزمر) وقوله (**من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه**) الاية (٢٥٥ ـ البقرة) وقوله (**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**)الاية (٢٦ ـ النجم) وقوله (**قل ادعوآ الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض**) الآيتين (٢٢ ، ٢٣ ـ سبأ) .

قال ابو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عونا لله ، ولم يبق الا الشفاعة فبين أنها لا تنفع الا لمن اذن له الرب كما قال (**ولا يشفعون الا لمن ارتضى**) فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه « يأتي فيسجد لربه ويحمده ـ لا يبدأ بالشفاعة أولا ـ ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ». وقال له ابو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال لا أله الا الله خالصا من قلبه » فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص باذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله ،

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أتت الشفاعة باذنه في مواضع ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص انتهى كلامه .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير الآيات

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد ، فاذا أذن الله له شفع .

السادسة : ما أسعد الناس بها .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان الشفاعة ما يصح منها وما لا يصح .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب خمس آيات وحديث واحد . فالآية الاولى جاء فيها قوله تعالى : (**وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم**) اي حذر بما يوحى اليك المؤمنين ذوي القلوب الخائفة من الله ، الراجية لما عنده من ثواب عظيم ، (**ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع**) اي

بأن ليس لهم يوم القدوم على الله من ولي ينفعهم ولا شفيع يحول بينهم وبين عذاب الله . (**لعلهم يتقون**) أي عساهم اذا علموا أن الاعتماد على الاولياء والاتكال على الشفعاء لا يفيد ، يتوجهون الى الله بالعمل الصالح والايمان الصادق ليقيهم من عذاب الله.

والاية الثانية مرتبطة بآية قبلها ، هي قوله تعالى : (**أم اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ ؟ قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون**) (٤٣ ، ٤٤ **الزمر**) قوله تعالى : (**أم اتخذوا من دون الله شفعاء**) أم هنا بمعنى بل ، أي بل اتخذ المنحرفون عن توحيد الله آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، من أجل أن تشفع لهم عند الله في قضاء أمورهم وهذا شرك بالله ، ولذا أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام ، أن يقول لهم (**قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون**) أي ولو أن الآلهة من بشر أو جماد لا تملك شيئا ولا تعقل شيئا تعبدونها بطلبكم الشفاعة منها ،ولاشك أن عملا كهذا يدل على الجهل وعدم الفهم ،وحتى يعلم أولئك المشركون أن الشفاعة كلها ملك لله وأن أي مخلوق لا يستطيع أن يشفع الا باذن من الله ، جاء قول الله تعالى : (**قل لله الشفاعة جميعا**) أمر من الله لنبيه عليه السلام أن يقول لأولئك المشركين ، ولكل من تعلق قلبه بغير الله في كل زمان ومكان إن الشفاعة لا تطلب الا من الله ، وأنه ليس من حق أحد أن يشفع لأحد الا بعد اذن من الله ثم بين السبب في أن الشفاعة كلها لله فقال تعالى في آخر الآية : (**له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون**) أي هو المالك لكل ما في الوجود ، فلا يستحق العبادة غيره ، ولا يتصرف أحد في ملكه الاّ باذنه ، واليه يرجع الخلق فيجازي كلا بما يستحقه ، ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا .

وتأتي الآية الثالثة لتقرر أن لا أحد يقدر على الشفاعة الأّبعد اذن من الله تعالى ، وذلك اذ يقول تعالى : (**من ذا الذي يشفع عنده الأّ باذنه**) أي من ذلك الذي يتجزأ على الشفاعة الأّبعد اذن من الله له بذلك .

وفي تيئيس للمشركين ولكل من اتجه الى غير الله في كل زمان ومكان من أن يحصلوا على فائدة من عبادة غير الله ـ جاءت الآية الرابعة لتقرر هذا فتقول : (**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**) والمعنى هنا لا يختلف عن معنى الآية السابقة في الشفاعة وأنها لا تكون الا بعد اذن الله ـ حتى الملائكة المطهرون من الآثام والمعاصي لا يتجرأون على الشفاعة الأّ بعد اذن الله لهم بذلك ، فاذا كان هذا هو الحال بالنسبة للملائكة المقربين عند الله تعالى ، فغيرهم أولى بعدم القدرة على الشفاعة الأّ بعد اذن من الله ، ومن هنا يتضح أن أولئك الذين يطلبون الشفاعة من مخلوقين فارقوا الحياة ، أو جمادات لا تسمع انما يسببون لأنفسهم البعد من الله ، أدركوا ذلك أم لم يدركوه .

أما الآية الخامسة فقد تقدم الكلام عليها في الباب السابق لهذا الباب وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تقدم معناه في الآيات السابقة في الباب ايضا .

وفي نهاية الباب يأتي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفيه انه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن من أسعد الناس بشفاعته قال عليه الصلاة والسلام : « من قال : لا اله الأّ الله خالصا من قلبه » وهذا الحديث فيه دلالة على أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكون الأّ للموحدين المخلصين من قلوبهم ، وبهذا المعنى جاء الحديث في

صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا » .

والخلاصة أن الشفاعه نوعان :

النوع الاول :

شفاعة نفاها القرآن الكريم وأخبر أنها لا تقبل وهي الشفاعة للكفار والمشركين كما جاء ذلك في قوله تعالى : (**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**) وقوله تعالى : (**والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الأ ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار**) وفي هذا ابطال لكل شفاعة تطلب من غير الله فالذين يتجهون الى الارض يدعون من توارى تحتها من أنبياء أو أولياء ، أو صالحين أو غيرهم من المخلوقين ، يدعونهم ويتوكلون عليهم انما يبعدون أنفسهم عن الله بشركهم في العبادة ، لأن طلب الشفاعة من الله عبادة وطلبها من غيره شرك .

النوع الثاني :

شفاعة أثبتها القرآن الكريم وهي الشفاعة للموحدين ، ولا تحصل هذه الشفاعة الا بشرطين .

الاول : اذن الله للشافع بالشفاعة كما قال الله تعالى :(**من ذا الذي يشفع عنده الأباذنه**) .

الثاني : رضاه عن المشفوع له بالشفاعة كما قال تعالى : (**ولا يشفعون الأ لمن ارتضى**) وهو سبحانه وتعالى لا يرضى الا عن الذين اخلصوا العبادة له وحده

باب

قول الله تعالى (**انك لا تهدي من أحببت**) الآية (**٥٦ ـ القصص**)

في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عبد الله بن ابي أمية وأبو جهل ، فقال له يا عم ، قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فاعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملّة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا اله الاّ الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا ستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عزّ وجل (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**) ، وأنزل في أبي طالب (**انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء**)

فيه مسائل :

الاولى : تفسير قوله (**انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء**) .

الثانية : تفسير قوله (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** .

الثالثة : وهي المسألة الكبرى تفسير قوله (**قل لا اله الاّ**

الله) بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم اذا قال للرجل « قل لا اله الا **الله** » فقبح الله من ابو جهل أعلم منه بأهل الاسلام .

الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه .

السادسة : الرد على من زعم اسلام عبد المطلب واسلافه .

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ، بل نهي عن ذلك .

الثامنة : مضرة أصحاب السوء على الانسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الاسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال ابي جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الاعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه الا بها مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره – فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

الهدف :

قصد المصلح الكبير رحمة الله عليه من هذا الباب بيان أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية التوفيق ، وشرح الصدر للأيمان ، وانما الذي يملك ذلك الله سبحانه وتعالى كما ورد ذلك في كتابه العزيز : (**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للأسلام** ،

ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) وانما الذي يملكه عليه الصلاة والسلام هداية الدعوة والارشاد ، كما قال الله تعالى (**وانك لتهدي الى صراط مستقيم**) .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية وحديث واحد .

فالآية الكريمة ـ جاء فيها قوله تعالى : (**انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**) أي انك لا تقدر على هداية من أحببت ، وانما عليك البلاغ ، والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة ، وبهذا المعنى جاءت هذه الآية من كتاب الله تعالى : (**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**) وقوله تعالى : (**وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**) والهداية المنفية هنا عن النبي صلى الله عليه وسلم هي هداية التوفيق والقبول ، وقوله تعالى (**وهو أعلم بالمهتدين**) اي هو أعلم بمن لديه الاستعداد للهداية ، ومن طبعه الانكار والجحود والعناد .

وبعد هذه الآية من كتاب الله يأتي حديث ابن المسيب وفيه يحكي قصة الرسول عليه السلام مع عمه ابي طالب حينما حضرته الوفاة فيقول : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وابو جهل فقال له « يا عم قل لا اله الآ الله كلمة أحاج لك بها عند الله » أي اعترف لله بالوحدانية ، أجد وسيلة أطلب بها لك منزلة رفيعة عند الله ، لكن أبا طالب وهو رجل ذو مكانة في قومه لم يستطع أن يعرض نفسه للاهانة ، ومركزه للانهيار لأنه يدرك تماما أن كلمة (**لا اله الآ الله**) تعني البراءة من الشرك ، والاتجاه الى الله بالقلب واللسان والجوارح ، وهذا معناه التنكر لما عليه

قومه من عبادة للاوثان .

وبتأثير من جلساء السوء عبد الله بن ابي أمية ، وأبى جهل حين قالا له في استفهام يشبه التحذير « أترغب عن ملة عبد المطلب » أي أتترك دين آبائك وأجدادك ـ أجاب ابو طالب رسول الله عليه السلام بقوله : « لولا أن تعيرني قريش ، يقولون ما حمله على ذلك الاّ جزعه من الموت ـ لأقررت بها عينك ، ومع حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على إسلام عمه فقد فارق ابو طالب الدنيا دون أن يدخل في الاسلام ، ولعل في ذلك حكمة ، هي أن يؤكد الخالق العظيم للناس جميعا أن هداية التوفيق وشرح الصدر للاسلام لله وحده ، قوله : « فاعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا » أي فاعاد عليه السلام الدعوة للدخول في الاسلام ، فاعادا تذكيره بأن هذا يتنافى مع ملة عبد المطلب ، التي هي الشرك بالله في العبادة قوله : « فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب » أي سيبقى على ما كان عليه آباؤه ـ قوله :وأبى أن يقول « لا اله الاّ الله » وفي هذا تأكيد من راوي الحديث بأن أبا طالب قد بقي على دين عبد المطلب ، وفي هذا رد على من زعم أن أبا طالب دخل في الاسلام .

قوله : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ستغفرن لك ما لم أنه عنك » أي لا طلبن لك المغفرة ما لم ينهني الله عن ذلك ، وقد وقع ما كان يتوقعه عليه السلام من عدم السماح له بالاستغفار لعمه ، فقد أنزل الله عز وجل في ذلك قوله تعالى : (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى**) كما أنزل فيه ايضا قوله تعالى (**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**) .

باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل (**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الأ الحق**) (١٧١ ـ النساء) وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى (**وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**) الاية (٢٣ ـ نوح) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الامد فعبدوهم .

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، انما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » اخرجاه .

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اياكم والغلو ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلك المتنطعون » قالها ثلاثا .

فيه مسائل :

الاولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الاسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أن أول شرك حدث على وجه الارض أنه بشبهة الصالحين .

الثالثة : أنه أول شيء غير به دين الانبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله ارسلهم .

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل .

فالاول : محبة الصالحين .

والثاني : فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا فظن من بعدهم أنهم ارادوا به غيره .

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة : جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد .

الثامنة : أن فيه شاهدا لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول اليه .

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل والحكمة من ازالتها .
الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها .
الرابعة عشرة : وهي اعجب واعجب قرائتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله رسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .
الخامسة عشرة : التصريح بأنهم لم يريدوا الاّ الشفاعة .
السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور ارادوا ذلك .
السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله « لا تطروني » الخ فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .
الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .
التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدز وجوده ومضرة فقده .
العشرون : ان سبب فقد العلم موت العلماء .

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان أن الغلو في المخلوقين يؤدي في النهاية الى الشرك بالله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية واحدة واربعة أحاديث .

فالآية الكريمة جاء فيها قوله تعالى (**يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق**)

أي لا تتجاوزوا الحد في التعظيم ، والخطاب هنا وان كان موجها لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) الاّ أنه يشمل جميع البشر في النهي عن الارتفاع بالمخلوق عن منزلة العبودية الى مقام الالوهية ، كما فعل ذلك النصارى في تعظيمهم لعيسى عليه الصلاة والسلام الى درجة العبادة ، وكما يفعله الكثير من الجهال من تجاوز للحد في تعظيم الانبياء والأولياء والصالحين مما أدى بالكثير منهم الى الخروج عن دائرة التوحيد الى منحدر الشرك الذي هو أعظم الذنوب جرما عند الله .

بعد هذه الآية من كتاب الله يأتي الحديث الاول بهذا الباب ، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي يحكي فيه قصة الاصنام ،ود ، وسواعا ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا ، بأنها كانت اسماء لرجال صالحين من قوم نوح ، ولمعرفة الشيطان بحب الناس في عهد نوح عليه السلام لهؤلاء الرجال الصالحين ، ولإدراكه بما يؤول اليه الغلو من مفاسد كبيرة ، أوحى الى أتباعهم الذين يقتدون بهم ، بعد أن ماتوا أن يجعلوا لهم تماثيل على صورهم ، ويضعوها في مجالسهم ، ويسموها بأسمائهم لكي يتمثلوهم فيكون ذلك أدعى الى الاقتداء بهم في العبادة ، وفعلوا ذلك عن حسن نية ، ولم تعبد هذه الاصنام حتى مات أولئك الذين صوروا تلك الاصنام وفشا الجهل في الناس . فجاء أبليس وقد تهيأت نفوس الناس لتقبل الخرافة بسبب الجهل ، فقال لهم ، ان من كان قبلكم كانوا يعبدونهم ، ويستسقون بهم المطر ، وبهذا زين لهم عبادة الاصنام ، فوقعوا في الشرك بسبب الغلو في محبة الصالحين ، وكان هذا أول شرك حدث في الارض ، وعن طريق غواية الشيطان

وملاحقته للانسان ليبقى دائما في متاهات الضلال والبعد عن الله ، انتقلت هذه الاصنام الى العرب فيما بعد :

فكان ود : لكلب
وسواع : لهذيل
ويغوث : لغطيف بالجرف عند سبأ .
ويعوق : لهمدان .
ونسر : لحمير آل ذي الكلاع .

وسرت عدوى الغلو في المخلوقين في البلاد الاسلامية كلها الى أن انقلب الامر الى عبادة من دون الله ، ففي نجد والحجاز كانت هناك أصنام وأوثان يقصدها الناس لطلب الشفاعة ، وجلب الرخاء الى أن جاء داعية التوحيد الشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله فقضى على كل مظاهر الوثنية في هذه البلاد . وفي مصر ما يزال الناس حتى اليوم يطوفون حول قبر أحمد البدوي وغيره داعين مبتهلين ومقدمين له النذور من دون الله وفي العراق هناك حيث يتجه الجهال الى مشهد علي والحسين وعبد القادر الجيلاني وغيرهم من البشر طالبين منه في تذلل وخشوع - الشفاعة ، وجلب السعادة . وما من بلد اسلامي الا ويوجد فيه قبر أو مشهد ، أو صنم أو طاغوت ، يضج حوله الجهال ملتمسين منه الخير والبركة ، وهو عمل لا يرضى عنه الله ، لانه ليس من الاسلام في شيء ، وكل هذا سببه مجاوزة الحد في تعظيم المخلوقين ، ببناء القباب على القبور وزخرفتها وإنارتها بالشموع وغيرها ، واحاطتها بهالة من القداسة والتعظيم ، الشيء الذي أدى بالناس في النهاية الى الوقوع في الشرك بالله تعالى .

الحديث الثاني في الباب هو حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تجاوز الحد في مدحه تواضعا منه عليه الصلاة والسلام ، وخوفا من أن يتطور الامر الى رفعه الى منزلة لا تليق بالمخلوق . اذ قال عليه السلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » .

قوله : « لا تطروني » أي لا تمدحوني بالباطل ولا تتجاوزوا الحد في مدحي ولذا ورد في حديث عنه عليه السلام جاء فيه « أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان ـ إنا محمد ابن عبد الله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» ومع نهيه عليه السلام فقد تجاوز كثير من المسلمين الحد في مدحه ونسبوا اليه بعض ما هو من خصائص الله تعالى : فقد زعم أصحاب الخرافة الجهلة بدين الله ، أنه عليه الصلاة والسلام يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الآ الله ، كما ورد ذلك في قول الله تعالى : (**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الآ هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الآ يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الآ في كتاب مبين**) لكن النبي عليه السلام نفى عن نفسه هذا الزعم .

في تلك الآية الكريمة من سورة الاعراف : (**قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الآ ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**) وشبيه بهذا ما يدعيه الدجالون من أصحاب الطرق الصوفية وغيرهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر مجالس الذكر التي يعقدونها بمناسبة مولد الرسول عليه السلام أو غير ذلك من الموالد البدعية التي استحدثها الجهال وأعداء الاسلام ، ليشوهوا حقيقة دين الله بمثل هذه الخرافات التي لا تقوم على دليل من شريعة رب العالمين.

قوله « كما أطرت النصارى ابن مريم » أي تتعدوا الحدود في رفعي الى منزلة فوق التي منحني الله إياها فتقعوا فيما وقع فيه النصارى من كفر بالله بسبب تجاوزهم الحد في تعظيمهم لنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام الذي آل بهم الى أن يرفعوه من منزلة العبودية الى مقام لإله المعبود كما جاء ذلك في كتاب الله : (**لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم**) .

وحتى لا تقع أمة الاسلام فيما وقع فيه النصارى من كفر بالله بسبب مجاوزة الحد في التعظيم نهى الرسول عليه السلام عن مجاوزة الحد في المدح . وحتى يقيم الحجة على كل من أراد أن يتجاوز الحد في تعظيمه قال عليه السلام : « انما أنا عبد . فقولوا : عبد الله ورسوله » أي لا توغلوا في مدحي ، فانما أنا عبد من عباد الله ، ورسول من رسله ، الذين أرسلهم الى البشر ليخرجوهم من عبادة المخلوق الى عبادة الخالق جل جلاله والرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال : « انما أنا عبد » يشير بذلك الى أمرين :

الاول : اعتزازه بعبوديته لله تعالى واعترافه بأن المخلوق مهما كانت منزلته عالية عند الله فانه لا يخرج عن كونه عبد الله ، ولهذا السبب صار من يتجه بأي نوع من أنواع العبادة للملائكة أو الانبياء أو الاولياء أو الصالحين مشركا مع الله في عبادته .

الثاني : انه رسول من عند الله للبشرية كافة وكل الانبياء من أولهم نوح عليه السلام الى آخرهم محمد عليه السلام ، كان أول شيء يدعون الناس اليه عبادة الله وحده ، وترك عبادة المخلوقين ، وما كان لنبي أن يرضى بصرف ما هو حق من حقوق الله لأي مخلوق في الأرض ولا في السماء .

وتعظيم الرسول عليه السلام وحبه ، لا يكون الاّ بالاهتداء بهديه والسير على طريقته ، كما جاء في قول الله تعالى : (**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**) .

أما الغلو فيه بصرف أي نوع من أنواع العبادة له فأمر يخالف شرع الله ودينه .

الحديث الرابع في هذا الباب هو ما جاء فيه نهي الرسول عليه السلام عن الغلو ، واخباره بأنه كان سببا في اهلاك أمم سابقة ، وهذا دليل على العواقب السيئة التي تنتج عن الغلو في جميع الاعمال قلبية كانت أو جسمية .

وآخر حديث هو حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه اخبار الرسول عليه السلام بخطورة التنطع لأنه نوع من الغلو ، قال : ابو السعادات : المتنطعون هم المتعمقون الغالون في الكلام ، المتكلمون من أقصى حلوقهم ، مأخوذ من النطع ، وهو الغار الاعلى من الفم ، ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا ، ومن أمثلة التنطع الامتناع عن الزواج ابتعادا عن الاستمتاع بملاذ الحياة ، ولبس الخشن من الثياب بدلا من لبس الثياب الأنيقة الناعمة ، والتضييق على الناس في أشياء مختلف عليها بين علماء الشريعة ، والحكم على الاشياء تحليلا أو تحريما دونما دليل واضح من شريعة الله ، ولخطورة تكلف الامور بترك ما أباحه الله لعباده ، قال عليه السلام : « هلك المتنطعون ، قالها ثلاثا » ، أي قال هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ـ هلك المتنطعون ، وتكريره عليه السلام ، الكلام ثلاث مرات دليل على أهميته ، وعلى ما يترتب على التنطع من نتائج سيئة لا على الانسان المتنطع فحسب ، وانما ايضا

على الاسلام نفسه الذي يظهر بسبب هذا الغلو بمظهر المتناقض أحيانا ، والحائل بين الناس وبين التمتع بالمباح من مباهج الحياة مرة أخرى ، وهو بريء من هذا وذاك بدليل قوله تعالى : (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**) وقوله تعالى (**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**) .

والخلاصة : أن الغلو في الدين أمر مذموم ، حذر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، بقوله : إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الاّ غلبه فسددوا وقاربوا ، وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ـ كما روى ذلك البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

باب

« ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده » .

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح ـ أو العبد الصالح ـ بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل .

ولهما عنها قالت : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبورأنبيائهم مساجد » يحذر ما

صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا . أخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول « اني ابرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد ـ فاني أنهاكم عن ذلك » فقد نهى عنه في آخر حياتهَ ثم انه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله . والصلاة عندها من ذلك ، وان لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجدا ـ فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كل موضع يصلَّى فيه يسمى مسجدا ، كما قال صلى الله عليه وسلم . جعلت لي الارض مسجدا وطهورا .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه ابو حاتم في صحيحه .

فيه مسائل :

الاولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهي عن التماثيل وغلظ الامر في ذلك .

الثالثة : العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك كيف بين لهم هذا اولا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان النزع لم يكتف بما تقدم .

الرابعة	:	نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .
الخامسة	:	انه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .
السادسة	:	لعنه إياهم على ذلك .
السابعة	:	ان مراده صلى الله عليه وسلم تحذيره إيانا عن قبره .
الثامنة	:	العلة في عدم ابراز قبره .
التاسعة	:	في معنى اتخاذه مسجدا .
العاشرة	:	انه قرن بين من اتخذها مسجدا ، وبين من تقوم عليه الساعة ، فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .
الحادية عشرة	:	ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع . بل اخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة . وهم الرافضة ، والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد .
الثانية عشرة	:	ما بلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع .
الثالثة عشرة	:	ما أكرم به من الخلة .
الرابعة عشرة	:	التصريح بأنها أعلى المحبة .
الخامسة عشرة	:	التصريح بأن الصديق ، أفضل الصحابة .
السادسة عشرة	:	الاشارة الى خلافته .

الهدف :

قصد الشيخ المجدد رحمة الله عليه ، من هذا الباب الابتعاد عن كل

وسيلة قد تؤدي الى أي نوع من أنواع الشرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أربعة أحاديث .

أولها حديث أم سلمة[1] رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم بأنها لما هاجرت مع زوجها أبي سلمه الى الحبشة بعد اضطهاد مرير من المشركين ، رأت هناك كنيسة[2] فيها تصاوير ، فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام : مخبرا لها عن دافع أولئك الناس ، بأنهم اذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح : بنوا على قبره مسجدا ـ يعني مكانا للعبادة ، وصوروا فيه تلك الصور التي رأتها أم سلمة ثم وضح عليه السلام أن عملا كهذا ضلال وبعد عن الله اذ قال عليه السلام : أولئك شرار الخلق عند الله ، أي أولئك الذين يعملون هذا العمل هم شرار الخلق عند الله ، لما سنوه من سنة سيئة أدت بمن جاء من بعدهم الى عبادة غير الله ، وفي هذا دليل على تحريم بناء المساجد على القبور .

قوله : « فهؤلاء جمعوا بين فتنتين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل » هذا الكلام لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، وقد أورده الشيخ محمد رحمه الله للتنبيه على ما وقع فيه الجهال من الافتتان بالقبور والتماثيل .

الثاني : حديث عائشة وفيه تخبر رضي الله عنها بأن الرسول صلى الله

---

(١) أم سلمة : اسمها هند بت آبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية . تزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أبي سلمة سنة أربع من الهجرة .

(٢) الكنيسه : مكان العبادة لدى النصارى .

عليه وسلم عندما ظهرت عليه علامات الوفاة وحان التحاقه بالرفيق الاعلى ، جعل يضع كساءا له على وجهه ، فاذا غطى به وجهه أزاله عنه فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا » أي أبعد الله اليهود والنصارى وطردهم من رحمته ، بسبب جعلهم قبور أنبيائهم مساجد ، ومعنى هذا أن كل من فعل مثل فعل اليهود والنصارى فقد استحق الابعاد من رحمة الله ، وكلمة « يحذر ما صنعوا » ليست من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يظهر ، وانما هي من كلام عائشة رضي الله عنها ، ومعنى يحذر ما صنعوا ، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام يحذر أمته أن تفعل كما فعل اليهود والنصارى من اتخاذ القبور مساجد فيكون ذلك سببا في عبادة القبور ، قوله : (ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا) يعني لولا الخوف من اتخاذ قبره مسجدا لجعل بارزا في البقيع ، مع قبور الصحابة رضي الله عنهم ، لكنه أمر أن يدفن في المكان الذي توفي فيه ، وقيل أن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين خشوا فيما لو أبرز قبره أن يغلو فيه الناس فبقي في مكانه الذي توفي فيه .

الثالث : حديث جندب بن عبد الله وفيه يقول : انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل » أي اني أعلن في عزم وتصميم بأني أمتنع عما لا يجوز لي فعله من اتخاذ أحد تتجاوز مودته في قلبي مكانة الحب الى مقام الخلة ــ التي هي نهاية الحب .

لأن الحب الذي يملك على الانسان مشاعره وأحاسيسه ، ويطغى على عقله وفكره ، ينبغي ألا يكون الا لله . صاحب الفضل والاحسان ،

وقوله « فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا » بمعنى أن الله جلت قدرته منحه المكانة الرفيعة من حبه ـ كما منحها لابراهيم عليه السلام ـ لذا ولأن قلبه عليه الصلاة والسلام قد امتلأ بحب الله وتعظيمه ، لم يتخذ له خليلا من البشر وقال : « لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا » أي لو كان في نيتي أن أجعل لي خليلا من البشر لكان أبا بكر ، وفي هذا دلالة على ما يحتله أبو بكر من مكانة رفيعة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أن فيه اشارة الى أولويته بالخلافة ، واستخلافه عليه الصلاة والسلام له في الصلاة بالناس في مرض موته يؤيد أنه أحق بالخلافة من غيره . ولذا انتخبه الصحابة للخلافة ، فكان أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله : (الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني انهاكم عن ذلك) .

في هذا المقطع من الحديث خبر ، ونهي .

الخبر : انه عليه السلام أخبر أن اليهود والنصارى كانوا يصلون لله في مدافن أنبيائهم ، ويتوجهون بالصلاة الى قبورهم .

والنهي : أنه بعد أن أمر الا يتخذ المسلمون القبور مساجد قال : « فاني أنهاكم عن ذلك » أي أنهاكم أن تفعلوا كما فعل من كان قبلكم ممن جعل القبور مساجد . قوله : فقد نهى عنه في آخر حياته الى آخر الحديث كلمة من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، ولا شك أن نهيه عليه السلام عن الصلاة عند القبور ، وان كانت الصلاة لله ، ولعنه من فعل ذلك ، كان المقصود منه ابعاد المسلم عن كل وسيلة يمكن أن تؤدي الى أي نوع من أنواع الشرك مع الله في عبادته .

الرابع : حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي جاء فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد**) .

ويتضمن هذا الحديث أمرين : ـ

الاول : أن تغييرات فكرية وخلقية ستحصل في المجتمع البشري ، ينحرف معها الانسان عن طريق الله الذي أنزل به كتبه ، وأرسل به رسله . ولقد وقع هذا كما أخبر عليه السلام ، فالمجتمع العالمي الآن يتجه الى منحدر رهيب من التفسخ والانحلال ، وانكار أن يكون لهذا الكون خالقٌ أوجده من العدم .

ومعنى هذا أن وقتا سيأتي تتنكر فيه أغلب المجتمعات البشرية لكل القيم والاخلاق ، ويصبح فيه الناس بلا دين ولا أخلاق ، ومجتمع هذا شأنه ، مجتمع أشرار ولا شك ـ يشير الى هذا المقطع الاول من الحديث « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء » .

ومعنى هذا أن الذين تقوم عليهم الساعة وهم أحياء انما هم من شرار الناس وما ذلك الاّ لما يعيشه الناس أو أغلبهم في ذلك الزمن من حياة تحكمها الشهوات والاهواء ، وتتغلب عليها نوازع الشر وعوامل الفساد .

الثاني : من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد وما ذلك الاّ لأن الصلاة عند القبور ، وبناء المساجد عليها ، وسيلة من وسائل الوقوع في الشرك الذي هو أشد الذنوب جرما ، وأسوأها مصيرا ، وأقبحها نهاية ، لهذا ذكر الرسول عليه السلام ـ أن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد . ولا ريب أن من تنكر لفضل الله عليه ، وأشرك معه احدا في عبادته ، فهو من شرار خلق الله عملا ومصيرا .

باب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله .

روى مالك في الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد (**أفرأيتم اللات والعزى**) قال : كان يلّت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره . وكذا قال ابو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . رواه أهل السنن .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير الاوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : انه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ الا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الانبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

السادسة : وهي من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .

الثامنة : انه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعنه زوارات القبور .

العاشرة : لعنه من أسرجها .

الهدف :

قصد المؤلف رحمه الله من هذا الباب التحذير من تعظيم قبور الصالحين وان مجاوزة الحد في تعظيمها يؤدي في النهاية الى عبادتها من دون الله .

الشرح :

أورد الشيخ رحمه الله تحت هذا الباب حديثين وروايتين للاستدلال بهما على التحذير من الغلو[1] في تعظيم القبور الى درجة تتنافى مع التوحيد الخالص لله رب العالمين ـ فأورد حديث مالك[2] الذي جاء فيهٔ دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام بأن لا يجعل قبره وثنا يعبد ، وفي دعاء الرسول هذا تحذير للبشرية من الاتجاه الى الوثنية على أي شكل من أشكالها القديم أو الحديث .

وقد استجاب الله دعاء رسوله ، فصان قبره من العبادة وحماه من الوثنية ، وبعد أن وجه الرسول دعاءه المستجاب ، أخبر أن غضب الله

---

(١) الغلو : مجاوزة الحدود التي حددها الله .

(٢) مالك : هو مالك بن انس أمام دار الهجرة واحد الائمة الاربعة .

كان شديدا على الذين يجعلون قبور أنبيائهم مساجد ، وفي هذا اشارة الىتحريم البناء على القبور ، وتحريم الصلاة عندها وتحذير من التورط فيما وقع فيه اليهود والنصارى من عبادة أنبيائهم بسبب الغلو فيهم .

وفي رواية ابن جرير[1] عن مجاهد في قول الله (**أفرأيتم اللات والعزى**) تقريع وتوبيخ لسخفاء العقول من الناس الذين يحملهم الغلو على عبادة البشر كما فعل أولئك الذين عبدوا اللات ، ذلك الرجل الصالح الذي كان يلت السويق[2] للناس (وفي رواية أبي الجوزاء كان يلت السويق للحاج) فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه ووضعوا له صورة ، وعبدوها . أو على عبادة الجماد كما فعلت قريش من عبادة العزى ، تلك الشجرة التي كانت بين مكة والطائف ، الى أن قطعها خالد بن الوليد رضي الله عنه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والمناسبة التي أورد الشيخ هذه الرواية من أجلها هي أن الغلو في ذلك الرجل لصلاحه حمل الناس في عهده على أن يجعلوا قبره وثنا من أوثان الجاهلية يقصده الناس للعبادة التي هي من خصائص الله وحده .

وحديث ابن عباس قصد المؤلف منه ايضاح تحريم زيارة القبور للنساء لأمرين : ـ

---

(١) ابن جرير : هو الامام الحافظ محمد ابن جرير بن يزيد الطبري ، يقول بن خزيمة لا أعلم على وجه الارض أعلم من محمد بن جرير .

(٢) السويق : دقيق الحنطة أو الشعير ، لته (بله بالماء أو السمن) .

الاول : أن المرأة رقيقة العاطفة ، سريعة الجزع ، قليلة الصبر ، وهذه الطباع ربما تدفعها الى ازعاج الناس بالعويل والبكاء داخل القبور .

الثاني : أنه لو فتح الباب أمام النساء لزيارة القبور فان ذلك سوف يؤدي الى أمور محرمة وسوف يتخذ كثير ممن لا تؤثر زيارة القبور في نفوسهم شيئا هذه الامكنة ملتقى للوصول الى أغراض لا يرضى عنها الله جل جلاله .

وما تحريم البناء على القبور واضاءتها الاّ من أجل الحيلولة دون تعظيمها الذي يوقع في عبادة المخلوقين .

الخلاصة :

حرص الاسلام كل الحرص على تحرير نفس المسلم من العبودية الاّ لله وحده ولهذا سأل الرسول عليه السلام ربه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد .

باب

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) الاية (**التوبة ـ ١٢٨**) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم ، رواه ابو داود باسناد حسن رواته

ثقات .

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : الا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي فان تسليمكم يبلغني أين كنتم) رواه في المختار .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية براءة .

الثانية : ابعاد أمته عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة القبور على وجه مخصوص .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافله في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة .

الثامنة : تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد فلا حاجة الى ما يتوهمه من اراد القرب .

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه .

الهدف :

قصد المولف رحمه الله من هذا الباب بيان أن كل الاسباب والوسائل التي قد تقرب من الشرك ينبغي البعد عنها .

الشرح :

ذكر المؤلف رحمة الله عليه في أول هذا الباب الآية القرآنية ليدلل بها على ان الله سبحانه أرسل الى العرب رسولا من جنسهم ، يؤلمه أشد الألم أن ينالهم مكروه في الدنيا أو يحل بهم عقاب في الآخرة ومن هنا جاء حرصه على هدايتهم وصلاح شأنهم ورأفته ورحمته بهم. ومن رأفته ورحمته بهم ، أن يوجههم الى ما يقيهم من الوقوع فيما وقع فيه المشركون من انحراف عن توحيد الله .

وجاء حديث أبي هريرة بعد الآية الكريمة وبه ثلاثة أمور من الرسول صلى الله عليه وسلم .

الأول : قوله : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا) بمعنى لا تعطلوا بيوتكم من القراءة والصلاة فيها ، فتكون كأنها قبور وفي هذا اشارة الى النهي عن العبادة عند القبور .

الثاني : قوله : (ولا تجعلوا قبري عيدا)[1] بمعنى لا تحددوا مكانا أو زمانا معينا للسلام عليّ .

الثالث : قوله : (وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) بمعنى ان صلاتكم عليّ تصلني في أي مكان كنتم ، كما ورد بذلك الحديث الوارد في السلام (ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) اذا فلا حاجة الى تخصيص مكان أو زمان من أجل السلام عليّ .

يؤكد هذا ما جاء في نهي علي بن الحسين رضي الله عنه لذلك الرجل الذي كان يجيئ الى فرجة[2] كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل

---

(١) العيد : اسم للشيئ يتكرر مجيئه سواء كان هذا التكرر اسبوعيا أو شهريا أو سنويا .

(٢) الفرجة : هي المدخل الصغير .

فيها فيدعو ، وأورد دليلاً على ذلك حديثا سمعه من أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نفس الحديث الذي رواه أبو هريرة في أول هذا الباب وهذا فيه دلالة صريحة على أن المجيء الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لتحري اجابة الدعاء عنده ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الامة وغير رسول الله من البشر أحق بعدم تحري اجابة الدعاء عند قبره ، وكل ذلك من أجل البعد بالعقيدة الخالصة لله عن أن تتلوث من قريب أو بعيد بأي تعظيم لأي شيء تكون نتيجته اشراك مع الله في عبادته .

باب

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى : (**ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت**[1] **والطاغوت**[2] **ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا**) (**النساء ـ ٥١**) وقول الله تعالى : (**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت**) الاية (**المائدة ـ ٦٠**) .

وقول الله تعالى : (**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا**) (**الكهف ـ ٢١**) .

عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذه بالقذه[3] حتى لو دخلوا جحر

(١) الجبت : المراد به هنا الخرافات .

(٢) الطاغوت : ما تكون عبادته والايمان به سببا للخروج عن الحق .

(٣) القذه : بمعنى انكم ستعملون ما يعملونه سواء بسواء .

ضب لدخلتموه قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن. أخرجاه .

. ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتي يبلغ ملكها ما زوى لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ، ورواه البرقاني في صحيحه وزاد (وانما أخاف على أمتي الائمة المضلين) واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئات من أمتي الاوثان وانه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي « ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : وهي أهمها ما معنى الايمان بالجبت والطاغوت هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها .

الخامسة : قولهم ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين .

السادسة : وهي المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الامة كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الامة في جموع كثيرة .

الثامنة : العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وان الرسول حق ، وان القرآن حق ، وفيه أن محمدا خاتم النبيين ومع هذا يصدّق في هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئات كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية ، كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط الى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيهن من الآيات العظيمة. منها أخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال واخباره بأنه منع الثالثة ، واخباره بوقوع النسيف وأنه لا يرفع اذا وقع ، واخباره بظهور المتنبئين في هذه الامة ، واخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحد منها أبعد ما يكون في العقول .

الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الائمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان

الهدف :

في هذا الباب التأكيد على أن ما اخبر به محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام من أمور غيبية سوف تقع ، وأهمها ارتداد بعض هذه الأمة عن الاسلام ، وقد وقعت كلها كما أخبر وسيأتي تفصيل ذلك

الشرح :

أورد المؤلف رحمه الله تحت هذا الباب ثلاث آيات من كتاب الله العزيز وحديثين عن رسول الله عليه السلام .

فالآية الاولى من سورة النساء تشير الى حرمان اليهود الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، من هدايته بتعظيمهم غير الله بالعبادة ومساعدتهم للمشركين على المؤمنين بالله ورسوله ، وانكارهم لدعوة رسول الله وعدم ايمانهم به مع علمهم بأنه رسول الله الذي اخبرت عنه كتبهم التوراة والانجيل ، ووجه الاستدلال بهذه الآية أنه مطلوب من اليهود كغيرهم من البشر الايمان بالدين الاسلامي الحنيف الذي جاء به محمد عليه السلام ولكنهم لم يؤمنوا بل عاندوا وبقوا على ما هم عليه من كفر وعناد .

والآية الثانية من سورة المائدة وبعد أن نهى الله في الآية قبلها عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء من دونه وأنه لا يواليهم الا مرضى القلوب من المنافقين اعاد النهي في هذه الآية عن موالاة الكفار عامة الذين اتخذوا دين الله هزوا ولعبا وأخبر عما هو شر منهم فقال : من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، والمقصود من الاستدلال بهذه الآية قوله تعالى : وعبد الطاغوت .

والآية الثالثة من سورة الكهف وبعد أن ذكر الله قصة الفئة المؤمنة من الشباب الذين أووا الى الكهف فرارا بدينهم من عبادة غير الله والذين بقوا فيه نياما ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، أخبر أن الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على احياء الموتى بعد أن عثروا عليهم اتفقوا على أن يبنوا عليهم مسجدا يصلي فيه الناس واتخاذ المساجد على أضرحة الاولياء والصالحين والتمسح بأعتابها ، وثنية مقنعة وعودة الى عبادة الأوثان وذلك اشراك بالله في ربوبيته وعبادته .

ثم بعد هذه الآيات الثلاث وما جاء فيها يأتي حديث أبي سعيد رضي الله عنه ليقرر حقيقة نعيشها الآن تلك هي تقليد المسلمين لليهود والنصارى في أفعالهم وأعمالهم وتصرفاتهم وهذه علامة من العلامات التي تؤكد لكل البشر أن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول من عند الله وقد وقع ما أخبر به من لا ينطق عن الهوى ، فقد اتبع كثير من المسلمين اليهود والنصارى في الالحاد والانحرافات الخلقية فكثير من المسلمين يستبيحون لأنفسهم كل الآثام والذنوب تقليدا لليهود والنصارى حتى في العبادة قلدوهم فيها ـ فالنصارى المتدينون لا يذهبون الى الكنيسة الا في يوم الاحد ، وكذلك كثير من المسلمين لا يأتون للصلاة في المسجد الا يوم الجمعة ، وربما أن بعضهم لا يصلي الصلاة الا يوم الجمعة ، ولم يكن نصيب المرأة المسلمة في هذا التقليد الضار بأقل من نصيب الرجل بل هي تزيد عليه بتقليدها للمرأة اليهودية والنصرانية في عرض جسدها عاريا من لباس الحياء والحشمة ، وفي اختلاطها في وقاحة واستهتار بالرجال في المنتزهات ، والنوادي العامة وفي عدم احترامها لعفتها وشرفها وكرامتها ، وأعظم من هذا وذاك أن النصارى يصنعون لبعض زعمائهم تماثيل على صورهم تكون أحيانا من الحجر وتكون من النحاس وغيره

وتوضع هذه التماثيل في الميادين العامة ، كما توضع في بيوت خاصة ، وكذلك اتباعا للنصارى قام بعض المسلمين في بعض البلاد الاسلامية بصنع تماثيل لبعض زعماء المسلمين ووضعت هذه التماثيل في الميادين العامة وفي أمكنة خاصة ، كما قاموا بتشييد قباب على قبور من يقال أنهم من أولياء الله الصالحين .

ثم في نهاية الباب يورد الشيخ رحمه الله حديث ثوبان الذي أخبر فيه الرسول عليه السلام بأن الله بقدرته طوى له الأرض حتى جعل ينظر الى ما سوف تملكه امته منها في أقاصي المشرق والمغرب وأن أشياء عشرة وردت في الحديث سوف تحدث في السنين القادمة من الزمان وقد حدثت كما أخبر وهذه الاشياء العشرة : ـ

أولها : أن ملك امته امتد غربا الى أقصى طنجة من بلاد المغرب وشرقا الى ما وراء خراسان وكثيرا من بلاد الصين .

الثاني : استولى المسلمون على ملك قيصر ملك الروم وكنوزه وهو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأحمر اي الذهب لأنه النقد الغالب في بلاد الروم وكذا ملك كسرى ملك الفرس وكنوزه وهو ما عبر عنه عليه السلام بالابيض اي الفضة لأنه النقد الغالب في بلاد الفرس وذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الثالث : ان الله سبحانه استجاب لطلب نبيه لم يسلط على أمته هلاكا عاما بسبب تتابع السنين المجدبة .

الرابع : ان الله لم يسلط على كافة المسلمين عدوا خارجيا يستولي على جميع البلاد الاسلامية الى ان يحدث الاختلاف فيما بينهم وكان ذلك ما حدث فيوم ان كان المسلمون مشدودين برباط عقيدة الإسلام الخالصة الصافية كانوا في قمة المجد ومركز القوة ولم يستطع أي عدو

خارجي مهما كانت قوته أن يستولي على بلاد المسلمين وحرماتهم الى ان انتشرت الخلافات فيما بينهم وأخذ بعضهم يأكل بعضا كما تأكل النار حصيلتها من الحطب وهنا وجد العدو الخارجي طريقا للتسلط عليهم والاستيلاء على بلادهم .

الخامس : وقع ما تخوف منه الرسول عليه السلام من وجود قادة وزعماء وعلماء وعباد كان لهم النصيب الأوفى في الانحراف بالامة عن طريق الله المستقيم الى الطرق المنحرفة التي أدت بكثير من المسلمين الى التنكر لعقيدتهم واسلامهم فكثير من قادة وزعماء المسلمين انحرفوا بسياسة بلادهم الى اتجاهات تخالف اتجاه الاسلام تمام المخالفة ، وعدد من علماء المسلمين تساهل في التوسل بالاموات وبناء القباب على القبور مما أوقع في الشرك بالله ومجموعات من العباد عرضوا الاسلام عن طريق حياتهم الخاملة الكسولة في صورة ممقوتة مشوهة ، وضللوا عن طريق خرافاتهم كثيرا من جهال المسلمين وعرضوا الاسلام نفسه لانتقادات كثيرة من أعدائه والكائدين له .

السادس : بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يرفع السيف الى وقتنا هذا والادلة حية نعيشها ونراها رأي العين فكل المجازر البشرية التي حصلت في المدى البعيد والقريب في البلاد الاسلامية وبين المسلمين أهل البلد الواحد لا من أجل الغيرة على دين الله وانما محاولة للحصول على مراكز الحكم انما هو تأكيد لما أخبر به الرسول عليه السلام .

السابع : ارتد عامة العرب عن الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدت جماعات كثيرة الأوثان وما تزال جماعات كثيرة الى عصرنا هذا ترتد عن الاسلام الى الالحاد وانكار الله كما توجد

حتى الآن جماعات تعكف حول قبور من يقال عنهم أنهم عباد صالحون يستغيثون بهم بينما هم في عجز تام عن تحقيقه .

الثامن : وتصديقا لاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ادعى النبوة في عهده عليه السلام الاسود العنسي ومسيلمة الكذاب وفي عهد أبي بكر ادعى النبوة طليحة بن خويلد وسجاح بنت المنذر ، وفي أول خلافة ابن الزبير ادعى النبوة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وفي عهد عبد الملك بن مروان خرج الحارث الكذاب مدعيا النبوة وفي خلافة بني العباس خرج عدد من الكذابين يدعون النبوة ، وما يزال اناس من وقت لآخر يدعون النبوة ففي عام ١٢٥٩ هـ ادعى محمد علي الشيرازي البابي النبوة ، ومن قلب البابية نبتت حركة البهائية التي يتزعمها الميرزا حسين علي المازندراني ، وفي عام ١٣٢٧ هـ ادعى النبوة زعيم القاديانية الميرزا غلام أحمد والذي عرف مذهبه بالمذهب القادياني ، ويوجد الآن في أمريكا شخص يدعى اليجا محمد يدعي لنفسه النبوة ويقول : انه نبي السود ، وكل هذه المذاهب وجدت من أجل تشويه الإسلام ، وافساد عقائد المسلمين . وتحديد الرسول الكذابين بثلاثين ليس المقصود به حصر الكذابين في نطاق هذا العدد وانما كان يقصد الذين يشتهر أمرهم على نطاق واسع ويكون لهم أتباع كثيرون .

التاسع : كان قول الله سبحانه وتعالى : (**ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) واضحا في ان محمداً خاتم النبيين كما أخبر بذلك في الحديث ولأجل هذا فان كل مدع للنبوة بعد محمد كذاب تجب محاربته .

العاشر : بالرغم من المحاربة المستمرة للاسلام منذ بزوغ شمسه الى يومنا هذا والدسائس والمكائد التي تحاك ضد كل الدعاة اليه والمدافعين عنه فانه ما تزال هناك جماعات تقف في صمود وايمان داعية للاسلام ومدافعة عنه رغم ما تعانيه هذه الجماعات من قتل وتشريد واضطهاد ولكن الله دائما يقف مع أهل الحق ينصرهم ويشد من أزرهم ولن يتخلى عنهم ابدا حتى يأذن بفناء هذه الارض لأن الله جل جلاله لا يخلف وعده وقد وعد بأنه لا يتخلى عن عباده المؤمنين .

باب

ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : (**ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق**) (**البقرة ـ ١٠٢**) وقوله : (**يؤمنون بالجبت والطاغوت**) (**النساء ـ ٥١**) قال عمر : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الاّ بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

وعن جندب مرفوعا « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذي وقال الصحيح انه موقوف .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبده قال : كتب عمر بن

الخطاب رضي الله عنه ان اقتلوا كل ساحر وساحرة قال : فقتلنا ثلاثة سواحر ، وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت وكذلك صح عن جندب قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .

الرابعة : ان الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الانس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .

السادسة : ان الساحر يكفر .

السابعة : انه يقتل ولا يستتاب .

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده .

الهدف :

قصد المؤلف رحمه الله من هذا الباب بيان أن من تعلم السحر وعمل به كفر .

الشرح :

ذكر الشيخ المصلح رحمه الله تحت هذا الباب لبيان تحريم تعاطي السحر[1] وحكم فاعله آيتين وحديثا مرفوعا ، وحديثا موقوفا

---

(١) السحر : لغة ما لطف مأخذه وخفي سببه .

وثلاثة آثار ففي الآية الاولى نص صريح على أن السحر كان يعلم ويلقن وهو اما حيلة وشعوذة كما يفعل ذلك من يسمون أنفسهم بقراء الكف ، ومن يزعمون أن الجن مسخرون لهم ، كما حصل لسحرة فرعون الذين أستعانوا بالزئبق على اظهار الحبال والعصي بصورة الحيّات والثعابين حتى خيل الى الناس أنها تسعى .

وإما حقيقه كما ورد ذلك في قول الله سبحانه وتعالى : (ومن شر النفاثات في العقد) لأنه لو لم يكن حقيقة لم يأمر الله نبيه بالاستعاذة من شر السواحر اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيها ، وقوله تعالى : (**فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**) ومهما يكن من أمر فان السحر سبب من الاسباب فاذا أصيب أحد بضرر منه فانما ذلك بارادة الله ، ولقد أورد الشيخ رحمه الله هذه الآية مستدلا بها على أن فريقا من أهل الكتاب كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزل عليه (القرآن) ونبذوا بهذا التكذيب التوراة التي تثبت ان محمدا رسول من عند الله وأتبع فريق من أحبار اليهود وعلمائهم الذين نبذوا التوراة تجاهلا منهم بما هم عالمون به واتبعوا السحر الذي تلته الشياطين في عهد سليمان بن داود وعملوا به ولأجل هذا أخبر الله أن هؤلاء الذين اختاروا علم السحر وعملوا به وأنكروا ما أثبتته التوراة من نبوة محمد عليه السلام أنهم لا نصيب لهم في الآخرة .

أما الآية الثانية (**يؤمنون بالجبت والطاغوت**) فقد سبق الكلام عليها في الباب السابق .

الاّ ان عمر رضي الله عنه في هذا الباب فسر الجبت بالسحر والطاغوت بالشيطان ويقول جابر بن عبد الله : الطواغيت كهان كان

ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد يعني كان لكل قبيلة من القبائل كاهن يفصل في مشكلاتهم ، وينزل عليه الشيطان بخبر السماء الى ان حرست السماء بالشهب ، بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجاء حديث أبي هريرة بعد هاتين الآيتين ليأمر بالابتعاد عن سبعة أشياء خطيرة لما تسببه من عقوبات في الدنيا والآخرة ، والمناسبة التي ذكر الحديث من أجلها في هذا الباب هي كلمة السحر لبيان أن السحر من السبع المهلكات وقد جاء ترتيب هذه السبع الموبقات على النحو التالي : ـ

1) الشرك بالله ، وبدأ به لأنـه ليس هناك ذنب أعظم من الشرك بالله فالله لا يغفر لمن مات مشركا ، ولا يدخله الجنة ومأواه النار خالدا فيها .
2) السحر وقد جاء في المرتبة الثانية لخطورته على إفساد العقائد ، وضرره الذي يتعدى الى الآخرين .
3) قتل المسلم بغير حق ومثله قتل المعاهد بدون جريمة ولجسامة الجريمة في قتل المسلم بغير حق قررته الشريعة ، جاء قول الله تعالى موضحا الجزاء : (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه**) . كما جاء في تحريم قتل المعاهد بغير جريمة ينتفي بها عهده قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة) .
4) أكل الربا ـ ولشدة تحريمه لأنه أكل لاموال الناس بالباطل قال عنه الرسول عليه السلام : الربا نيف وسبعون حوبا أيسرها مثل ان ينكح الرجل امه .

٥) التعدي على مال اليتيم بعدم المحافظة عليه والافساد فيه بأي طريق كان ولقد توعد الله الذين يفسدون أموال اليتامى بالأكل وغيره ظلما وعدم اهتمام بالامانة في قوله تعالى : (**ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**) .

٦) الانهزام وقت الملاقاة مع الكفار في المعركة وذلك لما يترتب عليه من اضعاف معنويات الاخرين المشتركين في القتال ولأن الهروب من المعركة يسبب انتصارا للكفار على المسلمين ، لذا توعد الله الفارين من المعركة جبنا وهلعا بغضب الله كما جاء في الآية الكريمة (**ومن يولهم يومئذ دبره الاّ متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**) .

٧) آخر الامور السبعة المهلكة اتهام المؤمنات العفيفات بالانحراف وعدم الاستقامة وذلك لما يترتب على هذا من سمعة غير كريمة قد تحرمها من الحياة الزوجية السعيدة ، وتخلع على ذويها ثوباً من العار والفضيحة ، ولحساسية هذا المسلك وفظاعته قال الله سبحانه وتعالى (**ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**) .

بعد حديث أبي هريرة هذا جاء حديث جندب الذي قال عنه الترمذي انه موقوف وخبر بجاله بن عبده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكذا خبر حفصة ومثله خبر جندب وكلها تدل على جواز قتل الساحر ، قال الامام أحمد بن حنبل صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

باب

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت » قال عوف : العيافة ـ زجر الطير والطرق : الخط يخط بالارض والجبت قال الحسن : رنة الشيطان . اسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) رواه ابو داود واسناده صحيح .

وللنسائي في حديث أبي هريرة « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه » .

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا هل انبئكم ما العضه ؟ هي النميمة ، القالة بين الناس » رواه مسلم .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من البيان لسحرا » .

فيه مسائل :

الاولى : ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق والطيرة .

الثالثة : أن علم النجوم من أنواع السحر .

الرابعة : ان العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : ان النميمة من ذلك .

السادسة : أن بعض الفصاحة منه .

الهدف :

المقصود من ذكر هذا الباب ، توضيح بعض أنواع من السحر كان أهل الجاهلية يعتقدون أن لها تأثيرا في سعادتهم أو شقاوتهم في نصرهم أو هزيمتهم ، وبيان أن هذه الاشياء التي يعتقدون أنها تكشف شيئا من علم المستقبل انما هي خرافة لا تستند الى حقيقة علمية وليست من باب خوارق العادات أوكرامة الاولياء .

الشرح :

أورد الشيخ رحمه الله تحت هذا الباب خمسة أحاديث وكل حديث منها يدل على نوع معين من أنواع السحر .

فحديث قطن بن قبيصة ، يدل على أن العيافة ـ وهي التفاؤل والظن بأن أسماء الطيور وأصواتها وممراتها تدل على أشياء قد تكون حسنة أو قبيحة ، وقد تكون علامة على خير أو شر ، وكمثال على ما كان يعتقده العرب قبل الاسلام ، أن الطير اذا مر من فوقهم واتجه ذات اليمين تفاءلوا بأن شيئا فيه فائدة سوف يحصل لهم ، أما اذا اتجه نحو الشمال فان هذا يعني أن شيئا غير محبوب سيقع عليهم وكذلك اذا

كان اسم الطير أو صوته محبوبا أو مكروها لهم تكون نفس النتيجة حسبما كانوا يعتقدون .

كما يدل على أن الطرق . وهو الخط على الأرض ومثله ما يفعله بعض الدجالين من رجال ونساء من الضرب بالودع والحصى وادعائهم ان هذا يكشف الاشياء المجهولة .

وقد أورد الشيخ رحمه الله هذا الحديث للاستدلال على أن العيافة والطرق من السحر ، اما كلمة الطيرة فستأتي في بابها ان شاء الله .

وحديث ابن عباس الذي جاء فيه « من اقتبس شعبة من النجوم فقد أقتبس شعلة من السحر ، سيأتي الكلام عليه في باب التنجيم ان شاء الله .

ورواية النسائي عن أبي هريرة . استدل بها على أن عقد الخيوط أو الشعر أو غير ذلك والنفخ فيها بقصد التأثير نوع من أنواع السحر ومن تعلم السحر القائم على الطلاسم والتقرب الى الشياطين للاستعانة بهم في جلب الأذى للآخرين صار مشركا كما ورد في آخر هذا الحديث ان من تعلق شيئا وكل اليه فمن تعلق قلبه بالله حفظه من كل سوء ووقاه من كل مكروه ، ومن تعلق قلبه بعلم السحر المحرم والاعتماد على شياطين الجن والانس ـ ضاع وهلك .

وحديث ابن مسعود الذي هو الحديث الرابع في هذا الباب فيه أن النميمة تحدث في افساد العلاقات بين الناس أكثر مما يفعله السحر .

وقد ذكر عن ابن كثير رحمه الله ان النمام والكذاب يفسد في الساعة الواحدة بمقدار ما يفسده الساحر في السنة ، وقد اعتبر الشيخ رحمه الله النميمة نوعا من أنواع السحر ، بجامع أن كلا من السحر والنميمة مفسد للعلاقات التي أمر الله أن تبقى دائما في صفاء ونقاء .

وآخر حديث ورد في هذا الباب قول الرسول عليه السلام : « ان من البيان لسحرا » .

وقد سمي البيان سحرا اما لرقة الكلام وروعة الأسلوب وصفاء الفكرة بحيث يستولي المتكلم على عقول السامعين ومشاعرهم وهذا سحر حلال اذا استخدم في أغراض الخير واسعاد الناس ، وسمي هذا العمل سحرا على المجاز لا على الحقيقة لأن الكلام الرقيق والاسلوب الرائع والفكرة الصافية كل هذه الأمور تفعل فعلها في استمالة القلوب كما يفعل السحر في النفس .

وإما لقدرة المتكلم بأسلوب مؤثر على وضع الحق في قالب الباطل أو الباطل في صيغة الحق وهذا حرام لأنه أيضا يشبه السحر من هذا الوجه .

باب
ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » رواه أبو داود .

وللاربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا .

وعن عمران بن حصين مرفوعا « ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له . ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه البزار باسناد جيد . ورواه الطبراني في الاوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى » الى آخره .

قال البغوي : العراف : الذي يدعي معرفة الامور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير ، وقال ابو العباس ابن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرّمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الامور بهذه الطرق ، وقال ابن عباس في قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .

فيه مسائل :

الاولى : انه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن .
الثانية : التصريح بأنه كفر .
الثالثة : ذكر من تكهن له .
الرابعة : ذكر من تطير له .
الخامسة : ذكر من سحر له .
السادسة : ذكر من تعلم « أبا جاد » .
السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب النهي عن تصديق الكهان وغيرهم من أصحاب الدجل والشعوذة وأن تصديقهم مناف للتوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أربعة أحاديث كلها تدل على التحذير من اتيان الكاهن وتصديقه فيما يقول ، وقد وردت هذه الاحاديث الأربعة بألفاظ متقاربة .

ففي الحديث الأول « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما » .

وفي الحديث الثاني دلالة صريحة على أن من ذهب الى كاهن معتقدا أنه يستطيع كشف الغيبيات فانه يكفر ، لكنه كفر لا يخرج المسلم من دائرة الاسلام .

أما الحديث الثالث فيدل على ما دل عليه الحديث السابق له لكنه قال من أتى عرافا أو كاهنا .

واذا نظرنا الى الأحاديث الثلاثة نجد أن الحديث الأول ورد فيه ذكر العراف والحديث الثاني ورد فيه ذكر الكاهن ـ والحديث الثالث ورد فيه ذكر الكاهن والعراف معا ـ وحتى لا يكون هناك لبس في المعنى فان العراف اسم يشمل كل المشعوذين بما فيهم الكهان والمنجمين ، وقارئي الكف ، وضاربي الودع وغيرهم من المرتزقة الذين يدعون الكرامات وكشف الحجاب .

أما الحديث الرابع والاخير في هذا الباب (حديث عمران بن

حصين) فيه دلالة واضحة على براءة الرسول عليه الصلاة والسلام ممن تطير ـ يعني باشر عمل الطيرة بنفسه ، أو تطير له اي قبل ان تعمل الطيرة من أجله ، وتقدم الكلام على الطيرة في باب سابق ، أو تكهن يعني باشر عمل الكهانة بنفسه أو تكهن له أي قبل أن تعمل الكهانة من أجله . أو سحر : يعني باشر عمل السحر بنفسه أو سحر له ، اي قبل أن يعمل السحر من أجله ، وتقدم الكلام على السحر وأنواعه في باب سابق وفي آخر الحديث جاء : ان من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

باب

« ما جاء في النشرة »

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال « هي من عمل الشيطان » رواه احمد بسند جيد ، وابو داود وقال سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله .

وفي البخاري عن قتاده : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به انما يريدون به الاصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . انتهى .

وروي عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر الا ساحر قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر الى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور ، والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان النشرة ما يصح منها وما لا يصح والنشرة هي حل السحر عن المسحور ـ وهي نوعان كما ذكرها ابن القيم رحمه الله نوع محرم وهو حل السحر بسحر مثله وسبب تحريم هذا النوع أن الناشر يتقرب الى الشياطين بأعمال غير مباحة من أجل الحصول على مساعدتهم في ابطال السحر عن المسحور وهذا يتنافى مع التوحيد ونوع حلال وهو حل السحر عن المسحور عن طريق الابتهال الى الله والدعوات المخلصة اليه في أن يزيل عن المسحور ما به من سحر ، وكذلك عن طريق الادوية المباحة .

الشرح :

جاء تحت هذا الباب ثلاثة أسئلة وأثر واحد .

الاول : سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال « هي من عمل الشيطان » والمقصود بالنشرة هنا تلك التي كان أهل الجاهلية يعملونها ، وهي حل السحر بسحر مثله .

الثاني : أجاب عنه الامام أحمد بن حنبل بقوله ان ابن مسعود يكره هذا كله (يعني أنه يكره النشرة) .

الثالث : أما السؤال الثالث فمن قتاده لابن المسيب يسأله فيه عن رجل عمل له سحر حال بينه وبين مباشرة زوجته ، أيصح حل السحر عنه أم لا ؟ فيجيبه ابن المسيب بأن لا بأس بذلك ما دام الامر للاصلاح

ونفع الناس . ولكن قول ابن المسيب هذا يحمل على أنه يقصد حل السحر بالطريق المباح .

وفي نهاية هذا الباب ورد الأثر عن الحسن انه قال لا يحل السحر الا ساحر وهذا معناه انه لا يستطيع حل السحر الا من تعلم السحر ، وقد تقدم لنا ان من تعلم السحر للعمل به كافر .

باب

ما جاء في التطير

وقول الله تعالى : (**الا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون**) الاية (١٣١ ـ **الاعراف**) وقوله : (**قالوا طائركم معكم**) الاية (١٩ ـ **يس**) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ; « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه . زاد مسلم « ولا نوء ، ولا غول » ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل قالوا : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » ولأبي داود بسند صحيح ، عن عقبة بن عامر ، قال ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات الآ أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الآ بك » .

وله من حديث ابن مسعود مرفوعا « الطيرة شرك ، الطيرة شرك وما منا الا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه ابو داود والترمذي

وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولأحمد من حديث ابن عمرو « من ردته الطيرة عن حاجته فقد اشرك » قالوا فما كفارة ذلك ؟ قال أن يقول : اللهم لا خير الا خيرك ، ولا طير الآ طيرك ، ولا اله غيرك » .

وله من حديث الفضل بن العباس « انما الطيرة ما أمضاك أو ردك » .

فيه مسائل :

الاولى : التنبيه على قوله « **الا انما طائرهم عند الله** » مع قوله طائركم معكم » .

الثانية : نفي العدوى .

الثالثة : نفي الطيرة .

الرابعة : نفي الهامة .

الخامسة : نفي الصفر .

السادسة : ان الفأل ليس من ذلك بل مستحب .

السابعة : تفسير الفأل .

الثامنة : ان الواقع في القلب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل .

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب ابطال العقيدة القائمة على أن شيئا ما من مخلوقات الله يستطيع أن يأتي بخير للانسان أو يدفع عنه

شرا دون ارادة من الله ، وان ما يعتقده الناس قديما وحديثا من أن للطير أو الأيام أو الشهور دخلا في السعادة أو الشقاء ـ انما هو خرافة أبطلها الاسلام لمنافاته للتوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وستة أحاديث كلها تدل على النهي عن التطير ففي الآية الاولى يوضح الله موقف آل فرعون الجائر من موسى عليه السلام والذي يتلخص في أنه اذا أصابهم خير وخصب وسعة في الرزق قالوا هذا بسبب خصوبة أرضنا ، ونتيجة لأعمالنا ، واذا أصابهم مرض أو جدب أو غير ذلك من الامور المزعجة لهم قالوا هذا بسبب شؤم موسى وقومه .

(فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) فنفى الله هذا الاعتقاد بقوله **(الا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون)** .

يعني ان كل ما يصيبهم من خير أو شر انما هو بقضاء الله وقدره .

وفي الآية الثانية من سورة يس اخبار عن تكذيب أهل انطاكية (قرية ببلاد الروم) للحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام اليهم ليعبدوا الله وحده ، ويتركوا عبادة الأوثان ، ولكنهم أصروا على بقائهم على الكفر بالله مهددين الرسل بأن دعوتهم الى التوحيد فيها شؤم بسبب استمالة بعضهم الى عبادة الله وتفرق كلمتهم نحو الاتجاه الى التوحيد أو البقاء على الوثنية ، فرد عليهم الرسل بأن سبب شؤمهم انما هو بسبب اشراكهم بالله وكفرهم وضلالهم .

بعد هاتين الآيتين تأتي الاحاديث وفي كل حديث منها استدلال على شيء او أشياء مما هو ممنوع اعتقاده .

فحديث أبي هريرة رضي الله عنه يوضح بطلان ما يعتقده الناس فينفي أن الامراض بطبيعتها تعدي الآخرين دون ارادة من الله وان للطيور في مرورها ذات اليمين أو ذات اليسار ، أو مجيئها من الأمام أو الخلف أي تأثير في حياة الناس من حصول الخير أو الشر كما كان يعتقد ذلك أهل الجاهلية في السوانح وهي الطيور التي تمر من ناحية اليمين ، والبوارح وهي التي تمر من ناحية اليسار ، والناطح والنطيح وهو الذي يأتي من الامام ، والقاعد والقعيد وهو الذي يجيء من الخلف .

كما نفى الوهم القائم في أذهان بعض الجهال من أن وقوع البومة على بيت من البيوت معناه انذار بموت أحد سكان ذلك البيت .

وأخبر بأن شهر صفر كغيره من الشهور وأن ما يعتقده الجهال من أنه أشهر مشئوم اعتقاد خاطئ أبطله الاسلام ، وقوله في رواية مسلم ولا نوء سيأتي الكلام عليه في بابه .

قوله ولا غول : يعني ان الغول لا تؤثر مع ذكر الله والتوكل عليه والغيلان هي أشباح من الجن والشياطين تتلون أمام عيون الناس في الليل في صور مختلفة وتضلهم عن الطريق في الفلاة فيهلكون .

وياتي بعد حديث أبي هريرة هذا حديث انس وفيه زياده ويعجبني الفأل قالوا : وما الفأل ـ قال الكلمة الطيبة وفي هذا دلالة على ان التفاؤل ليس من الطيرة التي نهى عنها . لأنه حسن ظن بالله ، أما التشاؤم فهو سوء ظن بالله وعلامة ايمان الانسان أن يكون حسن الظن بالله في كل لحظة من لحظات حياته .

وفي رواية عقبة بن عامر أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم ان الفأل من الطيرة ولكنه فرق بينهما لما بينهما من الاختلاف فالفأل فيه نفع ، والتشاؤم فيه مضرة ، ولهذا قال الرسول عليه السلام أحسنها الفأل . ثم أخبر أن الطيرة لا ترد مسلما . وأشار الى دعاء يقوله الانسان عندما يرى ما يكره « اللهم لا يأتي بالحسنات الآ أنت ولا يدفع السيئات الآ أنت ولا حول ولا قوة الا بك » .

ويأتي بعد رواية عقبة حديث ابن مسعود وفيه اشارة صريحة الى تحريم الطيرة وانها من الشرك لانها تنافي التوكل على الله وتجعل الانسان يعتقد ان الطيرة فيها نفع أو ضرر والنفع والضرر بيد الله وحده ، فاذا تعلق قلب الانسان بشيء غير الله في النفع أو الضرر كان ذلك شركا ، وليس هناك من شيء يذهب الطيرة غير التوكل على الله ، واعتقاد انه هو صاحب الامر والنهي والارادة .

وبعد رواية عقبة يجيء حديث ابن عمرو بمعنى جديد وهو ان من عزم على فعل شيء فرأى أو سمع شيئا تشاءم منه فعدل عن فعل ذلك الشيء كان ذلك شركا ، لكن اذا وقع التشاؤم في قلب الانسان ثم عدل عنه وسار في تنفيذ ما هو عازم على فعله ، فان كفارة ذلك التشاؤم الذي وقع في القلب ذلك الدعاء اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك وفي نهاية هذا الباب يأتي حديث الفضل ليبين ان الطيرة التي نهى عنها انما هي تلك التي تمنع الانسان من مواصلة السير فيما عزم عليه أو تدفع به الى تنفيذ ما يريده .

باب

ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به . انتهى .

وكره قتادة تعلم منازل القمر . ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما . ورخص في تعلم المنازل احمد واسحاق .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة . مدمن الخمر . وقاطع الرحم . ومصدق بالسحر رواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

فيه مسائل :

الاولى : الحكمة في خلق النجوم .

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .

الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل .

الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف انه باطل .

الهدف :

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب توضيح ان علم النجوم

ينقسم الى نوعين نوع يسمى علم التسيير وهو معرفة حركة النجوم وتنقلاتها وتحديد منازلها سواء عن طريق النظر بالعين المجردة او بواسطة الآلات المقربة ، وهذا العلم مباح لعدم تعارضه مع العقيدة الخالصة لله .

ونوع يسمى علم التأثير وهو الاعتقاد بأن للنجوم والكواكب تأثيرا على ما يحدث على هذه الارض من حرب أو سلم أو حياة أو موت أو نجاح أو فشل أو قدوم غائب أو شفاء مريض وهذا العلم محرم لأنه وهم وفيه تعارض مع ما اختص الله به نفسه من علم الغيب ، وهو الى جانب هذا شرك لأن نسبة الحوادث الى غير الله شرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أثر عن قتادة بين فيه أن هذه النجوم التي نشاهدها في السماء خلقت من أجل أمور ثلاثة : —

أولها : أنها زينة للسماء وفيها بهجة وعبرة .

ثانيها : انها بمثابة قذائف نارية لحماية السماء من الشياطين وهذا ما يعرف في عصرنا بالشهب الكونية .

ثالثها : أنها علامات يستدل بها المسافرون وغيرهم في البر والبحر على جهة سيرهم ومعرفة القبلة لصلاتهم .

فاذا زعم أحد فيها غير هذه الثلاثة فقد أخطأ في زعمه وكلف نفسه شيئا لا يعلمه .

بعد أثر قتادة هذا ورد خلاف حول جواز تعلم منازل القمر فقتادة يكرهه وابن عيينة لم يرخص فيه ، واحمد وابن اسحاق رخصا فيه .

والحقيقة ان تعلم منازل القمر مثل تعلم النجوم ، فاذا كان الهدف

من تعلم منازل القمر يتعلق بأشياء علمية تتعلق بمصالح الناس في حياتهم فهذا مباح ، وان كان الهدف من تعلم المنازل الاعتقاد بأن لمنازل القمر المختلفة أي تأثير على الحوادث التي تقع على الارض مثل السعادة والتعاسة ، والربح والخسارة ، والصحة والمرض مثلا فهذا لا يجوز .

وفي نهاية هذا الباب يأتي حديث أبي موسى ليقرر أن جزاء شديدا ومؤلما ينتظر مدمن الخمر يعني المداوم على شربها وذلكً لما للخمر من مضرة على العقل والجسم والمجتمع،والقاطع للرحم يعني القاطع صلته بأقاربه والمانع خيره عنهم والمصدق بالسحر وقد تقدم الكلام عليه في بابه والشاهد من هذا الحديث قوله : ومصدق بالسحر . لأن تعلم النجوم للاعتقاد بأنه لها تأثيرا على الحوادث الارضية يقوم على الوهم والتخمين والظن الكاذب وهذا نوع من السحر .

باب

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : (**وتجعلون رزقكم انكم تكذبون** (**الواقعة ـ ٨٢**) .

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الانساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة) وقال : (النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال (هل تدرون ماذا قال ربكم) ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب .

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه : قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية (**فلا أقسم بمواقع النجوم**) الى قوله (**تكذبون**) .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الاربع التي من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

الرابعة : ان من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامسة : قوله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، بسبب نزول النعمة .

السادسة : التفطن للايمان في هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله لقد صدق نوء كذا وكذا .

التاسعة : اخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها . لقوله أتدرون ماذا قال ربكم .

العاشرة : وعيد النائحة .

الهدف :

القصد من هذا الباب بيان ان نسبة نزول المطر الى وجود القمر في

منزلة من منازله الثمانية والعشرين ، أو الى طلوع نجم أو غروبه أمر يتنافى مع توحيد الله اذا اعتقد القائل بأن للقمر أو النجوم أي تأثير في نزول المطر .

الشرح :

ذكر الشيخ رحمه الله ورضي عنه تحت هذا الباب آية واحدة وثلاثة أحاديث ففي الآية الكريمة ينكر الله على الذين ينسبون نزول المطر الى الانواء ويعتقدون أن لها دخلا في ذلك ، كما يعتقد ذلك المنكرون لوجود الله الذين ينسبون كل مظاهر هذا الكون الى الطبيعة ، فيقول : (**وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**) يعني وتجعلون شكر رزقكم اذا مطرتم (**انكم تكذبون**) ان الله هو الذي أنزله وتقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . على ان ذلك لا يعني انكار نزول المطر في أوقات معينة من السنة بارادة الله لا بتأثير الظواهر الطبيعة من طلوع نجم او أفوله كما يعتقد ذلك الطبيعيون الذين ينسبون كل شيء الى الطبيعة .

ويأتي بعد هذه الآية حديث أبي مالك الاشعري الذي أخبر فيه الرسول عليه السلام ان أمورا أربعة مما كان يفعله الناس في الجاهلية لا يتركها الناس حتى بعد دخولهم في الاسلام هذه الامور الاربعة هي :

أولا : الفخر بالاحساب يعني تعالي بعض الناس على بعض بمفاخر آبائهم وأجدادهم واعتقادهم بأنهم أفضل من غيرهم من عباد الله رغم قول الرسول صلى الله عليه وسلم «ألا ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » .

ثانيا : الطعن في الانساب ، يعني التقليل من شأن بعض فئات معينة من المجتمع بسبب عدم معرفة انتسابهم الى قبيلة معروفة من قبائل العرب ، رغم ان القرآن جعل مقياس التفاضل فيما بين البشر الاستقامة في طاعة الله (**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم**) .

ثالثا : الاستسقاء بالنجوم ، يعني الاعتقاد بأن لمنازل القمر ومطالع النجوم تأثيرا في نزول المطر كما كان يعتقد ذلك أهل الجاهلية فهذا الاعتقاد شرك لأن المطر لا ينزل الاّ بارادة الله وأمره ، وليس لمنازل القمر أو النجوم دخل في ذلك .

رابعا : النياحه ، يعني رفع الصوت بالبكاء عند نزول المصائب أو عمل أي شيء يدل على الجزع مما قدره الله وقضاه كما يفعله الكثير من الناس اليوم عندما يموت لهم قريب أو صديق .

وهذه الامور الاربعة ما يزال الناس متمسكين بها كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ، والشاهد من هذا الحديث قوله الاستسقاء بالنجوم .

ثم يورد الشيخ رحمه الله بعد حديث أبي مالك حديث زيد بن خالد ليدلل به على أن من اعتقد ان للنجوم تأثيرا في نزول المطر فهو كافر بالله) .

فيقول زيد ان الرسول صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية بعد مطر نزل في تلك الليلة وبعد أن انتهى من صلاته سأل الناس قائلا : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم

قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » والمعنى ان من نسب نزول المطر الى الله صار من المؤمنين بالله لأن الله هو الذي يملك انزال المطر دون غيره .

وان من نسب نزول المطر الى النجوم أو غيرها من المخلوقات فهو كافر بالله لان النجوم وكل المخلوقات لا دخل لها في التصرف فى ملك الله ولا تستطيع أن تؤثر في شيء دون ارادة الله .

باب

قول الله تعالى (**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله**) الآية (**البقرة ـ ١٦٥**) وقوله : (**قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ـ الى قوله ـ أحب اليكم من الله ورسوله**) الآية (**التوبة ٢٤**)

عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » اخرجاه .

ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار) وفي رواية (لا يجد احد حلاوة الايمان حتى) الى آخره .

وعن ابن عباس قال من أحب في الله ، وابغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد

طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه ـ حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا . رواه ابن جرير ، وقال ابن عباس في قوله « وتقطعت بهم الاسباب » قال : المودة .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال .

الرابعة : ان نفي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام .

الخامسة : ان للايمان حلاوة قد يجدها العبد وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الاربع التي لا تنال ولاية الله الا بها ولا يجد أحد طعم الايمان الا بها .

السابعة : فهم الصحابي للواقع : ان عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير (**وتقطعت بهم الاسباب**) .

التاسعة : ان من المشركين من يحب الله حبا شديدا .

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية احب اليه من دينه .

الحادية عشرة : ان من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الاكبر

الهدف :

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب التنبيه على أن من جعل لله

مساويا في المحبة والطاعة والتعظيم فهو مشرك .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديثان وأثران .

في الآية الاولى يخبر الله عن أولئك النوع من البشر الذين يرفعون قادتهم وزعماءهم الى منزلة فوق منزلتهم البشرية فيحبونهم كحب الله ويتقربون اليهم كما يتقربون الى الله فلا يطلبون من الله شيئا الا عن طريقهم وبواسطتهم ، ومعنى هذا أنهم يلتجئون اليهم كما يلتجئون الى الله لهذا خرجوا من دائرة التوحيد الى مستنقع الشرك ، وصاروا عبيدا لمخلوقين مثلهم ، فأورثهم الله حسرة وشقاء في الدار الاخرة بسبب بعدهم عن التوحيد الخالص لله رب العالمين .

وفي الآية الثانية : وبعد ان أعلن براءته ورسوله من المشركين وآذنهم بنبذ عهدهم بعد أن ثبت أنه لا عهد لهم كره بعض ضعفاء الايمان من المسلمين قتال المشركين لسببين : ـ

أولا : وجود رابطة القربى بين المسلمين وبعض المشركين .

ثانيا : طمعهم في ان يدخل اولئك المشركون في الاسلام .

لكن الله بين في هذه الآية والتي قبلها بأن فضل الايمان بالله والجهاد في سبيله لا يكمل الا بايثار حب الله ورسوله وترك ولاية الكافرين .

لهذا قال الله : جلت قدرته ، لرسول الله عليه الصلاة والسلام : قل لهؤلاء الضعفاء الايمان من المسلمين : ان كنتم تفضلون حب الآباء والابناء والاخوة والازواج ، والعشيرة والاموال والتجارة والمساكن على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانتظروا عقابا من الله يحل بكم عاجلا أو آجلا .

يأتي بعد هاتين الآيتين حديث أنس رضي الله عنه ليعلن نقص ايمان المسلم اذا لم يكن حب الرسول عليه الصلاة والسلام في نفسه أعظم وأعمق من حب الوالد والولد ومن الناس اجمعين ، وذلك لما له عليه السلام من فضل على البشر في هدايتهم للخير ، وابعادهم عن مواطن الشر .

ثم يتلو حديث انس هذا حديثه الثاني ليوضح فيه ان لذة الايمان تتحقق للنفس عند أمور ثلاثة : ـ

الاول : ان يكون الله ورسوله احب الى الانسان من كل شيء في هذا الوجود مهما كانت منزلته او مكانته ، وبهذه النظرة الرفيعة يصبح الانسان ذا صلة بالله لان الله دائما في قلبه يأمره بما يجب وينهاه عما لا يحب .

الثاني : الا يكون الغرض من حب المسلم لاخيه الطمع في الحصول على منفعة من منافع الدنيا او مصلحة من مصالح الحياة ، وانما يكون حبه لله وحده لأن هذه المحبة هي التي تبقى خالدة مع الزمن ، ويجد المسلم لها لذة في قلبه لانها قائمة على الحب في الله .

الثالث : أن يكره عودته الى الكفر بعد أن أنعم الله عليه بالاسلام كما يكره القاءه في قلب النار وكما يكره ذلك لنفسه يكره لاخيه المسلم خروجه عن الاسلام الى اليهودية او النصرانية أو غيرهما من الديانات الاخرى التي نسخها الاسلام بقول الله تعالى (**ومن**

يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

أو اعتناق المعتقد الالحادي المعروف بالمذهب الشيوعي القائم على انكار وجود الله الخالق لهذا الكون .

وفي نهاية هذا الباب يورد الشيخ رحمه الله هذين الاثرين وكلاهما عن ابن عباس رضي الله عنه في الاثر الاول يقرر رضي الله عنه ان الانسان لن يجد لذة الايمان وان كثرت عبادته لله حتى يحب اهل الصلاح والايمان والتقوى . محبة خالصة لله حتى وإن لم يكن يعرفهم .

ويكره أهل الكفر والذنوب والمعاصي ولو كانوا من ذوي القربى ، وهذه صفات من صفات اولياء الله المؤمنين كما قال الله جلت قدرته وتنزهت أسماؤه وصفاته (**الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**) ويختتم ابن عباس أثره بقوله : وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدى على أهله شيئا ، فاذا كان هذا قد حدث في عهد ابن عباس ، فكيف لو شاهد عصرنا هذا الذي ثقل فيه ظل الرجل الصالح على الكثير من الناس ، وحل محله في المحبة والتقدير أصحاب الفسق والفجور والعصيان .

والاثر الثاني يوضح تبرؤ الرؤساء الذين أضلوا اتباعهم وتقطع الروابط فيما بينهم وذلك حينما يرون العذاب يوم القيامة بسبب ما اقترفوه من ذنوب وسيئات وتبرؤ التابعين من الذين اتبعوهم وجعلوهم أندادا لله في المحبة والتعظيم ولكن أنى ينفع التابعين والمتبوعين الندم وقد واجهوا الحساب وجها لوجه .

باب

قول الله تعالى (**انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون أن كنتم مؤمنين**) الاية (**النساء ـ ١٧٥**) وقوله : (**انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله**) الاية (**التوبة ـ ١٨**) وقوله : (**ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**) الاية (**العنكبوت ـ ١٠**)

عن ابي سعيد رضي الله عنه مرفوعا « « ان من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وان تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، ان رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره » .

وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » . رواه ابن حبان في صحيحه .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية آل عمران

الثانية	:	تفسير آية براءة
الثالثة	:	تفسير آية العنكبوت .
الرابعة	:	أن اليقين يضعف ويقوى .
الخامسة	:	علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث .
السادسة	:	ان اخلاص الخوف لله من الفرائض .
السابعة	:	ذكر ثواب من فعله .
الثامنة	:	ذكر عقاب من تركه .

الهدف :

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن الخوف من الأصنام والاوثان وكل المعبودات من دون الله يتنافى مع التوحيد الخالص لخالق هذه الكون كله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب ثلاث آيات ، وحديثان .

ففي الآية الاولى ، اخبار ، ونهي وأمر. اخبار بأن عبدة القبور يتملكهم الخوف من اصنامهم وأوثانهم لاعتقادهم أنهم ينفعون ويضرون واذا ما انكر عليهم أهل التوحيد عبادتهم لتلك الاوثان والاصنام خوفوهم بأنهم ان لم يتركوا هذا الانكار عليهم فان هذه الاصنام سوف تسبب لهم الكثير من المصائب .

فنهى الله المؤمنين عن ان يدخل الخوف الى نفوسهم لأن ذلك إنما هو من وحي الشيطان وأمرهم الا يخافوا الا منه لأنه هو المالك لكل شيء وبيده النفع والضر . ويمكن أن نقسم الخوف من جيث درجاته الى ثلاثة أقسام : ـ

الاول : شرك وهو الخوف من غير الله كالخوف من الاصنام والاوثان ، والاعتقاد أنها تنفع أو تضر .

الثاني : حرام وهو ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مجاراة للناس في أمور غير مباحة بسبب الخوف من كلامهم .

الثالث : مباح ، وهو الطبيعي ، كالخوف من الفقر والمرض ومن العدو والحيوانات المفترسة كالاسود والنمور والذئاب وغيرها .

وفي الآية الثانية يخبر الله سبحانه انه لا يقوم بعمارة مساجد الله الا من وحد الله وآمن به ربا وخالقا ، وصدق بيوم القيامة والجنة والنار وحافظ على الصلاة في خشوع وذلة وخضوع واعطى الزكاة برضاء وايمان واقتناع ، ولم يخش الا الله . والمراد بالخشية هنا العبادة والتعظيم ، ومتى ما عظم الانسان بشرا تعظيم عبودية وخشي ان ينفعه أو يضره من دون الله كان ذلك شركا ، لكن اذا خشي الانسان من ظلم ظالم أو تأثير فاسق او غدر غادر فان هذا لا محذور فيه .

أما الآية الثالثة فيخبر الله تعالى فيها أن من الناس من يدعي الايمان بلسانه فاذا حصلت له فتنة في ايمانه أو عقيدته ارتد عن إسلامه خوفا من الناس ولهذا فالناس منقسمون في الدين الى ثلاثة أقسام ، قسم صلب العقيدة ، عميق الايمان بالله وقسم كافر مجاهر بكفره وعناده ، وهذان القسمان يشير اليهما قول الله الكريم : (**فليعلمن** الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

اما القسم الثالث فهو مذبذب يبين الايمان بلسانه ويبطن الكفر في قلبه .

يشير الى هذا القسم قول الله سبحانه وتعالى : (**ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**) .

يأتي بعد هذه الآيات حديث ابي سعيد وفيه أن بعض أشياء يعملها الانسان تدل على ضعف ايمانه ، وقد حصر هذه الاشياء في أمور ثلاثة : ـ

الأول : ارضاء الناس بما يسخط الله من ذلك على سبيل المثال ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجاراة لارضاء رغبات الناس .

الثاني : حمد الناس على رزق من عند الله قدره على يد أحد منهم وهيأ اسبابه وهذا لا يتنافى مع الاعتراف بما يقدمه الناس بعضهم لبعض من معروف واحسان ـ بدليل قول الرسول عليه السلام « من صنع اليكم معروفا فكافئوه . فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

الثالث : ذم الناس على شيء لم يرده الله ، لأن الله سبحانه هو المعطي وهو المانع ، والناس انما هم واسطة يقدر الله الرزق عن طريقهم ومن هنا كان ذم الناس على شيء لم يرده الله دليلاً على ضعف يقين الانسان بالله .

وفي آخر هذا الحديث اخبر الرسول عليه السلام ان رزق الله لا يأتي عن طريق الحرص والمهارة والمغامرة ولا يمتنع عن طريق الحسد والكراهية فما اراده الله كان وما لم يرده لم يكن .

وفي نهاية هذا الباب يرد حديث عـائشة رضي الله عنهـا مبيناً أمرا كثيرا ما يقع فيه الناس بسبب ضعف ايمانهم فيقول ان من يطلب رضاء الله بسخط الناس فان الله يرضى عنه ، ويرضى عنه الناس مثال هذا لو أن حاكما من حكام المسلمين أو زعيما من زعمائهم دفعه ايمانه الى القيام بدعوة خيرة تجمع كلمة المسلمين ، وتعيدهم الى اسلامهم من جديد ، ونال في سبيل ذلك سخط القادة والزعماء ، ومعارضة السخفاء والسفهاء فان الله يرضى عنه ويرضى عنه الناس ..

كما ان من يطلب رضاء الناس بسخط الله فان الله يسخط عليه ، ويسخط عليه الناس ، مثال ذلك لو ان حاكما من حكام المسلمين أو زعيما من زعمائهم اراد ان ينحرف بعقيدة الأمة ، ونظام حياتها الى طريق غير طريق الاسلام ، واستخدم لهذا الغرض احدا من العلماء ليخضع نصوص الشريعة ، ويتحايل على شرحها وتأويلها بما يتلاءم مع اهداف ذلك الحاكم المنحرف واغراضه فان ذلك العالم يكون قد أرضى الناس بسخط الله لذا فان الله يسخط عليه ، ويسخط عليه الناس .

باب

قول الله تعـالى : (**وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**) (**المائدة ـ ٢٣**) وقوله : (**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) الآية (**الانفال ـ ٢**) وقوله : (**يا ايها النبي حسبك الله**) الاية (**الانفال ـ ٦٤**) وقوله (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) الآية (**الطلاق ـ ٣**)

عن ابن عباس قال (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً » رواه البخاري والنسائي .

فيه مسائل :

الاولى : ان التوكل من الفرائض .

الثانية : انه من شروط الايمان .

الثالثة : تفسير آية الانفال .

الرابعة : تفسير الآية في آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة وانها قول ابراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد .

الهدف :

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان ان التوحيد لا يتحقق كماله الاّ بالتوكل على الله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وأثر واحد . في الآية الاولى اشارة صريحة الى أن شرط الايمان الصحيح هو التوكل على الله وحده ومفهوم هذا أن التوكل على المخلوقين فيما لا يقدر عليه الا الله شرك لا يتجاوز الله عنه الا بالتوبة الصادقة .

وفي الآية الثانية ـ يصف الله المؤمنين المخلصين في ايمانهم بأنهم هم الذين اجتمعت فيهم خصال خمس : ـ

الاولى : انهم اذا ذكر الله فزعت قلوبهم لعظمة الله ووعده ووعيده .

الثانية : اذا تليت عليهم آيات الله زادتهم يقينا واطمئنانا .

الثالثة : انهم يتوكلون على الله وحده ولا يفوضون امورهم الى غيره .

الرابعة : انهم يؤدون الصلاة في صورتها الكاملة في مناجاة وخشوع .

الخامسة : انهم ينفقون بعض ما اعطاهم الله من مال في الزكاة وفي طريق الخير .

وفي الآية الثالثة أخبار من الله أنه يكفي نبيه عليه السلام واتباعه المؤمنين كل ما يهمهم من أمر الأعداء ، ومثل هذه الآية قوله تعالى :

(**قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون**) .فاذا كان المؤمنون دائما متوكلين على الله ، ملتجئين اليه بقولهم (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) فأولى بأنبيائه أن يكونوا أكمل توحيدا وتوكلا من غيرهم .

أما الآية الرابعة ـ فيخبر الله فيها ان من يكل أمره الى الله ، ويفوض اليه مصيره فان الله يكفيه ما أهمه في دنياه وآخرته ، وليس معنى هذا أن يترك المسلم العمل لطلب الرزق اعتمادا على التوكل على الله فما بهذا أمر الاسلام ، ولكن المطلوب من المسلم أن يستغل كل طاقاته للعمل بما يجلب له السعادة في الدنيا والآخرة ، مع التوكل على الله ، والاعتقاد بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

يأتي بعد هذه الآيات الأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه أن ابراهيم حينما حطم أصنام المشركين اتفقوا على انيقتلوه حرقا بالنار فلما القوه في قلبها وهي تلتهب قال : حسبنا الله ونعم الوكيل فجاءه المدد من الله مسرعا ففقدت النار حرارتها كما قال الله سبحانه وتعالى « **قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم** » .

وقالها محمد عليه السلام حينما بلغه خبر تصميم المشركين على قتاله هو وأصحابه كما ذكر الله ذلك بقوله (**الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**) .

فالاعتماد على الله والتوكل عليه ، يقوى من عزيمة المؤمن ويعمق من ايمانه بالله .

باب

قول الله تعالى (**أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون**) الاية (**الاعراف ـ ٩٩**) وقوله : (**ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون**) الاية (**الحجر ـ ٥٦**)

عن ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله والامن من مكر الله » .

وعن ابن مسعود قال : اكبر الكبائر الاشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله ، رواه عبد الرزاق .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية الاعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

الهدف :

اراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله ذنبان عظيمان منافيان لكمال التوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديث وأثر .

في الآية الاولى وبعد أن بين سبحانه وتعالى في آية سابقة أخذه لأهل القرى الذين كذبوا رسلهم واصروا على الشرك والمعاصي ، ذكر في أول هذه الآية ان أهل مكة ومن حولهم من أهل القرى وغيرهم من الناس لو استجابوا لدعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وانتهوا عما نهاهم عنه من الشرك بالله ، لوسع الله عليهم في الخير وفتح عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكنهم كذبوه واستمروا في شركهم وفسادهم فخوفهم الله نزول العذاب بهم بقوله : (**أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**) .

والآية الثانية تحكي استعظام ابراهيم عليه السلام نعمة الله عليه بمولود في وقت بلغ فيه الشيخوخة التامة وذلك من غير استبعاد لقدرة ربه القادر على كل شيء .

فقد جاءت الملائكة مبشرين له بولد في وقت لم تجر العادة بأنجاب اولاد لمثل من هو في سنه ، ولذا قال لهم متعجبا : (**أبشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون**) . فأجابته الملائكة مؤكدين ما بشروه به (**قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين**) . اليائسين من خرق العادة فالله قادر على كل شيء . فأجابهم ابراهيم بهذه الآية (**قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون**) يعني لا ييأس من رحمة الله الا من أخطأ سبيل الصواب .

من هاتين الآيتين يظهر ان الاستمرار في الذنوب والآثام استهتارا وعدم خوف من عقاب الله مناف لكمال التوحيد .

كما أن اليأس من رحمة الله . واستبعاد قبول التوبة كذلك مناف لكمال التوحيد .

يأتي بعد هاتين الآيتين حديث ابن عباس رضي الله عنه وفيه أن اكبر الكبائر الاشراك بالله ولأنه أعظم الذنوب جميعا فقد قال الله سبحانه وتعالى : (**انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**) . واليأس من روح الله يعني قطع الأمل والرجاء في الله وقد قال الله تعالى (**قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**) (والأمن من مكر الله) الاستمرار في الذنوب والمعاصي من غير خوف من الله مع متابعة الله نعمه وخيراته على ذلك الانسان المستهتر المعاند ، كما قال الله سبحانه وتعالى (**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين**) .

وفي نهاية هذا الباب يأتي أثر بن مسعود رضي الله عنه وليس فيه زيادة عما ورد في الحديث السابق له سوى كلمة (والقنوط من رحمة الله) والقنوط هو أعلى درجات اليأس .

والخلاصة : هي أن الانسان الذي يطلب كمال التوحيد هو الذي يسير في حياته بين الخوف والرجاء ، والخوف من الله في ارتكاب المعاصي والذنوب ، وعدم اليأس من رحمة الله في قبول التوبة والتجاوز عن الهفوات إذا وقع في ذنب أو معصية .

باب
(من الايمان بالله الصبر على أقدار الله) .

وقول الله تعالى : (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**) الآية (**التغابن** ـ ١١) .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت ، ولهما عن ابن مسعود مرفوعا « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، واذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » . حسنه الترمذي .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية التغابن .

الثانية	: أن هذا من الايمان بالله .
الثالثة	: الطعن في النسب .
الرابعة	: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .
الخامسة	: علامة ارادة الله بعبده الخير .
السادسة	: علامة حب الله للعبد .
السابعة	: تحريم السخط .
الثامنة	: ثواب الرضا بالبلاء .

الهدف :

قصد رحمه الله من هذا الباب بيان ان الصبر على أقدار الله المؤلمة يقتضيه كمال التوحيد وان عدم الجزع مما قدره الله دليل على عمق ايمان المسلم .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية واحدة واربعة أحاديث .

في أول هذه الآية جاء قول الله تعالى : (**ما أصاب من مصيبة الا باذن الله**) يعني ان كل ما يحدث في هذه الحياة انما هو بقضاء الله وقدره ، لذا فلا يجزع الانسان عندما يحصل له ما يكره ثم بين ان الايمان يضيء القلب ، فقال (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**) أي أن من صبر على المصيبة واحتسب مثوبة ذلك عند الله فان الله يشرح صدره ويمنحه استراحة النفس واطمئنان القلب (**والله بكل شيء عليم**) يعني ان الله مطلع على كل مافي هذا الكون من ما نعلمه وما لا نعلمه وله الحكمة

فيما يقضيه ويقدره .

ويمثل علقمة لمن ينطبق عليه معنى الآية الكريمة فيقول (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم) . .

يأتي بعد هذا حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفيه أن الطعن في الانساب والنياحة على الميت أمران من أمور الجاهلية يجب الابتعاد عنهما ، وقد تقدم الكلام عليهما في باب الاستسقاء بالنجوم ولكن المصنف هنا ذكرهما لأن النياحة تنافي الصبر على اقدار الله .

يتلو هذا الحديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه وعيد وتخويف لمن جزع من قضاء الله وقدره .

فيقول ان الرسول عليه السلام قال « ليس منا من ضرب الخدود » يعني ليس من طريقتنا ولا من تعاليم شريعتنا .[1] ضرب الخدود تبرما وعدم رضا بما يقدره الله وعبر بضرب الخدود عن الجزع لأن الناس الذين لا يملكون القدرة على الصبر يقومون عادة بضرب خدودهم عند حلول المصائب والكوارث ، ومثل ضرب الخدود شق الجيوب كل منهما يدل على عدم الرضا بقضاء الله وقدره ، « ودعا بدعوى الجاهلية » وهذا يحتمل أمرين اما ان يراد به دعاء الشخص المصاب على نفسه بالويل والثبور وعظائم الامور واما ان يراد به الدعوة الى العصبية الجاهلية للالتفاف حول العنصر والجنس بدلا من العقيدة والدين ، كما يفعل ذلك دعاة القومية العربية مثلا .

وفي الحديث الثالث حديث أنس دليل على أن المصائب في الحياة

---

(١) لا يخفى ما يراه الامامان الجليلان أحمد بن حنبل وسفيان الثوري من كراهية تأويل نصوص الوعيد ، لكن خوفاً من تمسك بعض الناس بظاهر الحديث في اخراج المرتكب لهذا الأمر من دائرة الاسلام ذكرت ذلك .

تكون سببا في مغفرة الذنوب والآثام ، لذا فهي في الواقع نعمة ، لأن تعجيل العقوبة في الدنيا خير أراده الله لعبده « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا » « كما ان الله اذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » بمعنى ان من العصاة والمنحرفين من يتركه الله هائما في ضلاله غارقا في رذائله حتى اذا جاء يوم القيامة يحمل أوزاره وشاهد الجزاء الذي ينتظره تذكر انه كان مجرما في حق الله بسبب انتهاكه لمحارمه وعصيانه له ولكن أنى ينفع ذلك التذكر والجزاء العادل حاصل لا محالة .

وفي نهاية هذا الباب يأتي قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء » . بمعنى أنه كلما كان البلاء عظيما كلما كان الجزاء عظيما ، لكن بشرط وجود الصبر والرضا بقضاء الله رضاء كاملا « وقوله وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم » بمعنى ان ابتلاء الله لاحد من المسلمين دليل على حبه له ، وامتحان لايمانه وصبره فمن رضي بهذا الامتحان وتحمل وصبر فله الرضاء ومن سخط من هذا الابتلاء وجزع ولم يصبر فله السخط من الله .

باب
ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : (**قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد**) الآية (**الكهف ـ ١١٠**) .

عن أبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى : (انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم .

وعن أبي سعيد مرفوعا « الا أخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من المسيح الدجال » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال « الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » رواه احمد .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الامر العظيم في رد العمل الصالح اذا دخله شيء لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى .

الرابعة : ان من الاسباب أنه خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن المرء يصلي لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل اليه .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب ، بيان أن العمل اذا لم يكن خالصا لله فهو مناف للتوحيد .

وأن اولئك الذين يكثرون من الأعمال الصالحة من أجل أن يصفهم الناس بالتقوى والصلاح ، انما هم مخادعون ولن يقبل الله منهم تلك الاعمال لأنها ليست لله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وحديثان .

فالآية فيها أمر من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ، ان يعلم الناس انه بشر لا يعلم شيئا من الأمور الغيبية وغيرها الا ما أوحى الله به اليه من أمور أهمها ان العبودية لا تكون الا لله وحده وأن من يطمع في رضاء الله ، فليخلص العبادة له دون سواه ، ولا يشرك مع الله في عبادته شركا أكبر كما يفعل ذلك عبدة الاصنام والاوثان ولا شركا خفيا كما يفعل ذلك أهل الرياء ، والسبب في تسميته بالشرك الخفي أنه عمل قلب لا يعلمه الا الله ، فصاحب الرياء يظهر أن عمله لله ، وهو يقصد ثناء الناس ومدحهم ، أو التوصل بذلك العمل الى غرض من أغراض الدنيا .

يأتي بعد هذه الآية حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، وفيه ان من قصد بعمله غير الله جازاه الله على عمله السيء ولم يقبل منه ذلك العمل لأنه لم يكن خالصا لله .

وفي نهاية الباب يأتي خبر أبي سعيد ان الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أنه يخاف على أمته من الشرك الخفي اكثر من خوفه عليهم من فتنة المسيح الدجال وحينما سألوه عن هذا الشيء الخطير قال : « الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل »، وهذا دليل على خطورة الرياء وعلى ضعف ايمان المرائي وفساد قلبه .

والخلاصة :

أن الرياء شرك لكنه لا يخرج المسلم من دائرة الاسلام .

باب

من الشرك إرادة الانسان بعمله الدنيا .

وقول الله تعالى : (**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**) (هود١٥، ١٦) .

في الصحيح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، ان اعطي رضي وان لم يعط سخط . تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، ان كان في الحراسة كان في الحراسة ، وان كان في الساقة كان في الساقة ، ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع .

فيه مسائل :

الأولى : ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطي رضى وان لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : « تعس وانتكس » .

السادسة : قوله واذا شيك فلا انتقش .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله في هذا الباب بيان أن من قصد بعمله الصالح أمرا دنيويا كان عمله هذا منافياً للتوحيد .

وهذا الباب قريب في معناه من باب الرياء الاان بينهما فرقا دقيقا قد لا يتضح للكثير من الناس فالرياء هو ان يتظاهر الانسان بالصلاح والتقوى طلبا لمدح الناس وثنائهم .

اما ارادة الانسان بعمله الدنيا ، فهو أن يعمل الانسان اعمالا صالحة يقصد منها الحصول على المال مثل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للحصول على الوظيفة أو يحافظ على الصلاة ليتحصل على وظيفة الامامة مثلا ، أو يتعلم العلم من أجل الدنيا .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية وحديث .

في الآية الكريمة اخبار بأن من كان همه من الاعمال الصالحة التي يعملها التمتع بزخارف الدنيا وما بها من نعيم ، دون اهتمام بالآخرة ، أواستعداد للجنة بالاعمال الصالحة الخالصة لله فان الله يعجل لهم جزاء أعمالهم في الدنيا بتوفير أسباب السعادة لهم فيعطيهم من الأموال والاولاد ما يشعرون معه بنعيم الحياة حتى اذا جاء يوم القيامة لم يجدوا لهم رصيدا من الأعمال الصالحة . فيتحقق فيهم قول الله سبحانه وتعالى : (**أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا**

يعملون) يعني هؤلاء الذين لا هم لهم في الدنيا الا التمتع بملذات الحياة ، ليس لهم في الآخرة الا النار ، لأن ما عملوه من أعمال لم يقصدوا بها التقرب الى الله ، وانما من أجل الوصول الى غايات دنيوية وقد أعطاهم الله جزاء أعمالهم في الدنيا فصاروا من الخاسرين في الآخرة .. لفساد أعمالهم وعدم قبولها عند الله جل جلاله ، ويأتي بعد هذه الآية الكريمة حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وفيه ما هو دعاء بلفظ الخبر من الرسول عليه الصلاة والسلام بالشقاء لمن استولى حب المال على قلبه . حتى صار بمنزلة العبد له فقال : تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، الدينار : يعني به الذهب ـ والدرهم : يقصد به الفضة ـ الخميصة ، والخميلة : يشير بهما الى نوع من الثياب الفاخرة الناعمة والمقصود بهذا كله تعلق القلب بحب الدنيا تعلقا يجعله مستعبدا لها معتمدا عليها ، وهذا ينافي حقيقة العبودية لله وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم عابد المال بصفة تتلاءم مع منزلة الدنيا في قلبه فقال ان أعطي من الدنيا رضي وان لم يعط منها سخط وهذا دليل على استيلاء حب المال على قلبه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (**تعس وانتكس**) يعني حصل له شقاء بعد شقاء لأن رضاءه وسخطه لم يكن لله وانما من اجل الدنيا . واذا شيك فلا انتقش دعاء ايضا من الرسول عليه السلام بلفظ الخبر بأنه إذا أصابته شوكة لا يستطيع على اخراجها بالمنقاش ومعلوم ما لبقاء الشوكة في الجسم من ألم نفسي وجسمي وقلق وازعاج الى ان تخرج منه ، اذا فدعاء الرسول عليه السلام بهذه الدعوة دليل على عدم رضائه عن عبدة المال ، وسوء المصير الذي ينتظرهم ، ثم بعد أن بين حالة عبدة المال وما يلاقونه في الآخرة من خسارة وإفلاس بين أوصافا

أخرى ، لاناس يختلفون عن هؤلاء في نظرتهم للحياة ، وما ينتظرهم من حسن جزاء عند الله ، فقال طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، ثم ذكر أوصاف ذلك الرجل بأمور أربعة .

الاول : أنه اشعث الرأس ، وهذا يشير إلى أنه لا نشغاله بالجهاد في سبيل الله لم يكن لديه من الوقت ما يتيح له اصلاح شعر رأسه وتنظيمه وإبعاد التراب عنه .

الثاني : أنه مغبر القدمين للسبب نفسه .
إن كان في حراسة الجيش فمتنبه لتحركات العدو وإن كان في مؤخرة الجيش فكذلك يقظة وحذر .

الثالث : أنه لا جاه ولا منزلة له عند القادة والزعماء ، لذا فانه لا يؤذن له إذا استأذن للدخول عندهم .

الرابع : أنه لو اراد أن يشفع في أمر من الامور فان شفاعته لا تقبل ولا تنفذ .

وبمقارنة بسيطة بين العابد لله والعابد للمال ، إن العابد لله يعيش حياة قاسية ، وأنه لا جاه له ولا منزلة لدى الناس .

وعابد المال يعيش حياة ناعمة ، وله المكان الأول في الإكرام ، والتقدير والاحترام ولكن الامر في الآخرة يختلف ، فعابد المال يذهب الى النار ، والعابد لله يذهب الى الجنة .

وليس معنى هذا أن ينقطع المسلم للعبادة ، ويترك طلب الرزق في الدنيا لأن هذا ليس من الاسلام ، ولكن المطلوب من المسلم أن يبحث عن الرزق الحلال بكل الوسائل الشريفة النزيهة ليستعين به على طاعة الله ، وليبذل منه في طرق الخير ، على أن لا يحتل حب الدنيا مكانة الله في قلبه .

باب

« من اطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله » .

وقال ابن عباس : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء اقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال ابوبكر وعمر .

وقال أحمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون الى رأي سفيان ، والله تعالى يقول (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم**) اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله اذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

عن عدى بن حاتم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية (**اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله**) الاية (**التوبة ـ ٣١**) . فقلت له انا لسنا نعبدهم . قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ فقلت بلى قال : فتلك عبادتهم » رواه أحمد والترمذي وحسنه .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي انكرها عدي .

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل احمد بسفيان

الخامسة : تغير الاحوال الى هذه الغاية حتى صار عند الاكثر عبادة الرهبان هي أفضل الاعمال ، وتسمى الولاية . وعبادة الاحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الأحوال الى ان عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن مصدر التشريع هو الله وحده وان من اطاع العلماء والامراء والعباد وغيرهم في تحريم ما أحله الله ، أو تحليل ما حرمه الله فقد جعلهم أربابا من دون الله ، والربوبة تستلزم الالوهية . .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أثر عن ابن عباس ، وقول للامام أحمد وحديث عن عدي بن حاتم .

فأثر ابن عباس رضي الله عنه فيه تحذير من عقاب ينزل على من يستدل بقول احد على تحليل شيء أو تحريمه مع مخالفته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصة هذا التحذير انه حصل نقاش بين ابن عباس وبين بعض الصحابة في هل الافراد بالحج أفضل أم التمتع بالعمرة الى الحج افضل ، وكان ابن عباس يرى ان التمتع أفضل من الافراد ،

ويستدل على قوله بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهللت بالحج ولجعلتها عمرة » غير أن بعض الصحابة يرى ان الافراد افضل استدلالا برأي ابي بكر وعمر في ذلك فأجابهم ابن عباس قائلا يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون قال ابو بكر وعمر .

وقول الامام احمد رحمه الله فيه انكار على الذين يعرفون اسناد الحديث وصحته ثم يتركونه تقليدا لعالم من العلماء مهما كان فضله وعلمه اما من لا يعرف الاسناد وصحته لقصوره عن فهم الحديث لسبب من الاسباب فلا حرج عليه في ان يقلد من يرى فيه العلم والتقوى ، ولتأكيد الانكار أورد الامام رحمه الله الآية الكريمة : (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) .

ثم فسر الفتنة بأنها الشرك وزاد على ذلك بأن من رد بعض قول الرسول صلى الله عليه وسلم ربما يقع في قلبه زيغ فيهلك .

وعلى العموم فقد نهى الائمة رحمهم الله عن تقليدهم اذا استبانت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول ابو حنيفة رحمه الله ، اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال ، ويقول الامام الشافعي رحمه الله : اذا صح الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط .

ويقول الامام مالك رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يأتي بعد هذا الحديث حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ، وفيه دليل واضح على ان طاعة العلماء والعباد أو غيرهم من قـادة أو زعماء

في معصية الله عبادة لهم من دون الله .
والخلاصة من هذا كله : ـ

١) ان قول الرسول صلى الله عليه وسلم مقدم على قول كل أحد وانه لا يصح التقليد باتباع رأي اي شخص في التحليل والتحريم مع مخالفته للنص الوارد عن الرسول عليه السلام .
٢) ان باب الاجتهاد مفتوح الى يوم القيامة لمن كان أهلاً له
٣) ان طاعة العلماء والقادة والزعماء وغيرهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله شرك اكبر لا يغفره الله .

باب

قول الله تعالى : (**ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا**) الآيات (**النساء ـ ٦٠**) وقوله : (**واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون**) الاية (**البقرة ـ ١١**) وقوله : (**ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين**)(**الاعراف ـ ٥٦**) وقوله : (**أفحكم الجاهلية يبغون**) الآية (**المائدة ـ ٥٠**) .

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجه باسناد صحيح .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم الى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق نتحاكم الى اليهود . لعلمه أنهم يأخذون الرشوة . فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما اليه فنزلت (**ألم تر الى الذين يزعمون**)

الاية . وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال احدهما : نترافع الىالنبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر: الى كعب بن الاشرف .ثم ترافعا الى عمر فذكر له احدهما القصة ، ، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت .
الثانية : تفسير آية البقرة (**واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض**)
الثالثة : تفسير آية الاعراف (**ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها**) .
الرابعة : تفسير (**أفحكم الجاهلية يبغون**) .
الخامسة : ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الاولى .
السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .
السابعة : قصة عمر مع المنافق .
الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

الهدف :

اراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب ، التوضيح بأن كل تحاكم لا يقوم على شريعة الله تحاكم باطل لأنه ينافي التوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وقول للشعبي في سبب نزول

الآية الاولى (**ألم تر الى الذين يزعمون**) الآية وحديث واحد .

فالآية الاولى : فيها اشارة الى تناقض أولئك الذين يدعون الايمان بالقران وما سبقه من الكتب السماوية ، ثم يفعلون ما يخالف ذلك من التحاكم الى الكهنة والدجالين ومدعي الكشف والولاية ، او ما يصنعه البشر من أنظمة أو قوانين تخالف شرع الله ودينه .

وفي الآية اشارة الى ان التحاكم الى الطاغوت ، واستبدال احكام الله بأحكام تخالف شريعته خروج عن الاسلام .

وسبب نزول هذه الآية كما ذكر في آخر هذا الباب أن رجلين اختصما فقال احدهما نترافع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر نترافع الى كعب بن الاشرف ثم ترافعا الى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول الله : أكذلك قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

وفي الآية الثانية : نهي عن الفساد بكل انواعه وصوره وتصوير لواقع المفسدين في الارض في كل مكان وزمان ، (**واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض**) بمحاربة التوحيد ، والدعوة الى الفتنة ، وعدم الرضاء بالتحاكم الى شريعة الله (**قالوا انما نحن مصلحون**) وفي اجابتهم هذه خداع وتضليل ، لأنهم يعلمون تمام العلم فساد ما يفعلونه بدافع من طمع في مركز ، او انحراف في خلق ، وهذا شأن كل المفسدين في الارض حينما يريدون الانحراف بالبشر عن طريق الله ، الى طرق المتاهات والشرور ، يدعون أنهم مصلحون حتى ولو أخرجوا الناس عن دينهم ، واستباحوا محارمهم ، ونهبوا أموالهم فهم يدعون أنهم مصلحون ، ولكن الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله : (**الا انهم هم المفسدون**)

المفسدون ظاهرا وباطنا وأن ادعاءهم الاصلاح لا حقيقة له في واقع الأمر .

وفي الآية الثالثة ، نهي عن الافساد في الارض بعد أن انعم الله عليها بالاصلاح ، وهذا يشمل افساد العقول بالكفر بعد الايمان وافساد النفوس بالفجور بعد الصلاح والتقوى ، وافساد تعاليم الخالق باستبدالها بآراء المخلوقين بها .

أما الآية الرابعة فهي تنكر في شدة على الذين يختارون حكم الجاهلية القائم على الجور والهوى ، على حكم الله المبني على العدل وعدم التحيز. وسبب نزول هذه الآية ، ان بني النضير وبني قريظة كانت بينهم خصومة ، فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهم من الرسول عليه الصلاة والسلام ان يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل والتمييز بين الناس في الاحكام بجعل دية القرظي ضعفي دية النضيري ، فقال عليه السلام « القتلى بواء » **(سواء)** فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك .

بعد هذه الآيات الاربع يأتي حديث ابن عمر وفيه اشارة صريحة الى نقص الايمان لدى كل شخص لا تكون نفسه راضية رضاء تاما بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أحكام واوامر وتوجيهات ، والخلاصة من هذا الباب كله ، ان كل من رفض الحكم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام ، واستبدل بها غيرها من آراء البشر فهو كافر ، يدل على ذلك دلالة قاطعة قول الله سبحانه وتعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

باب

من جحد شيئا من الاسماء والصفات .

وقول الله تعالى : (**وهم يكفرون بالرحمن**) الاية (**الرعد** ـ ٣٠)

وفي صحيح البخاري قال علي : حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه .

ولما سمعت قريش رسول الله صلى عليه وسلم يذكر الرحمن انكروا ذلك فأنزل الله فيهم (**وهم يكفرون بالرحمن**) .

فيه مسائل :

الاولى : عدم الايمان بجحد شيء من الاسماء والصفات

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع

الرابعة : ذكر العلة انه يفضي الى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك وانه هلكة .

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان ما يترتب على جحود شيء من اسماء الله أو صفاته .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية ، وروايتان احداهما عن علي والثانية رواية عبد الرزاق عن ابن عباس .

فالآية الكريمة قيل في سبب نزولها أن المشركين جحدوا اسم (**الرحمن** والقصة باختصار كما رواها قتادة ان النبي عليه الصلاة والسلام حينما أراد ان يعقد صلح الحديبية بينه وبين المشركين أمر أن تبدأ وثيقة الصلح ببسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون : لا نعرف الرحمن وكان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فقال اصحابه دعنا نقاتلهم فقال : لا ، اكتبوا ما يريدون ثم قال الله لرسوله عليه السلام : (**قل هو ربي لا اله الا هو**) يعني قل لهؤلاء الضالين المشركين ان الرحمن الذي كفرتم به (**هو خالقي ومعبودي عليه توكلت في جميع اموري واليه متاب**) يعني اليه وحده توبتي .

وقريب من هؤلاء الجهمية وبعض من المعتزلة القائلين ان الرحمة لا تدل على صفة قائمة بالله ، ونظرتهم هذه قائمة على أن اثبات صفات الله يستلـزم اثبات ان له جسما ، وهذا فيه تشبيه للخالق بالمخلوقين ، ونتيجة لهذه النظرية الخاطئة عطلوا الله من صفاته ، مخالفين بذلك أهل السنة والجماعة ، الذين يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه

وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تعطيل ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) .

يأتي بعد هذه الآية قول علي رضى الله عنه ، وسبب هذا أن القصاصين كثروا في عهده حتى وصل بهم الأمر الى ذكر احاديث غريبة وغير صحيحة ، والشيء الذي يخشى معه الشك فيما هو صحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فـأمـر علي رضى الله عنه أولئك القصاصين الا يحدثوا العوام من الناس الا بما هو واضح ومفيد لهم في عقيدتهم وعباداتهم ، ومعاملاتهم دون التوسع في أشياء فوق مدارك عقولهم .

وفي آخر هذا الباب ترد رواية عبد الرزاق عن ابن عباس ، وفيها ان ابن عباس رضى الله عنه ، استغرب من رجل ممن ينكر صفات الله ينزعج عندما سمع حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في صفات الله ، مع أن صفات الله ثابتة في القرآن والسنة ، وهي صفات كمال ، يجب على المسلم ان يؤمن بها ، ويسلم بأن لكل منها مدلولا خاصا يليق بجلال الله وعظمته . وفي نهاية الباب تأتي الرواية .. أن قريشا حينما سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله (**وهم يكفرون بالرحمن**) وقصة هذا الانكار ان المشركين سمعوا النبي عليه السلام يقول في دعائه وهو ساجد « يا رحمن يارحيم » فقالوا ان محمدا يزعم انه يدعو واحدا وهو يدعو مثنى مثنى فانزل الله (**قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى**) .

والخلاصة : أن صفات الله التي وردت في القرآن الكريم أو سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام صفات حقيقية يجب اثباتها لله كما يعتقد ذلك أهل السنة والجماعة .

باب

قول الله تعالى : (**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**) الآية (**النحل ـ ٨٣**) قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي . وقال عون بن عبد الله : يقولون لولا فلان لم يكن كذا . وقال ابن قتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا وقال ابو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه « ان الله تعالى قال : اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » الحديث وقد تقدم ـ وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ، ويشرك به . قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقا ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير

فيه مسائل :

الاولى : تفسير معرفة النعمة وانكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام انكاراً للنعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب .

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان ذم الذين ينسبون نعم الله الى غيره لمنافاته ذلك لكمال التوحيد .

الشرح :

ورد في هذا الباب آية واحدة وبعض أمثلة عليها .

فالآية الكريمة هذه مرتبطة بآيتين قبلها هما قول الله سبحانه (**والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ، ويوم اقامتكم ومن أصوافها ، وأوبارها وأشعارها أثاثا لكم ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال اكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ، فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين ، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، واكثرهم الكافرون**).

ومن سياق الآية نرى ان الله تعالى بعد أن عدد على المنكرين لنعمه هذه النعم الكبيرة فجعل لهم بيوتا من الحجارة ، وغيرها يسكنونها ومن جلود الانعام وأصواف الضأن وأوبار الابل ، واشعار المعز أثاثا للبيوت ولباسا للأجسام الى جانب البيوت الخفيفة الحمل التي يأوون اليها في نزهاتهم وأسفارهم (الخيام والخدور وغيرها) .

ومن الجبال معاقل وحصونا يلجأون اليها في وقت السلم والحرب ، وثيابا من القطن وغيره تقيهم الحر ، ودروعا تمنع عنهم بأس السلاح .

بين أنهم يعرفون ان هذه النعم كلها من الله ، ولكنهم مع هذا الاعتراف ، ينكرونها بأفعالهم ، اذ ينسبون النعم الى شفاعة آلهتهم ، او الى مجهود آبائهم أو غير ذلك مما يشعر بعدم الاعتراف بأن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الفضل دائما وأبدا .

والخلاصة : ان كل من ينسب النعم الى غير الله فقد أوقع نفسه في نوع من انواع الشرك .

باب

قول الله تعالى (**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**) الاية (**٢٢ البقرة**) قال ابن عباس في الآية الأنداء هوالشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لو لا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانا ، هذا كله به شرك رواه ابن ابي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال « من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك » رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم .

وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا .

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن ابراهيم النخعي أنه يكره : أعوذ بالله وبك ، ويجوز

أن يقول بالله ثم بك » قال : ويقول لولا الله ثم فلان ولا تقولوا : لولا الله و فلان .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية البقرة في الانداد .
الثانية : أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الاكبر بأنها تعم الاصغر .
الثالثة : ان الحلف بغير الله شرك .
الرابعة : انه اذا حلف بغير الله صادقا فهو اكبر من اليمين الغموس .
الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب التنبيه على أن أولئك الذين يرفعون المخلوق الى درجة الخالق ويساوون بينه وبين الله انما هم مشركون مع الله في عبادته .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب هذه الآية تفسير لابن عباس لكلمة الأنداد وحديثان وقولان .

فالآية الكريمة في بدايتها أمر من الله للبشر بأن يتجهوا اليه بالعبادة دون غيره ، مذكرا لهم انه صاحب الفضل والانعام في خلقهم من العدم الى الوجود ، وفوق هذا جعل الارض فراشا لهم والسماء بناء ، وانزل لهم المطر فتفجرت الارض بالثمار والزروع ، فنعموا بخيرات

الله ، وعاشوا في نعمة من الله ولهذا وبعد أن عدد الله عليهم هذه النعم الكثيرة ، وأنه هو المنعم بها وصاحب الفضل فيها دون غيره .

قال : (**فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون**) .

يعني فلا تجعلوا لله شركاء في عبادته .

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنه الانداد بأنهم الشركاء ووصف الشرك بوصف دقيق وخفي فقال : هو أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل . ثم مثّل لهذا الشرك الخفي بقوله : وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ، ولولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك .

وبسبب خفاء هذا الشرك الاصغر كثيرا ما يقع فيه الناس ، والسبب الذي جعل هذه الكلمات تجعل المتكلم بها مشركا ، أن الواو تقتضي مساواة المعطوف للمعطوف عليه ، فاذا قال أحد لولا الله والرئيس ، فكأنه جعل الرئيس هذا مساويا لله في الأمر والتصرف والتدبير ، وهذا شرك لكن لو قال : لولا الله ثم الرئيس لم يكن ذلك شركا ، لأن ثم ليست كالواو تقتضي مساواة المعطوف للمعطوف عليه ، وانما تقتضي التعقيب والتراخي ، يعني ان مساعدة الرئيس جاءت بعد أمر الله وارادته متأخرة عنه ، ومن هنا يظهر الفرق بين لفظ الواو وثم .

ولذا ورد هنا في حديث حذيفة عن النبيّ عليه السلام قوله : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » وبهذا المعنى جاءت رواية ابراهيم النخعي الواردة في هذا الباب .

يأتي بعد تفسير ابن عباس هذا حديث عمر رضى الله عنه وفيه دليل صريح على كفر من حلف بغير الله .

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في قرة عيون الموحدين ، تعليقا على هذا الحديث بأنه كفر دون كفر يعني أنه كفر لا يخرج عن الاسلام .

ولخطورة الحلف بغير الله ، وأنه اكبر من الذنوب الكبيرة ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : لأن احلف بالله كاذبا أحب الي من أن أحلف بغيره صادقا .

باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله » .

رواه ابن ماجه بسند حسن .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن الحلف بالآباء .

الثانية : الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب ايضاح أن عدم الاقتناع

بالحلف بالله دليل على ضعف الإيمان وعدم استشعار النفس لعظمة الله وجلاله .

الشرح :

لم يرد تحت هذا الباب سوى حديث واحد هو حديث ابن عمر رضى الله عنه وقد احتوى على أربعة أمور :

الاول : النهي عن الحلف بالآباء ومثله الحلف بالكعبة والنبي والحياة والشرف وما أشبه ذلك من مخلوقات الله والسبب في هذا أن الحلف تعظيم واستشعار في القلب بعظمة المحلوف به والتعظيم القائم على خضوع القلب عبادة والعبادة لا تكون الا لله وحده لذا كان الحلف بغير الله شركا .

الثاني : الامر بعدم الكذب في الحلف بالله ، وذلك أن الكذب في حد ذاته رذيلة من الرذائل ، واذا كان في حق الله كان اكبر جرما . وقد أوجب الله الصدق بقوله تعالى (**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) وحذر من الكذب بقوله تعالى (**انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**)

الثالث : أن يكون المسلم حسن الظن بأخيه المسلم اذا حلف له بالله على شيء فيرضى ويسلم .

الرابع : خطورة عدم الرضا بالحلف بالله ، كما ورد في آخر الحديث « ومن لم يرض فليس من الله » .

باب

قول ما شاء الله وشئت .

عن قتيلة ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلّم فقال : انكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه .

وله أيضا عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلّم : ما شاء الله وشئت : فقال « أجعلتني لله ندا . ما شاء الله وحده » . ولابن ماجه ، عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود ، قلت انكم لانتم القوم ، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله ، قالوا وانتم لأنتم القوم ، لولا انكم تقولون : ماشاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت انكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، فلما اصبحت أخبرت بها من اخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، قال : « هل أخبرت بها أحدا » ؟ قلت : نعم . قال فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا : ما شاء الله وحده .

فيه مسائل :

الاولى : معرفة اليهود بالشرك الاصغر .

الثانية : فهم الانسان اذا كان له هوى .

الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله ندا ؟ .فكيف بمن قال : يا أكرم الخلق مالي من الوذ به سواك ، والبيتين بعده .

الرابعة : ان هذا ليس من الشرك الاكبر لقوله « يمنعني كذا وكذا » .

الخامسة : ان الرؤيا الصالحة من اقسام الوحي .

السادسة : انها قد تكون سببا لشرع بعض الاحكام .

الهدف :

قصد الامام المجدد رحمه الله من هذا الباب توجيه المسلم الى العقيدة الصافية القائمة على التوحيد الخالص وان التلفظ بمثل ما ورد في ترجمة الباب مناف لكمال التوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديثان لقتيلة وابن عباس ، ورؤيا منامية للطفيل بن عبد الله .

والحديثان أولهما : ينهى عن الحلف بالكعبة ، وعن مساواة احد مع الله في المشيئة وحتى لا يقع الانسان في امر نهى عنه الله أمر الرسول من اراد أن يحلف أن يقول ورب الكعبة ، وان يقول ما شاء الله ثم شئت ، وقد مرّ بنا تفصيل لهذا المعنى في باب قول الله تعالى (**فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون**) .

وثانيهما : فيه سد لأي منفذ يمكن أن يؤدي الى أي نوع من انواع الشرك اذ أنكر الرسول عليه السلام على الرجل ذلك الوارد ذكره في الحديث قوله : ما شاء الله وشئت ، قائلا : أجعلتني لله ندا . ثم وجهه الى أن يجعل المشيئة لله وحده قائلا : قل ما شاء الله وحده .

وفي آخر الباب تـأتي رؤيا الطفيل المنامية فيرويها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ويأمر الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه ألا يقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن ليقولوا : ما شاء الله وحده ، وهذا فيه دليل على حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على أن تكون عقيدة المسلم خالصة لله ، بعيدة عن كل ما يؤثر على صفاء هذه العقيدة الخالصة لله رب العالمين .

باب
من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى (**وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر**) في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، اقلب الليل والنهار .

وفي رواية لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن سب الدهر .

الثانية : تسميته أذى لله .

الثالثة : التأمل في قوله (**فان الله هو الدهر**) .

الرابعة : انه قد يكون سابا ولو لم يقصد بقلبه .

الهدف :

قصد داعية التوحيد رحمه الله من هذا الباب الكشف عن جهل أولئك الذين يسبون الدهر وينسبون اليه ما يصادفهم من منغصات في هذه الحياة .

الشرح :

ورد تحت هذه الترجمة آية وحديث قدسي .

فالآية القرآنية الكريمة تتحدث عن انكار دهرية الكفار ومن تبعهم من مشركي العرب للبعث واعتقادهم أن الدهر هو الذي يسبب لهم المتاعب ويجر عليهم النكبات وأن موتهم أمر طبيعي يتم بفعل الزمن . وعقيدتهم هذه قائمة على أنهم بعد موتهم ، يحيا أبناؤهم من بعدهم ، ثم يموت أبناؤهم ويحيا أبناؤهم من بعدهم وهكذا الى ما لا نهاية له ، وعلى ضوء هذه العقيدة فلا حياة عندهم بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ، ولا نار ، وانما هي أيام تتلاحق لافناء الناس لكن الله أخبر أن هذا الاعتقاد مجرد أوهام وظنون ، ولهذا قال الله تعالى (**وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون**) يعني أن اعتقادهم انه ليست هناك حياة غير هذه الحياة الدنيا ، ، وأن الدهر هو الذي يسبب الهلاك للبشر اعتقاد لا يستند الى منطق أو دليل .

وتتناول الآية الكريمة ، العقيدة الشيوعية القائمة على انكار وجود الله ، وهذا هو أعلى مراتب الكفر ، وأخطر انواع الجهل ، لانه ما من

ذرة في الارض ولا في السماء ، الا وهي تؤكد أن هذا الكون بكل ما فيه من صغير أو كبير متحرك أو ساكن انما كان بارادة الله وقدرته . وليس للصدفة فيه أدنى نصيب ، ذلك أنه لو كان للصدفة أي نوع من انواع التأثير ، لما كان هذا الكون في تركيبه ودقته وتنظيمه ، على هذا النحو من الاحكام والاتقان ، فالشمس مثلا نراها في كل يوم تطلع من جهة معينة . ثم تغيب في جهة معينة ، متخذة لها مساراً وضع بدقة متناهية ، ومثل الشمس في دقة نظامها ، جميع الكواكب في تحركاتها ، في مداراتها المختلفة منذ أن خلقها الله ، والى أن يأذن الله بفناء هذا الكون كله .

يأتي بعد الآية في هذا الباب الحديث القدسي ، وفيه النهي عن سب الدهر ، والسبب في هذا النهي أن العرب في الجاهلية كانوا اذا أصابهم مكروه ، أو شدة قالوا : يا خيبة الدهر ، اعتقادا منهم بأن الدهر هو سبب هذه الكوارث فيسبونه ، وسبهم للدهر ، انما هو سب لله لأن الفاعل في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، أما الايام والشهور فهي مخلوقة لله وليس لها تأثير في شيء دون ارادة الله .

وشبيه بالذين ينسبون الكوارث للدهر ، أولئك الذين ينسبون حدوث الزلازل والبراكين ، ونحو ذلك الى الطبيعة وحدها ، فالكل يعيش في متاهة عقلية ، وضلال مهلك .

والخلاصة : أن كل شيء في هذا الوجود خاضع لارادة الله وتدبيره ، وأن الأيام والشهور لا تنفع أحدا ولا تضره ، وأن من انكر وجود الله أو لم يصدق بالحياة الاخرة ، فهو كافر يستحق الخلود في النار .

باب

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك الا الله »

قال سفيان : مثل شاهان شاه . وفي رواية « أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه » قوله « أخنع » يعني : أوضع .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن التسمي بملك الأملاك .

الثانية : ان ما في معناه مثله كما قال سفيان .

الثالثة : التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه .

الرابعة : التفطن أن هذا لاجلال الله سبحانه .

الهدف :

قصد المؤلف رحمه الله بهذا الباب بيان أن المبالغة في تعظيم المخلوق باطلاق الأوصاف الحقيقية لله عليه كملك الملوك وقاضي القضاة أمر يتنافى مع كمال التوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث ورواية .

فالحديث فيه التحذير من التسمي بملك الاملاك ، لأن ملك الاملاك في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى صاحب الملك المطلق ، يعطي الملك من عباده لمن يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولفظ ملك الملوك يوحي بالتعظيم الذي يشبه تعظيم الخالق وهذا لا يجوز ، وشبيه في النهي بالتسمي بملك الملوك التسمي بقاضي القضاة قياساً على ملك الملوك ، لأن قاضي القضاة ، معناه احكم الحاكمين ، وأحكم الحاكمين في الواقع هو الله وحده .

وأما الرواية فتأتي بلفظ آخر فتقول : « اغيظ رجل على الله يوم القيامة ، وأخبثه .. الخ » .

يعني أن من تسمى بهذا الاسم أو غيره من الاسماء التي توحي بالتعظيم المتكلف الباعث على الكبر ، والتعاظم على الناس ، فان الله يبغضه ، ويسقط هيبته ، واحترامه بين البشر ، ويؤيد هذا حديث عوف عن جلاس عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من قتله نبي ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الاملاك لا مالك الآ الله عز وجل . »

باب

احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك .

عن ابي شريح انه كان يكنى ابا الحكم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله هو الحكم واليه الحكم » فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين . فقال « ما أحسن هذا فما لك من الولد ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله : قال فمن اكبرهم ؟ » قلت : شريح . قال : فأنت ابو شريح » رواه ابو داوود وغيره .

فيه مسائل :

الأولى : احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار اكبر الابناء للكنية .

الهدف :

قصد داعية الاسلام من هذا الباب بيان الامر باحترام اسماء الله وعدم التسمي بها تعظيما لذاته واعترافا بمقام العبودية له وحماية لجانب التوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث ابي شريح هذا ، وفيه أن ابا شريح

الخزاعي كان رجلا مرضيا في قومه لما عرف عنه من انصاف وعدم تحيز . فكانوا يلجأون اليه عن تراض ، ليقوم بالصلح فيما بينهم من خلافات ، فكنوه بأبي الحكم ، وما زال الناس يكنونه بهذه الكنية حتى غير الرسول عليه الصلاة والسلام كنيته من ابي الحكم الى ابي شريح والسبب في تغيير ذلك ، ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بقوله ان الله هو الحكم واليه الحكم » .

فالله هو الحكم واليه الحكم في الدنيا ويوم القيامة . كما قال الله تعالى (**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**) وقوله (**فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر . ذلك خير وأحسن تأويلا**) والحكم الى الله معناه الحكم الى كتابه العزيز ، والحكم الى رسوله هو الحكم اليه في حياته والى سنته بعد بعد مماته » .

والخلاصة : ان ابا شريح هذا لم يكن يقضي بين الناس بأحكام ملزمة كما يفعل ذلك الطواغيت الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، وانما كان يحل خلافات قومه عن طريق الصلح القائم على التراضي ، وهذا أمر محمود ومطلوب من كل أحد ، كما قال الله سبحانه وتعالى (**لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس .**)

باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآنأو الرسول .

وقول الله تعالى (**ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**) الآية (**٦٥ ـ التوبة**) .

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض انه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا اكذب السنا ، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه القرّاء ـ فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ـ فقال : يا رسول الله ، انما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر : كأني أنظر اليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : انما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**) ؟ ما يلتفت اليه وما يزيد عليه .

فيه مسائل :

الاولى : وهي العظيمة أن من هزل بهذا فهو كافر .
الثانية : ان هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان .
الثالثة : الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .
الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على اعداء الله .
الخامسة : ان من الاعذار ما لا ينبغي أن يقبل .

الهدف :

قصد صاحب الكتاب رحمه الله من هذا الباب بيان كفر من استهزأ بالله أو آياته أو رسوله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية وسبب نزولها .

فالآية الكريمة جاءت بين آيتين مرتبطتين بها تمام الارتباط ، وحتى تكون الصورة متكاملة في الذهن نذكر الآيات الثلاث حسب ترتيبها القرآني :

(**يحذر** المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، « قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ؟ » قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) ، والآيات الثلاث جاءت لفضح حال من أحوال المنافقين .

وقد بدأت الآية الاولى من هذه الآيات الثلاث ببيان حذر المنافقين

الشديد من نزول سورة تكشف ما تنطوي قلوبهم عليه من شك في الوحي ورسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتوضح ترددهم بين الايمان والكفر لهذا كانت أحاديثهم في مجالسهم الخاصة لا تكون لذيذة ومسلية إلا حينما تقوم على الاستهزاء والسخرية من الرسول عليه السلام وأصحابه القراء ، كما حدث ذلك في غزوة تبوك حينما أخذ جماعة من المنافقين يتندرون كعادتهم بنبي الله وصحابته ، بقولهم : ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونا يعنون أكثر شرها في الأكل من غيرهم ، ولا أكذب السنا ، يعنون أنهم لا يصدقون في أقوالهم ، وهذا معناه ، أن الرسول عليه السلام غير صادق في قوله بأنه رسول من عند الله ، وأن القرآن الكريم كلام الله ، وفي تكذيب الرسول عليه السلام فيما جاء به من عند الله تكذيب لكتاب الله ، وتكذيب كتاب الله تكذيب لذات الله ، وهذا كفر صريح ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعنون أنهم ليسوا شجعانا عند ملاقاة الاعداء ، وهذا كله كذب يعرفه المنافقون أنفسهم قبل غيرهم ، لكن ارتيابهم في صدق الرسول عليه السلام جعلهم مذبذبين فلا هم بالمؤمنين الصادقين في ايمانهم ، ولا هم بالكافرين الجازمين بالكفر ، ولهذا السبب لم يتورعوا عن وصف الرسول وأصحابه بأوصاف لم يقصدوا من ورائها سوى التشويه ، وتنفير الناس عن دين الله .

ولذا أراد الله أن يظهرهم على حقيقتهم ، فنزلت الآية الكريمة **(قل ابا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟)**

يعني هل ضاقت عليكم طرق الكلام فلم تجدوا ما تتسلون به في هزل وسخرية الا الله وآياته ورسوله ، فأخذتم تطلقون ألسنتكم بما لا يليق بالله وكتابه ورسوله ، ثم بعد ذلك تظنون أن اعتذاركم بأن ما

تتكلمون به انما هو لمجرد التسلية والتلهي (**لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم**) بمعنى أن عذركم غير مقبول وستلقون الجزاء على ذلك .

وشبيه بأولئك المنافقين أصحاب القلوب المنحرفة في عصرنا والمعروفين باسم اللادينيين من وثنيين وملحدين ، في سخريتهم من الدين ، واستهزائهم بتعاليمه ، واحتقارهم للدعاة اليه والمدافعين عنه ، ومثل هؤلاء اليهود والنصارى في محاربتهم للاسلام ، وكرههم للمسلمين ، وانكار رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

باب

ما جاء في قول الله تعالى (**ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ**) الآية (**فصلت** ـ ٥٠)

قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به وقال : ابن عباس يريد من عندي وقوله (**قال انما أوتيته على علم عندي**) قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب وقال آخرون على علم من الله اني له أهل وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان ثلاثة من بني اسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى . أراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال : أي شئ أحب اليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به . قال فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا . قال فأي المال أحب اليك ؟ قال الابل ـ أو البقر شكّ اسحاق ـ فأعطي

ناقه عشراء ، وقال بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع فقال أي شئ أحب اليك ؟ قال شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه ، وأعطى شعرا حسنا فقال أي المال أحب اليك ؟ قال البقر ، أو الابل ، فأعطي بقرة حاملا ، قال بارك الله لك فيها . فأتى الاعمى فقال أي شئ أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله الي بصري فابصر به الناس ، فمسحه ، فرد الله اليه بصره قال : فأي المال أحب اليك ؟ قال : الغنم فأعطي شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ، قال ثم انه أتى الابرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك ، أسألك ـ بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ـ بعيرا أتبلغ به في سفري . فقال : الحقوق كثيرة . فقال له ـ كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال : وأتى الاقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا . فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال : واتى الاعمى في صورته ، فقال رجل مسكين وابن سبيل . قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك ، أسألك ـ بالذي ردّ عليك بصرك ـ شاة أتبلغ بها في سفري . فقال : قد كنت أعمى فرد الله اليّ بصري ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشي أخذته لله . فقال : أمسك مالك فانما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك » . أخرجاه

فيه مسائل :

الاولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى (ليقولن هذا لي)

الثالثة : ما معنى قوله (أوتيته على علم عندي) .

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان عقاب الله للانسان الذي ينعم عليه بالكثير من المال ، ثم لا يشكره ولا يعترف بفضله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وأربعة أقوال في معنى قوله (**ليقولن هذا لي**) وحديث واحد . ففي الآية الكريمة بين الله نكران الانسان لنعمة الله عليه . وجحوده فضله فقال سبحانه وتعالى (**ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي**) يعني ولئن رفعنا عنه الشدة والضيق وأعطيناه الصحة والغنى ، ليقولن انكارا وعدم اعتراف بفضل الله عليه (**هذا لي**) أي بسبب جهادي وكفاحي ثم يزيد الانكار كفرا حين ينكر قيام الساعة ، وأنه لا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب (**وما أظن الساعة قائمة**) ثم يقول في عناد واستكبار : وحتى لو كان هناك بعث فان لي عند الله في الآخرة من الخير والنعيم مثل ما لدي في الدنيا (**ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى**) لكن الله جلت قدرته بين أن الامر ليس كذلك فقال في آخر الاية (**فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ**) يعني فلنخبرن هؤلاء الكافرين يوم القيامة بما عملوه من ذنوب وآثام وانكار

لليوم الاخر ، ولنجازينهم على ذلك بعذاب غليظ لا مفر منه ولا محيد لهم عنه .

وقد قيل في تفسير قوله : (**ليقولن هذا لي**) أربعة أقوال كلها تدور حول معنى واحد هو نكران الانسان لفضل الله عليه ، وأنه حصل على هذا النعيم بسببه هو دون غيره .

ثم يأتي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ليقص علينا قصة أولئك الرجال الثلاثة ، الابرص والاقرع والاعمى ، الذين أنعم الله على كل واحد منهم بأفضل ما يتمناه في حياته ، فالابرص أعطاه الله لونا حسنا وجلدا حسنا ومالا كثيرا .

والاقرع منحه الله شعرا جميلا ومالا غزيرا ، والاعمى أعاد اليه بصره ورزقه مالا وفيرا ، وبين مظاهر هذه النعمة الكبيرة التي أنعم الله بها على هؤلاء الثلاثة وحتى تكون في قصتهم هذه عبرة للمنكرين لفضل الله الجاحدين لنعمته بعث اليهم ملكا في صورة رجل فقير يطلب المساعدة من فضل الله الذي أنعم به عليهم ، فجاء الى الابرص فسأله بالله الذي أنعم عليه باللون الحسن والجلد الحسن والمال الكثير أن يعطيه بعيرا واحدا من هذا المال الكثير فاعتذر له وأنكر نعمة الله عليه ، وذهب الى الاقرع ففعل مثل ما فعل الابرص وأتى الاعمى وقال له كما قال لكل من الابرص ، والاقرع فاعترف بنعمة الله عليه ، وقال له : خذ ما تشاء من المال ولن أردك عن شئ تريد أخذه منه ، والعبرة في هذا الحديث تتلخص في أمرين : ـ

الاول : ان كلا من الابرص والاقرع تناسى فضل الله وأنكر نعمته عليه فأعاده الله كما كان فقيرا ممقوتا مسخوطا عليه من الله .

الثاني : ان الاعمى وقد اعترف بفضل الله عليه ، بارك الله في ماله ومنحه رضوانه ولذا قال له الملك امسك عليك مالك ، فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك .

باب

قول الله تعالى (**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون**) الآية (١٩٠ ـ **الاعراف**) .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب .

وعن ابن عباس في الآية قال : لما تغشاها آدم حملت ، فأتاهما ابليس فقال : اني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني ايل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ، ولأفعلن ـ يخوفهما . سمياه عبد الحارث . فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا . ثم حملت ، فأتاهما فقال لهما مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا . ثم حملت فأتاهما فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله (**جعلا له شركاء فيما آتاهما**) رواه ابن أبي حاتم ، وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته ، وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله (**لئن آتانا صالحا**) قال : أشفقا الا يكون انسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيه مسائل :

الاولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .
الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : ان هذا الشرك في مجرد تسمية لم يقصد حقيقتها .

الرابعة : ان هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كعبد الكعبة ، وعبد الرسول ، وعبد الحسين ، وما أشبه هذه الاسماء التي توحي بالعبودية لغير الله لما في ذلك من منافاة لكمال التوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية ، وحكاية لابن حزم ، وأثر لأبن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى (**جعلا له شركاء فيما آتاهما**) .

فحكاية بن حزم[1] رحمه الله تقول ان العلماء في عصره اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ، ومثل لذلك بعبد عمر ، وعبد الكعبة . واستثنى اسم عبد المطلب والسبب في هذه التسمية أن ـ المطلب قدم الى مكة من المدينة ومعه شيبة ابن أخيه هاشم وقد تغير لونه بسبب حرارة الشمس ، فظنه أهل مكة عبدا للمطلب ـ فقالوا هذا عبد المطلب فعلق به هذا الاسم فصار لا يدعى الا به ، والا فاسمه الحقيقي شيبة[2]

---

(١) ابن حزم هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري ، عالم الاندلس توفي عام ٤٥٦ هـ .

(٢) شيبه هذا هو الذي حفر زمزم ، وصارت له سقايته ولذريته من بعده .

وعلى هذا لا وجه لاستثناء ابن حزم اسم عبد المطلب من تحريم تعبيد الاسم لغير الله وما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب فهو من باب الاخبار بالاسم الذي اشتهر به المسمى دون غيره وليس من باب انشاء التسمية وباب الاخبار يجوز فيه ما لا يجوز في باب الانشاء .

وأما أثر ابن عباس رضي الله عنه في الاية فهو قوله ان آدم لما تغشى حواء وحملت أتاهما الشيطان ، وذكرهما بأنه هو صاحبهما الذي أخرجهما من الجنة ، وأنهما اذا لم يسميا هذا الجنين بعبد الحارث ، فسوف لا يعيش فلم يطيعاه فخرج المولود ميتا ، ثم حملت للمرة الثانية فقال لهما مثل ما قال في المرة الاولى فلم يطيعاه ، فخرج المولود ميتا ، وفي المرة الثالثة ، أعاد عليهما التهديد ، فأدركتهما العاطفة البشرية ، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى (**جعلا له شركاء فيما آتاهما**) .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه : شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته ، يعني أن آدم وحواء عليهما السلام لم يريدا من التسمية بعبد الحارث أن يكون عبدا لغير الله ، كما كان يريد بذلك ابليس وانما أرادا مجرد التسمية . وعلى هذا فالشرك هنا انما هو لمجرد التسمية .

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد من السياق في الآية الكريمة ليس آدم وحواء وإنما المراد منه ذريتهما ، ولذا فالمراد بالزجين الجنس الذكر والأنثى » ، « فردان معينان ، ولهذا قال الله تعالى : (فتعال الله عمّا يشركون) والجنس يصدق ببعض أفراده ، والمقصود من الآية بيان ما طرأ على ذرية آدم من انحراف نحو الإشراك مع الله ، ولذا يقول الحافظ بن كثير رحمه الله إن الآثار التي وردت في نسبة الشرك إلى آدم وحواء إنما هي والله أعلم كانت من دسائس اليهود .

١٣٩ هـ — ١٩٧ م

الطَّبْعَة الثَّالِثَة

والذي تميل إليه النفس ويتفق مع مقام أو نبي من أنبياء الله ، ميزه الله عن غيره بسجود الملائكة له ، أن المراد في الآية الكريمة ليس آدم وحواء وإنما ذريتهما ، والله أعلم .

باب

فول الله تعالى (**ولله الاسماء الحسنى فأدعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه**) الآية (١٨٠ ـ **الأعراف**) .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس (**يلحدون في اسمائه**) : يشركون . وعنه : سموا اللات من الآله ، والعزى من العزيز . وعن الاعمش : يدخلون فيها ما ليس منها : ـ

فيه مسائل :

الاولى : اثبات الاسماء
الثانية : كونها حسنى .
الثالثة : الأمر بدعائه بها .
الرابعة : ترك من عارض من الجاهليز الملحدين
الخامسة : تفسير الالحاد فيها .
السادسة : الوعيد لمن الحد .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن التوسل الى الله لا يكون الا بالاسماء الحسنى ، وصفاته العليا ، وأن ما يفعله بعض

الناس من التوسل الى الله بالاموات لا يجيزه الاسلام لمنافاته للتوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب هذه الآية ، وثلاثة أقوال على قوله تعالى (**يلحدون**[1]) والآية الكريمة تقول : ان أسماء الله فيها أجمل المعاني وأكمل الصفات فادعوه بها عند سؤالكم له وطلبكم منه ، وأتركوا الذين يغيرون أسماءه بوضعها لغيره مما عبد من دونه .

فان الله سوف يجازيهم على الحادهم على ذلك حيث يقول في آخر هذه الاية (**سيجزون** ما كانوا يعملون) .

تأتي بعد هذه الآية الاقوال الثلاثة ، وكلها تدور حول نقطة واحدة هي الميل بأسماء الله عما تدل عليه .

وقد ورد حديث رواه الشيخان[2] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان لله تسعة وتسعين اسما مئة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهذه الاسماء كما ورد في بعض الأحاديث هي :

« هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم . الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارئ . المصور . الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلي .

---

(١) الالحاد ـ معناه الميل عن الوسط الى جهة اليمين أو اليسار ، ومعناه بالنسبة لاسماء الله الميل بألفاظها أو معانيها عن طريق الحق . اما بالتحريف أو التأويل أو بما يتنافى مع وصفها بالحسنى .

(٢) المراد بالشيخين ـ البخاري ومسلم .

الكبير . الحفيظ . المغيث . الحسيب . الجليل . الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوي . المتين . الولي . الحميد . المحصى . المبدئ . المعيد . المحيي .المميت . الحي . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الاول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوالي . المتعالي . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك الملك ذو الجلال والاكرام . المقسط . الجامع . الغني . المغني . المانع . الضار . النافع . النور . الهادي . البديع . الباقي . الوارث . الرشيد . الصبور .

والخلاصة من هذا الباب :

١) ان التوسل الى الله بالاموات لا يجوز .

٢) ان الانسان اذا أراد أن يطلب من الله فليتوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وبالاعمال الصالحة .

باب

« لا يقال السلام على الله »

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا اذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، قلنا ، السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام » .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : انها لا تصلح لله .

الرابعة : العلة في ذلك .

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله بهذا الباب بيان النهي عن قول السلام على الله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث واحد هو حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه : لا تقولوا : السلام على الله فان الله هو السلام ، والسبب في هذا النهي من الرسول لاصحابه أن السلام : اسم من أسماء الله ، فالله هو السلام ومنه السلام ، فاذا قال الانسان السلام على الله كان معنى ذلك دعاء لله بالسلامة وهذا لا يجوز في حق الله ، لأن الله كامل كمالا مطلقا من كل عيب ، أو نقص ، فلا يحتاج إلى دعاء أحد ، وانما الخلق هم المحتاجون الى ان يمنحهم الله السلام والخير والسعادة .

باب

قول : اللهم اغفر لي ان شئت .

في الصحيح عن أبي هريرة . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي ان شئت ، اللهم ارحمني ان شئت ، ليعزم المسألة ، فان الله لا مكره له . ولمسلم « وليعظم الرغبة

فان الله لا يتعاظمه شيئ أعطاه » .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء .

الثانية : بيان العلة في ذلك .

الثالثة : قوله ليعزم المسألة .

الرابعة : اعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الامر .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب ، بيان عدم جواز قول : اللهم اغفر لي ان شئت وما أشبهه .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواية مسلم وحديث أبي هريرة هذا فيه نهي صريح عن تقييد استجابة الدعاء من الله بشرط المشيئة ، وأمر صريح بأن من أراد أن يدعو ربه أن يدعوه بما يشاء بلا قيد ولا شرط ، ذلك أن الله جلت قدرته أغنى الاغنياء وأكرم الاكرمين ، وقد أمر عباده أن يدعوه ووعدهم باستجابة دعائهم . وفي نهاية الحديث وضح الرسول عليه السلام سبب النهي عن قول اللهم اغفر لي ان شئت ونحوه ، بقوله « فان الله لا مكره له » يعني أن الله سبحانه وتعالى لجوده وكرمه ولأنه المالك لهذا الوجود كله ولحبه في أن يتوجه اليه عباده بالدعاء ، ليعطيهم ما يشاؤن ، ليس في حاجة الى أن يقول الداعي له ان شئت لأنه يعطي لا خوفا من كفر احد

ولا طمعا في ايمان أحد ، فهو الغني عن كل البشر ، والبشر فقراء ومحتاجون اليه .

ولهذا فهو غير مكره على شيئ ، بعكس المخلوقين فانهم ، لا يعطون الا طمعا في شيئ أو خوفا من شيئ ، ويعطون في أكثر الاحيان وهم كارهون .

أما رواية مسلم ففيها زيادة هي (وليعظم الرغبة ، فان الله لا يتعاظمه شيئ اعطاه) يعني اذا سأل الانسان ربه فليسأل ما يشاء ــ ولا يتعاظمه الشيئ الذي طلبه ، لأن الله بيده ملكوت السموات والارض ، وكل شيئ عظيم في نفس الانسان هو حقير وصغير عند الله .

باب
لا يقول عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يقل أحدكم اطعم ربك ، وضئ ربك ، وليقل سيدي ومولاي . ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي » .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن قول : عبدي وأمتي .
الثانية : لا يقول العبد ربي ولا يقال أطعم ربك .
الثالثة : تعليم الاول قول فتاي وفتاتي وغلامي .
الرابعة : تعليم الثاني قول سيدي ومولاي .
الخامسة : التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

الهدف :

قصد داعية التوحيد رحمة الله عليه من هذا الباب النهي عن استعمال الالفاظ التي وردت في الحديث ابعادا لتشبيه المخلوقين بالخالق العظيم .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث أبي هريرة هذا وفيه نهيان وأمران .

الامر الاول النهي عن قول : اطعم ربك ، وضئ ربك ، هذا اللفظ وان كان جائزا لغة الا انه لا يجوز شرعا ، وذلك ابعادا للمسلم عن التشريك مع الله حتى في الألفاظ ، لأن الله هو رب العالمين خلقهم ورزقهم وبيده مصيرهم ، فاذا أطلق هذا اللفظ على شخص كان معنى ذلك أنه شارك الله في وصف الربوبية ، حتى ولو لم يكن ذلك مقصودا ، وبدلا من وقوع المسلم في محظور ، أمر الرسول عليه السلام باستعمال لفظ آخر لا محذور منه حين قال : (وليقل سيدي ومولاي)

الامر الثاني ـ النهي عن قول (عبدي وأمتي) وهذا اللفظ وان كان جائزا لغة الا انه لا يجوز شرعا ، وذلك حرصا على بقاء عقيدة المسلم القائمة على العبودية الخالصة لله رب العالمين ، فاذا أطلق هذا اللفظ على شخص كان معنى ذلك أنه شارك الله في وصفه بالالوهية ، حتى ولو لم يكن ذلك مقصودا ، وبدلا من الوقوع فيما هو غير جائز ، أمر الرسول عليه الصلاة والسلام باستعمال لفظ آخر لا محذور فيه حين قال : (وليقل فتاي وفتاتي) .

باب

لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » . رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل :

الاولى : اعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : اعطاء من سأل بالله .

الثالثة : اجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

الخامسة : ان الدعاء مكافأة لمن لم يقدر الا عليه .

السادسة : قوله « حتى تروا انكم قد كافأتموه » .

الهدف :

قصد رحمه الله من هذا الباب بيان النهي عن رد السائل اذا سأل بالله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث ابن عمر وفيه أربعة أمور :

الاول : قول الرسول عليه الصلاة والسلام « من سأل بالله فأعطوه » .

وظاهر هذا الكلام النهي عن رد السائل اذا سأل بالله ، ومعنى هذا انه يجب على المسلم لأخيه المسلم حينما يسأله بالله في أمر من الامور ، ازالة ضرر مثلا ، أو مشاركة في رأي ، أو مساعدة في حل مشكلة ، أن يبادر لاجابة طلبه تعظيما لمن سأل به وهو الله جلت قدرته . أما اذا كان سؤاله بالله من أجل الحصول على شيء من المال ، فان كان في غير حاجة ملجئة له الى السؤال فذلك حرام عليه ولا تجب اجابة طلبه ، وان كان فقيرا فانه يجب على بيت مال المسلمين أن يعطيه بقدر حاجته ، لأنه فرد من أفراد المسلمين وله حق في بيت المال ، وعلى من عنده فضل مال من المسلمين أن يساعده مما أعطاه الله والا فالجميع آثمون .

الثاني : قوله : ومن استعاذ بالله فأعيذوه .

وهذا يعني ان المسلم اذا استعاذ بالله أعيذ ، كما فعل الرسول عليه السلام ، فقد روى أنه أراد أن يتزوج بأمرأة جميلة فقيل لها اذا كنت ترغبين أن يحبك فقولي له اذا دخل عليك أعوذ بالله منك ، ففعلت المسكينة عن حسن نية ما قيل لها ، فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام ، لقد عذت بمعاذ ــ الحقي بأهلك ــ

الثالث : قوله : ومن دعاكم فأجيبوه

وهذا يعني ان من حق المسلم على أخيه الا يرفض دعوته اذا دعاه للتحدث اليه أو تناول طعام في بيته . لما في هذا من توثيق روابط الاخوة والمحبة فيما بين المسلمين .

الرابع : قوله : « ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له ، حتى ترو أنكم قد كافأتموه » .

وفي هذا أمر بالمجازاة على المعروف ، وفي ذلك حث على البذل والعطاء وتبادل المصالح بين الناس ، وفي حالة عدم المقدرة على المجازاة على المعروف بالمال ، أرشد الرسول عليه الصلاة والسلام الى شئ آخر ينوب عنه وهو الدعاء فقال : « فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه » .

باب
لا يسأل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يسأل بوجه الله الا الجنة » رواه ابو داود .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن أن يسأل بوجه الله الا غاية المطالب .

الثانية : اثبات صفة الوجه .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان المنع من السؤال بوجه

الله ـ في أمر من أمور الدنيا .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث واحد هو حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وفيه دلالة على النهي عن السؤال بوجه الله الا في طلب الجنة التي هي أمنية كل مؤمن بالله ـ أما السؤال بوجه الله في أمور سهلة من أمور الحياة مثل السؤال في زيادة المال وكثرة الاولاد والصحة والسعادة مثلا فلا يجوز ذلك كما هو مفهوم الحديث ، وهذا الحديث لا تعارض بينه وبين ما ورد في بعض الاحاديث التي ورد فيها السؤال بوجه الله ، كما ورد في دعاء النبي عليه الصلاة والسلام لدى منصرفه من الطائف وقد كذبته ثقيف حين قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ، ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، « وفي آخر الدعاء » أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك .

وعدم التعارض بين الحديث وهذا الدعاء وأمثاله انه دعاء فيما يقرب الى الجنة ، وليس دعاء من أجل أمر من أمور الدنيا .

باب
ما جاء في اللو

وقول الله تعالى (**يقولون لو كان لنا من الامر شيئ ما قتلنا ههنا**) الآيه (١٥٤ ـ **آل عمران**) وقوله (**الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا**) الآية (١٦٨ ـ **آل عمران**) في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيئ فلا تقل لو اني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل فان (لو) تفتح عمل الشيطان)

فيه مسائل :

الاولى : تفسير الآيتين في آل عمران .
الثانية : النهي الصريح عن قول « لو » اذا أصابك شيء .
الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .
الرابعة : الارشاد الى الكلام الحسن .
الخامسة : الامر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .
السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب النهي عن الجزع وعدم الصبر عند المصائب .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان ، وحديث واحد .

فالآية الاولى قال الزبير في سبب نزولها ، لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ، فأرسل الله علينا النوم ، والله اني لا سمع معتب بن قشير والنعاس يغشاني ، ، ما أسمعه الا كالحلم يقول : لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا ، فأنزل الله عز وجل (**يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا**) .

يعني يقول بعض هؤلاء المنافقين لبعض ، في جزع وعدم ايمان بقضاء الله وقدره ، لو كان النصر بأيدينا كما يدعي ذلك محمد لما قتل من المسلمين من قتل فرد الله عليهم هذا الزعم ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتبت عليهم القتل إلى مضاجعهم يعنى لو بقيتم في بيوتكم ولم تخرجوا للقتال ، لخرج منكم من أراد الله له القتل كما هو مقدر في اللوح المحفوظ وعلى هذا فكلمة (لو) لا ترد قدرا أراده الله .

والآية الثانية ، تحكي قصة عبد الله بن ابي وأصحابه الذين أشاروا على بعض من خرج مع الرسول عليه السلام في غزوة أحد بعدم الخروج معه . فلما قتلوا قال ابن ابي ومن تخلف معه عن الجهاد ان أولئك الذين قتلوا لو سمعوا مشورتنا ، وأطاعوا رأينا وقعدوا عن القتال لما قتلوا ـ فرد الله عليهم قولهم هذا بقوله تعالى (قل فادرأوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعني ان كان سلامتكم من الموت بسبب قعودكم عن القتال في سبيل الله فادفعوا عن انفسكم انواع الموت ، التي تأتي

بصور مختلفة وأسباب متعددة ، ومن هنا فان كلمة لولا تقف أمام شيء مقدر من عند الله .

يأتي بعد هاتين الآيتين ـ حديث ابي هريرة ، وفيه الامر بحرص المسلم على عمل ما ينفعه في حياته وآخرته من طلب رزق حلال ، وعمل صالح يقربه من ربه طالبا الاعانة من الله ومحذرا له من العجز لأن العجز أمر مستقبح في نظر الاسلام ، وفي آخر الحديث نهي عن استعمال كلمة (لو) لما فيها من عدم الصبر بقضاء الله وقدره ، فقال (واذ أصابك شيء فلا تقل لو أنني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان (لو) تفتح عمل الشيطان) وعمل الشيطان يتمثل في عدم الرضاء بما قدره الله وقضاه ، وعدم الرضا بما قدره الله دليل على ضعف الايمان لدى الانسان .

باب

النهي عن سب الريح

عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا « اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها وشر ما امرت به » صححه الترمذي .

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن سب الريح .

الثانية : الارشاد الى الكلام النافع اذا رأى الانسان ما يكره .

الثالثة : الارشاد الى أنها مأمورة .

الرابعة : انها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر .

الهدف :

قصد الامام رحمة الله عليه بهذا الباب بيان ان سب الريح يعني أنها هي الجالبة للأذى بنفسها دون أمر من الله وفي هذا منافاة لكمال التوحيد لله الذي بيده الأمر والتدبير .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث واحد هو حديث ابي بن كعب وفيه نهي وارشاد فالنهي جاء في كلمة : (**لا تسبوا الريح**) لأن الريح مخلوقة من مخلوقات الله يأمرها الله بأن تثير السحاب ، وتحمله على متنها تذهب به حيث يريد الله فتفعل كما جاء ذلك في قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويأمرها بأن تلقح السحاب بالماء ، وتنقل اللقاح للاشجار فتنفذ كما قال الله تعالى : (**وأرسلنا الرياح لواقح**) . ويأمرها بأن تدمر كل شيء ، وتقضي على كل شيء فلا تتأخر ، كما فعلت بأمر من الله لعاد . حين جاء ذلك في قوله تعالى (**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية**) وعلى هذا فالريح قد تأتي بخير ، وقد تجلب مكروها . لكن ذلك كله بتوجيه من الله لها ولهذا لا معنى لسبها . اما الارشاد ففي قوله عليه السلام : « فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم أنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به . ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » .

والخلاصة : انه لا يجوز سب الريح لأن سبها سب لله لأنه هو الذي أمرها .

باب

قول الله تعالى (**يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الامر من شيء . قل ان الأمر كله لله**) . الآية (**١٥٤ ـ آل عمران**)

وقوله (**الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء**) . الآية (**٦ ـ الفتح**) .

قال ابن القيم في الآية الاولى : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل . وفسر بظنهم ان ما اصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بانكار الحكمة ، وانكار القدر ، وانكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح وانما كان هذا ظن السوء لانه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظن انه يديل الباطل على الحق ادالة مستقرة يضمحل معها الحق ، او أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو انكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، واكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده . فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ،

وليتب الى الله ويستغفره من ظنّه بربه ظن السوء . ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل انت سالم ؟ فان تنج منها

فان تنج منها تنج من ذي عظيمـــة وإلا فاني لا أخـالك ناجيا

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الاخبار بأن ذلك انواع لا تحصر .

الرابعة : انه لا يسلم من ذلك الا من عرف الاسماء والصفات وعرف نفسه .

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه بهذا الباب التحذير من سوء الظن بالله جل جلاله . لأن سوء الظن بالله يقدح في توحيد الأنسان .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آيتان وتفسير لأبن القيم لكلمة الظن فالآية الاولى من هاتين الآيتين تتحدث عن اعتقاد فريق من المحاربين مع الرسول عليه السلام في غزوة أحد حينما اصابهم الهلع واستولى عليهم الخوف وقت هزيمتهم بأن ما حصل لهم من هزيمة وقتل ليس بسبب تنازعهم وعصيانهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، وانما لأن الله لم يحقق وعده لمحمد بالنصر على اعدائه ، وهذا فيه سوء ظن بالله ولهذا

قـال تـعالى (**يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية**) يعني يظنون بالله ظنا لا يليق به سبحانه وتعالى وذلك عندما كانوا يقولون في انفسهم لو كان محمد نبيا ما انتصر المشركون على المسلمين في هذه المعركة ، ولذا حكى الله عنهم قولهم : بقوله سبحانه (**يقولون هل لنا من الامر من شيء**) .

يعني يقول بعضهم لبعض على سبيل الاستفهام الانكاري ، هل حصلنا على شيء من النصر الذي قال محمد ان الله وعده به فرد الله عليهم هذا الزعم بقوله تعالى : (**قل ان الامر كله لله**) اي أن كل ما يجري في هذا الكون من نصر أو هزيمة أو غير ذلك انما هو بارادة الله ولحكمة يراها جلت قدرته .

ونصر الله لنبيه وللمؤمنين من بعده الى يوم القيامة لا يمنع ان تكون الحرب سجالا لكن النصر في النهاية دائما يكون للمؤمنين كما قال الله سبحانه (**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**) .

وهنا فضح الله أولئك الذين يبطنون الانكار والتكذيب بالرسول عليه السلام ، وعدم الوثوق بوعد الله بقوله (**يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك**) وبقية هذه الآية تقدم بيانها في باب ما جاء في اللو .

اما الآية الثانية في هذا الباب فتتحدث عن العذاب الذي اعده الله للذين ظنوا انه لا ينصر رسوله ، أو انه يتخلى عن عباده المؤمنين به الصادقين معه ، فقال (**ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ، وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا**) .

والخلاصة : ان من ظن ان الله لا ينصر عباده المؤمنين أو لا يتجاوز عن هفوات التائبين ، أو لا يعدل بين الناس اجمعين ، أو لا يفي بوعده للطائعين ، ووعيده للعاصين ، فقد ظن بالله ظن السوء ، وهو أمر يعرض الانسان ولا شك لغضب الله وعقابه .

باب

ما جاء في منكرى **ما جاء في منكرى القدر**

وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده ، لو كان لاحدهم مثل أحد ذهبا ثم انفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت انه قال لابنه . يا بني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال رب وماذا اكتب ؟ قال أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة « يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من مات على غير هذا فليس مني » وفي رواية لاحمد « أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » .

وفي رواية لابن وهب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » .

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال أتيت ابي بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر ، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال :

لو انفقت مثل احد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك . وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . حديث صحيح رواه الحاكم فى صحيحه .

فيه مسائل :

الاولى : بيان فرض الايمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الايمان به .

الثالثة : احباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الاخبار بأن احدا لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر اول ما خلق الله .

السادسة : انه جرى بالمقادير في تلك الساعة الى قيام الساعة .

السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به .

الثامنة : عادة السلف في ازالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : ان العلماء اجابوه بما يزيل الشبهة وذلك انهم نسبوا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن انكار القدر مناف للتوحيد لما في ذلك من نسبة الافعال لغير الله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب ثلاثة أحاديث

أولها : الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال : (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على ان القدر ركن من اركان الايمان الستة . وان من انكره فقد انكر اصلا من هذه الاصول ولخطورة هذا الانكار اقسم ابن عمر رضي الله عنه بأن الله لا يتقبل صدقة من انسان مهما كانت هذه الصدقة عظيمة حتى يؤمن بالقدر

وثانيها : حديث عبادة بن الصامت الذي قال فيه : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . فقال : يا رب وماذا اكتب ؟ فقال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة وقد ورد هذا الحديث برواية أخرى عن الأمام أحمد « أن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » وحديث عبادة ورواية الامام أحمد فيهما دلالة على ان كل ما يجري في هذا الكون منذ ان خلقه الله إلى قيام الساعة انما جاء نتيجة لقدر الله ، ولهذا قال عبادة لابنه يا بني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وفي آخر حديث عبادة هذا قال لابنه يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

وهذا هو معنى الايمان بالقدر . اعتقاد الانسان بأن ما كان وما يكون انما هو بأمر الله وتدبيره ، ومن اعتقد غير ذلك فقد عرض نفسه لخطر كبير ، ولذا ورد في رواية ابن وهب قول الرسول عليه الصلاة والسلام « من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » .

أما الحديث الأخير : حديث ابي بن كعب فهو لا يختلف في معناه عن معنى الحديثين السابقين في هذا الباب .

والخلاصة من هذا الباب : ان الله سبحانه وتعالى قدر مقادير الكائنات قبل خلق السموات والارض ، وانه ما من شيء يحدث في هذا الكون الا بقدر من الله . وهنا ربما يرد سؤال ليقول :

اذا كان الله سبحانه قد قدر كل شيء ، فما الفائدة من العمل ؟

والجواب عن هذا جاء في حديث رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه بقوله : كنا في جنازة في بقيع الغرقه ـ فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا من حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، والا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل : يا رسول الله الا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : من كان من أهل السعادة فسييسر الى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر الى عمل أهل الشقاوة .

وليس معنى هذا ان الانسان مسلوب الارادة مجبور على ما يأتيه من اعمال صالحة أو فاسدة . لأن الله سبحانه وتعالى حين خلق الانسان ، اعطاه العقل ليميز به بين الخير والشر . ومنحه الارادة لتحول بينه وبين نوازع الفساد والانحراف والانسان بعد ذلك هو الذي يختار ويطوع ارادته الى الطريق الذي يرتضيه لنفسه .

مثال يوضح هذا المعنى ـ تلميذ تعمد أن لا ينجح في الامتحان فأعطى اجابة سيئة فرسب . اليس ذلك باختياره ؟ كما انه ايضا باختياره لو اراد النجاح لاجتهد واعطى اجابة حسنة ونجح .

مثال آخر : شخص ما عزم على الاقدام على فعل امر محرم ثم رجع من نفسه اليس قد فعل ذلك باختياره ؟

مثال ثالث : شخص تعمد خيانة عقيدته وامته لسبب ما اليس ذلك باختياره ؟

هذه امثلة وغيرها كثير لابطال عقيدة الذين يقولون ان العبد مسير وليس له ارادة يحمي بها نفسه من الوقوع في الاخطاء ، والدليل المنطقي على فساد هذه العقيدة (**عقيدة الجبر**) اننا لو قلنا ان الانسان ليس له اختيار فيما يفعله في هذه الحياة فان هذا القول يؤدي بنا الى نتائج خطيرة من اهمها انه اذا تعدى شخص على آخر فقتله ، أو سرق ماله ـ أو زنى أو شرب خمرا أو فعل غير ذلك من الجرائم ، فانه لا عقاب عليه في ذلك ما دام انه مجبور ليس له اختيار في ذلك ومعنى ذلك الفوضى بكل معانيها وفساد النظام الاجتماعي بكل صوره وهذا شيء لا يقره العقل .

باب

« ما جاء في المصورين »

عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى : ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، وليخلقوا شعيرة » اخرجاه . ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله » ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كل مصور في النار . يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم » ولهما عنه مرفوعا « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ » .

ولمسلم عن ابي الهياج قال : قال لي علي : الا ابعثك على ما بعثني

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته » .

فيه مسائل :

الاولى : التغليظ الشديد في المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله « ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله (فليخلقوا ذرة أو شعيرة) .

الرابعة : التصريح بانهم أشد الناس عذابا .

الخامسة : ان الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم .

السادسة : انه يكلف ان ينفخ فيها الروح .

السابعة : الامر بطمسها اذا وجدت .

الهدف :

قصد داعية التوحيد رحمه الله من هذا الباب بيان عقوبة المصورين الذين يضاهئون خلق الله حماية لعقيدة التوحيد في النفوس من كل شبهة وثنية ، وخوفا من أن تتحول تلك الصور من بعد زمن الى آلهة تعبد من دون الله كما حدث ذلك لقوم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب خمسة أحاديث ، أربعة تتحدث عن عذاب المصورين الذين يضاهئون خلق الله ، والحديث الخامس يوضح كيفية ازالة الصور والقبور المرفوعة عن الارض بشكل بارز عن القبور الاخرى

والاحاديث الاربعة هي :

أولا : الحديث القدسي الذي رواه ابو هريرة رضي الله عنه ، وفيه أن الله سبحانه وتعالى بين أنه لا أحد أظلم من الذي يحاول أن يتشبه بالله في الخلق ، وذلك بتصوير أشياء على شكل ما خلق الله من انسان أو حيوان أو غير ذلك مما له روح ، وحتى يظهر الله عجز المصورين تحداهم اذا كانوا يقدرون على مشابهة الله في الخلق من العدم ، ان يخلقوا ذرة ، أو حبة ، أو شعيرة ، ولكنهم قطعا لا يستطيعون ذلك وحتى العالم كله بكل وسائله العلمية لو اراد أن يخلق ذرة أو ذبابا ما استطاع ذلك أبدا وهذا يدل على العجز الكامل للانسان عن ان يضاهي الله في شيء من خلقه .

ثانيا : حديث عائشة رضي الله عنها وفيه ان عذابا شديدا يوم القيامة للذين يضاهئون بخلق الله لما ارتكبوه من ذنب كبير لا يرضى عنه الله .

ثالثا : حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه ان الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم .

والحديث الرابع : عنه ايضا أن الله اظهارا لعجز المصور يكلفه يوم القيامة بأن يجعل في كل صورة حياة حقيقية ، لكنه لن يقدر على ذلك .

أما الحديث الخامس والاخير في هذا الباب : حديث علي رضي الله عنه ففيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بطمس الصور وتسوية القبور المرتفعة ببناء أو غيره والسبب في ذلك أن الصور فيها مضاهاة لخلق ، ورفع القبور بالبناء عليها أو غيره مدعاة لتعظيمها ووسيلة من الوسائل المؤدية الى الشرك بالله .

والخلاصة من هذا الباب : تحريم التصوير، لكن الاحاديث الواردة فيه لم تفرق في التحريم بين الصور المجسمة والصور التي لا جسم لها ،

ولعموميات هذه الاحاديث وغيرها ، حصل الخلاف بين العلماء في التصوير ، منهم من حرم الصور بدون استثناء سواء كانت الصورة مجسمة أو غير مجسمة ومنهم من قصر التحريم على الصور المجسمة دون غيرها .

دليل من نهى عن الصور بدون استثناء الاحاديث الواردة في هذا الباب والتي لم تفرق في النهي بين صورة وأخرى وحديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة . عام لم يفرق بين الصورة التي لها ظل ، والتي لا ظل لها وغير ذلك من احاديث وردت في هذا المعنى واذاً فالنهي عام ، وعلى هذا فكل تصوير لأي مخلوق له روح حرام ، لانها مضاهاة لخلق الله الا ان أصحاب هذا الرأي قالوا : ان المحرم من الصور ما كان كاملا ، أما اذا أزيل عضو لا تمكن الحياة بدونه فهي مباحة . كما أباحوا من الصور الفوتغرافية ما توجبه الضرورة أو تقتضيه المصلحة العامة مثل البطاقات الشخصية وجوازات السفر ، وصور المشبوهين ، وما شابهها .

اما من قصر التحريم على الصور المجسمة فانه يري أن كل ما ورد في التصوير والصور من الوعيد انما يقصد به الصور المجسّمة ، لأنها هي التي فيها مشابهة للوثنيين الذين يصنعون أصنامهم بأيديهم ثم يقومون بتعظيمها وتقديسها ، ومثل هذا ما يفعله الناس اليوم من تلك التماثيل التي توضع في الميادين العامة تخليداً لذكرى قائد أو زعيم ، وعلى هذا فان أصحاب هذا الرأي لا يرون حرمة في تصوير ما لا ظل له مثل النقوش والصور التي توضع على الفرش والثياب وكذلك الصور الشمسية ، اللهم الا ما كان منها مخالفا للآداب الاسلامية . مثل صور النساء العاريات وشبه

العاريات ، وكذا ما تفعله دور العرض من تصوير للنساء في أوضاع مبتذلة ، وبطريقة مثيرة للفتنة ـ فان هذا محرم . أما غير ذلك من الصور التي لا ظل لها فغير منهي عنها . ويستدلون على رأيهم هذا بما رواه مسلم في صحيحه عن بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن ابي طلحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة » قال بسر ثم اشتكى زيد بعد ذلك فعدناه فاذا على بابه ستر فيه صورة قال : فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وكان معه) الم يخبرنا زيد عن الصور يوم الاول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : الا رقما في ثوب ... ومعنى هذا ان الرقم في الثوب وما اشبهه لا يدخل في المنهى عنه من التصوير .

والحديث الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر ، وكان الداخل اذا دخل استقبله فقال : لي رسول الله عليه السلام : « حولي هذا فاني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا » وعلى هذا فان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يأمرها بتقطيع الستر ، وانما امرها بتحويله من مكانه ولو كان ذلك محرما لم يسمح ببقائه في بيته ، ومن أجل هذا وذاك يتبين أن المقصود من الصور المحرمة هي الصور المجسمة اما ما ليس لها ظل فلا تدخل في الوعيد المذكور في الاحاديث الواردة في هذا المعنى الا ما خرج منها عن آداب الاسلام كصور النساء العاريات ونحوها مما حرمته أو نهت عنه تعاليم الاسلام .

باب
ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى (**واحفظوا ايمانكم**) الاية (٨٩ـ المائدة) عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب » أخرجاه .

وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ، أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري الا بيمينه ، ولا يبيع الا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير امتى قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدري اذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ؟ ثم ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن .

وفيه عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وقال ابراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

فيه مسائل :

الاولى : الوصية بحفظ الايمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع الا بيمينه ولا يشتري الا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على ان الذنب يعظم مع قلة الداعي .

الخامسة : ذم الدين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الاربعة وذكر ما يحدث بعدهم .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان ان كثرة الحلف دليل على استخفاف الانسان بعظمة الله ، وفي هذا منافاة لكمال التوحيد .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية واحدة واربعة أحاديث .

فالآية الكريمة ، تأمر بعدم الحلف في كل أمر من الامور ، والاكثار من الايمان الصادقة ، فضلا عن الايمان الكاذبة . كما قال الله سبحانه وتعالى « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم » وذلك لما في كثرة الحلف من الاستخفاف بالله وعدم تعظيمه في القلب .

يأتي بعد هذه الآية الكريمة حديث ابي هريرة وفيه بيان لما يتصف به الكثير من الناس في تعاملهم مع الآخرين من صفات لا تتفق وخلق المسلم ، وابرز هذه الصفات في التعامل استخفاف الانسان بالحلف بالله كذبا

كلما اراد أن يبيع شيئا من متاع الدنيا ليحصل على ربح اكثر .

مثال : يوضح هذا المعنى رجل اشترى بستانا بعشرة آلاف ريال ثم رغب في بيعه فجاءه شخص يريد شراءه فسأل البائع عن الثمن الذي اشتراه به فأخذ يحلف له بالله انه أشتراه بخمسة عشر الف ريال . فيصدق المشتري أنه اشتراه بهذا المبلغ من المال والامر ليس كذلك . لذا قال النبي عليه السلام في هذا الحديث « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة ، يعني ان الحلف ربما يكون سببا للبيع بزيادة ، لكن الله لا يبارك في كسب يقوم على مخالفة أمر الله .

ثم يأتي بعد حديث ابي هريرة ، حديث سلمان رضي الله عنه وفيه أن ثلاثة أصناف من الناس لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم . وذلك بسبب اغراقهم في الاثم واستمرارهم في فعل المعصية .

الاول من هذه الاصناف الثلاثة كما ورد في الحديث (اشميط[1] زان) وقد ضوعف له العذاب ، لاستمراره على معصية الله في سن كان ينبغي له فيه أن يحاسب نفسه ، ويقبل فيه على ربه ، ويتوب اليه من ذنوبه ، لكن استمراره على المعصية ، دليل على تمكن الفجور من نفسه ، وعدم خوفه من الله ، فأغلظ الله له في العقوبة .

والثاني ، كما ورد في الحديث - (**عائل[2] مستكبر**) وسبب تغليظ **العقوبة له تكبره وتعاظمه ، بدون داع لذلك . (وان كان التكبر مذموماً للغني والفقير) لكن تكبر الفقير دليل على انطباع النفس على هذا الخلق الذميم ، لذا عظمت عقوبته .**

---

(١) الاشيمط : هو الرجل الذي وخطه الشيب .

(٢) العائل : الفقير .

اما الصنف الثالث ـ كما ورد في الحديث « رجل جعل الله بضاعته لا يشتري الا بيمينه ولا يبيع الا بيمينه » .

وسبب تغليظ العقوبة له ، حلفه بالله كلما اراد البيع أو الشراء وهذا دليل على الاستخفاف بعظمة الله .

اما الحديث الثالث في هذا الباب فهو حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، وفيه اخبار عن امرين :

الاول : ان افضل الامة الاسلامية ، في عمق الايمان ، وصفاء العقيدة ، ونقاء النفس ، وفي الصلاح ، والتقوى ، وبذل النفس والمال في سبيل الدعوة الى الله ، والدفاع عن دينه هم القرن الذين كان فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يليهم في الافضلية القرن الثاني ، ثم يأتي في الدرجة الثالثة أهل القرن الثالث .

الثاني : انه بعد هذه القرون المفضلة . يضعف وازع الايمان في القلوب ، وتبدأ درجة من الانحدار في الاخلاق فيأتي قوم يحرصون على أن يشهدوا قبل أن تطلب منهم الشهادة ودون ان يتحروا الصدق في شهادتهم ، وأناس لا أمانة لهم . فهم غارقون في الخيانة لا يتورعون عنها ، ولا يحيدون عن مزاولتها وغيرهم لا يوفون بما أوجب الله عليهم من نذر نذروه لله . وآخرون منغمسون في نعيم الدنيا غير مهتمين بأمور الآخرة ، فسمنت أجسامهم ، وكل هذه الامور قد حصلت في الناس اليوم وهي من الامور الغيبية التي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستقع ووقعت كما اخبر عليه الصلاة والسلام لأنه لا ينطق عن الهوى .

وفي نهاية هذا الباب يأتي الحديث الرابع حديث ابن مسعود رضي الله عنه وليس به زيادة عما ورد بالحديث السابق له (حديث عمران بن حصين) سوى ما ورد به من اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن قوما

بعد ذهاب القرون الثلاثة يأتون ، وقد وصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بوصف يدل على ضعف في ايمانهم وعدم خوف من الله في قلوبهم ، اذ يقول عليه السلام : ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وقد وقع هذا كما اخبر عليه السلام ، وحدث ما هو اكبر جرما منه .

اذ وجد من يعرض نفسه لاداء الشهادة كذبا وزورا في مقابل أخذ شيء قليل من المال كما هو الحال في كثير من البلدان .

وخاتمة الباب قول ابراهيم النخعي بأن أهل زمانهم كانوا يضربونهم وهم صغار على كلمة اشهد بالله لقد كان كذا وعلي عهد الله لقد كان كذا ، حتى لا تصبح هذه عادة تستمر معهم عندما يصبحون مكلفين .

باب

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى (**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها**) الآية (٩١ ـ **النحل**) .

عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أمّر اميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال : « أغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام ، فان اجابوك فاقبل منهم . ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، واخبرهم انهم ان فعلوا ذلك

فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين فان ابوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء ، الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان هم ابوا فاسألهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم ابو فاستعن بالله وقاتلهم ، واذا حاصرت اهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم اهون من ان تخفروا ذمة الله وذمة نبيه . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن انزلهم على حكمك ، فانك لا تدري اتصيب فيهم حكم الله أم لا » ؟ رواه مسلم .

فيه مسائل :

الاولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

الثانية : الارشاد الى اقل الامرين خطرا .

الثالثة : قوله « اغزوا بسم الله في سبيل الله » .

الرابعة : قوله « قاتلوا من كفر بالله » .

الخامسة : قوله « استعن بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

السابعة : في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدرى ايوافق حكم الله أم لا ؟

الهدف :

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب وجوب الوفاء بالعهو والمواثيق . تعظيما لله ، وتنفيذا للعهد الذي اعطي باسمه .

الشرح :

· ورد تحت هذا الباب آية ، وحديث واحد .

فالآية الكريمة فيها الامر من الله بالوفاء بالعهود والمواثيق ، والمحافظة على الايمان المؤكدة . سواء كانت هذه العهود والمواثيق بين فرد وفرد ، أو جماعة وجماعة ، أو بين دولة وأخرى أو بين مسلم وكافر فالعهد التزام امام الله ويجب الوفاء به . ولهذا قال الله سبحانه وتعالى « ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

يعني لا تخالفوا ما عقدتم فيه الايمان . فتكذبوا . وتنقضوه بعد ابرامه ، وقد جعلتم الله كفيلا على الوفاء بهذا العهد (**ان الله يعلم ما تفعلون**) بهذه العهود والمواثيق - أتبرون وتلتزمون بالوفاء بها أو تنقضونها وتتركون الوفاء بها فتكونون بذلك قد خالفتم أمر الله ونهيه .

بعد هذه الآية الكريمة يأتي حديث بريدة رضى الله عنه ، وهو يحتوي على توجيهات وتعليمات للمجاهدين في سبيل الله فيقول بريدة رضى الله عنه : ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا أمَّر أميرا على جيش (١) أوسرية (٢) « أوصاه » بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا يعني أمره أن يكون قدوة حسنة لغيره ، وأن يعامل من معه من المسلمين معاملة تشعرهم بالعزة والكرامة ، وتدفعهم الى الاستبسال في المعركة . وهذا عامل من عوامل النصر ثم بعد هذه الوصية يقول لهم اغزوا باسم الله في سبيل الله ، يعني ابدأوا مستعينين بالله متوكلين عليه مخلصين له . « قاتلوا

---

(١) الجيش : ماكان أكبر من السرية .

(٢) السرية أربعمائة من الخيل ونحوها .

من كفر بالله » يعني لا تستثنوا أحدا من الكفار سوى من كان بينكم وبينه عهد ، وغير المحاربين عادة كالرهبان . والنساء . والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، فان هؤلاء لا يصح قتلهم الا اذا اشتركوا في القتال بأي شكل من الاشكال فان قتلهم جائز . « اغزوا ولا تغلوا » يعني لا تأخذوا من الغنيمة شيئا قبل قسمتها .

« ولا تغدروا » يعني لا تنقضوا العهد الذي قطعتموه على أنفسكم لأن نقض العهد دليل على عدم تعظيم الله .

« ولا تمثلوا » يعني لا تشوهوا بالقتيل . بجدع انفه أو قطع أذنيه مثلا

« ولا تقتلوا وليدا » يعني طفلا صغيرا .

وبعد هذه التوجيهات النبوية ، أمر عليه الصلاة والسلام قائد الجيش اذا لاقى الكفار ، وقبل أن يبدأ القتال بأن يعرض عليهم ثلاثة أمور .

الاول : ان يدعوهم الى الاسلام . فان وافقوا وأعلنوا اسلامهم ، وجب الكف عن قتالهم ، وهذا دليل على ان المسلمين لا يقاتلون من أجل الحصول على الدنيا ، وانما من اجل هداية الناس الى دين الله فاذا دخلوا في الاسلام « دعاهم الى الهجرة من دارهم الى دار المهاجرين » يعني المدينة وكان ذلك مستحباً أو واجباً ، على كل من أسلم من أهل مكة أو غيرها قبل الفتح ، وأما بعد الفتح فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .

وأخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين « الخ » يعني من استحقاق الفيء والغنيمة وغير ذلك وان أبوا التحول فهم كسائر المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو. تجري عليهم احكام الاسلام

وليس لهم نصيب من الغنيمة أو الفيء الا اذا جاهدوا مع المسلمين .

الثاني : اذا لم يوافقوا على الدخول في الاسلام ، وأعلنوا بقاءهم على دينهم ان يطلب فرض الجزية عليهم ، فان وافقوا وجب الكف عن قتالهم ، وفي هذا دلالة على ان اكراه الناس بالقوة للدخول في الاسلام أمر غير متفق عليه . « **لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .**) .

الثالث : اذا رفضوا الدخول في الاسلام ولم يقبلوا دفع الجزية ، فليقاتلهم مستعينا بالله معتمدا عليه ، ثم قال عليه الصلاة والسلام مختتما توجيهاته وتعليماته لامير الجيش .

« واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه . . . الخ » يعني اذا قمت بحصار بلدة ، أو مدينة أو غيرها ، وطلب منك أهلها اعطاءهم العهد والميثاق على سلامة أرواحهم وأموالهم ، فلا تعطهم العهد باسم الله ولا باسم نبيه ولكن اقطع لهم عهدا على نفسك وأصحابك . حتى اذا حصل نقض لهذا العهد من جانب جاهل من افراد الجيش ، كان ذلك أهون من نقض عهد اعطي باسم الله أو اسم نبيه .

« واذا ارادوك أن تنزلهم على حكم الله .. الخ » . يعني إذا طلب منك أهل حصن أن تفك الحصار عنهم على حكم الله فلا تفعل ، فربما لا تدري أتصيب حكم الله أم تخطىء ، ولكن أنزلهم على حكمك حتى اذا أخطأت في الحكم يكون أسهل من انزالهم على حكم الله .

باب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نهكت الانفس ، وجاع العيال ، وهلكت الاموال ـ فاستسق لنا ربك ، فانا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سبحان الله ، سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه « ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم » ويحك أتدري ما الله ؟ .

ان شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه « وذكر الحديث رواه ابو داود » .

فيه مسائل :

الاولى : الانكار على من قال نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيرا عرف في وجوه اصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : انه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله .

الرابعة : التنبيه على تفسير سبحان الله .

الخامسة : ان المسلمين يسألونه الاستسقاء .

الهدف :

قصد شيخ الاسلام رحمه الله النهي عن الاستشفاع بالله على أحد من خلقه ، تعظيما لذاته .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديث واحد ، هو حديث جبير هذا وفيه يذكر قصة اعرابي جاء الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، يشكو له الفقر والجوع وهلاك الاموال بسبب تأخر نزول الامطار عليهم ، ويسأله ان يدعو الله لهم بتنزيل المطر لتسعد نفوسهم وتحيا مواشيهم ، ويذهب الجوع عن أولادهم ، فقال : انا نستشفع بالله عليك وبك على الله فأخذ الرسول عليه السلام يرد التسبيح ، ويقول : سبحان الله سبحان الله .

ثم قال للاعرابي : « ويحك أتدري ما الله ؟ ان شأن الله أعظم من ذلك انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » يعني ان الله أعظم وأجل من أن يستشفع به على احد من خلقه مهما كانت منزلة ذلك المخلوق .

باب

ما جاء في الاقسام على الله

عن جندب بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال رجل والله لا يغفر الله لفلان : فقال الله عزوجل · من ذا الذي يتألى عليّ ان لا أغفر لفلان ؟ اني قد غفرت له وأحبطت عملك » رواه مسلم

وفي حديث ابي هريرة أن القائل رجل عابد قال ابو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته .

فيه مسائل :

الاولى : التحذير من التألي على الله .

الثانية : كون النار أقرب الى أحدنا من شراك نعله .

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله ان الرجل ليتكلم بالكلمة «الخ» .

الخامسة : ان الرجل قد يغفر له بسبب هو من اكره الامور اليه .

الهدف :

قصد المؤلف رحمه الله من هذا الباب التحذير من الحلف على الله .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب ، حديث واحد هو حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه ، وفيه ان الانسان قد يقول كلاما ، لا يرى فيه بأسا فيكون سببا في هلاكه. كما في قصة ذلك الرجل مع صاحبه المذكورة في هذا الحديث ، والتي يرويها ابو هريرة رضي الله عنه بشيء من التفصيل فيقول اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان رجلين من بني اسرائيل متحابين ، احدهما مجتهد في العبادة ، والآخر كأنه يقول : مذنب فجعل يقول : أقصر عما أنت فيه ، قال فيقول : خلني وربي ، قال فوجده يوما على ذنب استعظمه ، فقال : اقصر . فقال ، خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال : والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة ابدا قال : فبعث الله اليهما ملكا فقبض ارواحهما ، فاجتمعا عنده ، فقال للمذنب : ادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي ؟ فقال : لا يا رب قال : اذهبوا به الى النار . قال ابو هريرة رضي الله عنه : والذي نفسى بيده لتكلم بكلمة اوبقت دنياه وآخرته . ولهذا جاء في الحديث من ذا الذي يتألى علي الا أغفر لفلان ؟ اني قد غفرت له وأحبطت عملك . وفي هذه القصة تحذير للذين يوصدون أبواب رحمة الله أمام عباده المذنبين ويحلفون انه لا يغفر لهم ذنوبهم .

باب

« ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك » .

عن عبد الله بن الشخير قال : انطلقت في وفد بنى عامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا ، فقال « السيد الله تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه ابو داود بسند جيد .

وعن أنس رضي الله عنه أن أناسا قالوا : يا رسول الله ، ياخيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال « يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان . أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب ان ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد .

فيه مسائل :

الاولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي ان يقول من قيل له أنت سيدنا .

الثالثة : قوله (لايستجرينكم الشيطان) مع انهم لم يقولوا الا الحق .

الرابعة : قوله «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب التحذير من كل ما ينافي عقيدة التوحيد ، أو يضعفها في قلب المسلم .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب حديثان .

أولهما : حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه ، وفيه التحذير من الغلو في المدح لأنه قد يؤدي بالممدوح الى نوع من الغرور والتعاظم ، الذي يتنافى مع الذل والخضوع لله رب العالمين ، ولهذا عندما قال وفد بني عامر لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنت سيدنا فقال : السيد الله. ثم قال في آخر الحديث « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » وقال في حديث آخر « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله .

وثانيهما : حديث أنس رضي الله عنه ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كره مدح أولئك الناس وقال : « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، انا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل .

والخلاصة : ان النبي صلى الله عليه وسلم كره ان يقال له سيدنا مع أن هذا جائز بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار « قوموا الى سيدكم » يعني بذلك سعد بن معاذ رضي الله عنه ، كما أنه حذر من الغلو في المدح لما له من نتائج سيئة ، كل ذلك من اجل المحافظة على العقيدة القائمة على الاعتراف بالعبودية لله وحده .

باب

ما جاء في قول الله تعالى :

(وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية (٦٧ ـ الزمر) .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ، انا نجد ان الله يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيقول : انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم **(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة)** الاية . وفي رواية لمسلم « والجبال والشجر على اصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ، أنا الله . وفي رواية للبخاري : « يجعل السموات على اصبع والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع . أخرجاه « ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا » يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ـ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الارضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله ثم يقول ـ أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

وروى عن ابن عباس قال : ما السموات السبع والارضون السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم . وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني ابي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس » قال ابو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من الارض » .

وعن ابن مسعود قال بين سماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من اعمالكم . اخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زرّ عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن ابي وائل عن عبد الله . قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال : وله طرق .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون كم بين السماء والأرض » ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ،وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله واعلاه كما بين السماء والارض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » اخرجه ابو داود وغيره .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير قوله (**والارض جميعا قبضته**) .

الثانية : ان هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ولم ينكروها ولم يتأولوها .

الثالثة : ان الحبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى والارضين في اليد الاخرى .

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله كخردلة في كف أحدكم .

التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة الى السموات .

العاشرة : عظمة العرش بالنسبة الى الكرسي .

الحادية عشرة : ان العرش غير الكرسي والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء الى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .

الخامسة عشرة : ان العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : ان الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والارض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .
التاسعة عشرة : ان البحر الذي فوق السموات بين اعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الهدف :

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن من عبد مع الله غيره ولم يقدره حق قدره ، لم يعظمه التعظيم الواجب له .

الشرح :

ورد تحت هذا الباب آية واحدة واربعة أحاديث .

فالآية الكريمة جاء فيها قوله تعالى (**وما قدروا الله حق قدره**)يعني ان الذين يعبدون مع الله غيره ، لم يعرفوا الله حق المعرفة ، ولم يعظموه التعظيم اللائق به ، (**والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**)يعني أن الارض كلها ومن فيها ملكه وتحت قهره يتصرف فيها كيف يشاء ، وكذا السموات خاضعة لامره وارادته ، يطويها كما يريد ومع هذه القدرة الالهية الجبارة يشرك المخلوق مع الله في عبادته مخلوقا ضعيفا لا يستطيع لنفسه ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا ، ولذا قال تعالى في آخر الآية (**سبحانه وتعالى عما يشركون**) يعني تقدس وتعالى عن كل شريك .

وسبب نزول هذه الاية كما ذكر ذلك الشيخان البخاري ومسلم أن رجلا من أهل الكتاب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر

الخلائق على اصبع ، فيقول : أنا الملك ؟ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لكلام الحبر .

ومثل هذا الحديث الدال على عظمة الله التي لا نهاية لها ، وعلى قدرته التي لا نظير لها حديث ابن عمر الوارد فيه ان الله جلت قدرته يطوي السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيمينه ، ويطوي الاراضين السبع ويأخذهن بشماله .

ويرد بعد حديث ابن عمر هذا ، رواية عن ابن عباس رضي الله عنه يبين فيها ان حجم الارضين السبع في كف الرحمن جلت عظمته ، كحجم الخردلة[1] في كف الانسان ، وهذا اشعار بعظمة الخالق لهذا الكون كله ثم يأتي بعد رواية ابن عباس رضي الله عنه ، حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح فيه ان حجم السموات السبع بالنسبة لضخامة كرسي الرحمن جل وعلا ـ تشبه حجم سبعة دراهم وضعت في ترس[2]

يأتي بعد ذلك حديث ابي ذر رضي الله عنه ، ليبين ضخامة عرش الرحمن بالنسبة للكرسي بأنه كحلقة من حديد ، وضعت في وسط فلاة (٣) من الارض .

وفي آخر الباب يأتي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وحديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكلاهما يتحدثان عن المسافات الهائلة التي تفصل بين كل سماء وسماء ثم المسافات المذهلة التي تفصل بين هذه

---

(١) الخردله هي حبة صغيرة جدا (حبة الثفاء) .
(٢) الترس ـ هو ما يتقي به المقاتل ضربات السيف .
(٣) الفلاة : الأرض الواسعة

السموات السبع ، وبين الكرسي والعرش ، واشياء يقف العقل امامها مؤمنا بالعظمة المطلقة لله جل شأنه .

والخلاصة : ان كل الاحاديث الواردة في هذا الباب تدل على عظمة الله التي لا حدود لها ، وعلى انه القادر على كل شيء ، والقاهر لكل شيء ، وان هذا الكون كله كبيره وصغيره ، خاضع خضوعا تاما لامره وارادته ـ كما وردت في بعض احاديث الباب كلمة ، كف الرحمن ، وان الله يضع السموات على اصبع وانه سبحانه وتعالى يطوي السموات السبع ثم يأخذهن بيمينه ، ويطوي الارضين السبع ثم يأخذهن بشماله وكل هذه صفات لله مذهب اهل السنة والجماعة فيها ـ اثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته ، اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا **تعطيل** ، كما ورد في آخر حديث ابن مسعود ان الله فوق العرش ـ لا يخفى عليه شيء من اعمال العباد ، وقد ورد في استواء الله على عرشه آيات كثيرة من كتاب الله ، منها قوله تعالى : (**ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**) ومذهب أهل السنة والجماعة في استواء الله على عرشه لا يختلف عن مذهبهم في آيات الصفات الاخرى ، فهم يثبتون ان الله مستو على عرشه مطلع على خلقه ، ويقولون الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وبعد :

بعون من الله بدأت ، وبتوفيق منه انتهيت سائلا منه جلت قدرته ان يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .